من تراث البحرين الشعبي

صلاح علي المدني
كريم علي العريّض



الطبعة الثانية - ١٩٩٤

من تراث البحرين الشعبي

تأليف

عبدالكريم علي العريض   صلاح علي المدني

الطبعة الثانية
١٩٩٤

تصميم الغلاف : للفنان عبدالكريم العريض

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الأهداء ...

إلى الرّجال في أعماق البحر، وفي أعالي النَّخيل وإلى صانعات هؤلاء الرّجال.

مقدمة
الطبعة الثانية

بسم الله والحمد لله وبعد :

فهذه هى الطبعة الثانية من كتاب (من تراث البحرين الشعبى) نقدمه للمكتبة العربية بعد ان مضى عشرون عاما على ظهور الطبعة الأولى لهذا الكتاب . ومن البديهى ان يكون هناك اختلاف بين الطبعتين ، اختلاف سببه زيادة المعلومات والمعارف من جهة ، وكثرة ما كتب ونشر فى موضوع التراث الشعبى من جهة اخرى .

وقد كان من الطبيعى ان نتعرض فى هذا الكتاب للتاريخ . لكننا عندما نتعرض للتاريخ او لبعض الحقائق التاريخية لعصر ما قبل التاريخ فى مجال الحديث عن التراث الشعبى او عن الفنون التشكيلية فى البحرين ، فان ذلك لن يكون الا لمحاولة ايجاد الأرضية الواحدة الصالحة لتفسير او تبرير بعض ظواهر العلاقات الاجتماعية والدينية او الحضارية بوجه عام ، والتى صاغت تراثنا الشعبى ، وكذلك لتقديرنا الشديد بأن الفنون التشكيلية فى دلمون القديمة انما ترتبط ارتباط وثيقا بتاريخ دلمون ذاته ، ذلك انه ليس من قبيل التجاوز ، القول بأن الفنون التشكيلية هى ـ من بعد الوثائق المكتوبة ـ من أهم المصادر الرئيسية التى يتحتم على الباحث الرجوع اليها عند الكتابة عن دلمون البحرين .

فى خلال العشرين سنة الماضية ظهر على المستوى الخليجى حدث هام ، الا وهو اقامة اول منشأة للتراث الشعبى فى خليجنا العربى ، اطلق عليها مركز التراث الشعبى لدول مجلس التعاون وسرعان ما اعطى هذه المركز اول ثماره ، فخرجت الى الوجود أول دورية خليجية تعنى بشئون التراث الشعبى .

وقد ساهمت مجلة المأثورات الشعبية مع الندوات الكثيرة التى رعاها المركز فى جذب اهتمام الجماهير الى تراثه الشعبى ، من خلال التعريف به وتأصيله وتجذيره فى ضمير ووجدان شعب المنطقة .

لقد كان كتاب (من تراث البحرين الشعبى) اول عمل من نوعه فى البحرين ، فاتصف بما توصف به باكورة الأعمال .

من هذا المنطلق كان لابد لنا من عودة الى ما كتبناه فى اوائل السبعينات لاضافة معلومات او لتصحيح مسار .

ونحن فى هذا كله لا ندعى الاحاطة بالتراث الشعبى ، فذلك امر خارج عن القدرة الانسانية لكننا يحدونا الأمل بأن لاتذروا الرياح مساهمتنا المتواضعة هذه .

«والله من وراء القصد»

واخيرا نجد لزاما علينا ، ان نتوجه بالشكر الى جميع من اسهم فى اخراج هذا العمل الى الساحة الأدبية ، وعلى الأخص وزارة الاعلام ممثلة فى وزيرها السيد طارق عبدالرحمن المؤيد .

وان ننوه بكل المصادر الاخرى ـ على اختلافها ـ التى كانت معينا ونبعا لا ينضب . كما نشكر الشاب النابه حسين حسن رحمة طابع هذا الكتاب ، الذى اسبغ الله عليه فضيلة الصبر والثبات .

والله نسأل ان نكون قد هدينا من امرنا رشدا

والله نشكر اولا واخيرا .

المنامة فى يوم ١٩٩٢/٥/٢

المؤلفان

مقدمة
الطبعة الأولى

قد يكون من الأوفق ونحن بصدد الكتابة عن الفنون التشكيلية فى دلمون خلال عصر ما قبل التاريخ ، ان نلفت نظر القارىء الى بعض الأمور التى تتعلق بالكتابة عن الفنون التشكيلية فى الحضارات القديمة ، والتى نعتقد انها من الاهمية بمكان بالنسبة لهذا الموضوع :

١ ـ أن الفنون التشكيلية فى العالم العربى ، من ادناه الى اقصاه لم تحظ بالاهتمام المطلوب من كتابنا ، وقد نتج عن هذا الوضع الشاذ ان المكتبة العربية ظلت فقيرة حتى الآن من المؤلفات ، أو حتى المترجمات التى تقدم الفنون التشكيلية للقارىء العربى [١] مع ان عالمنا العربى هو الموطن الأول للفنون التشكيلية ، فانسان وادى النيل ، وانسان ما بين النهرين هما اول من حمل الأزميل ليسجل على الصخر نقوشاً يعبر بها عن عواطفه واحاسيسه ، وعن كل ما يجيش به قلبه من مخاوف او افراح ، فمع نبضات هذه الاراضى نشأت مدنية الفنون التشكيلية ، ومع الأيام اخذت هذه المدنية تجوب الشرق الاقصى وصقيع آسيا واوربا ، فى يوم كانت فيه امريكا واستراليا تغوصان فى بحر من الجهل وظلام الفكر [٢] .

٢ ـ ان معظم الكتاب العرب الذى استهواهم موضوع الفنون التشكيلية فكتبوا عنه ، يعترفون صراحة بأن ليس من الممكن فى هذه المرحلة من التاريخ الرجوع الى عصور ما قبل التاريخ للكتابة عن فنونها التشكيلية [٣]..

٣ ـ انه لمن المخجل حقا ان نجد الكتاب وعلماء الآثار الغربيين وغيرهم يعنون بالبحث والتنقيب عما خلفه الانسان العربى من حضارات فى باطن الأرض ونشر الدراسات عنها بلغاتهم ، بينما نحن اصحاب الشأن لا نعنى بالآثار العناية اللازمة ، بل وننصرف عنها وكأنما الامر لا يعنينا [٤] .

---

(١) برنارد فايرز ، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها ترجمة الدكتور سعيد المنصوري ومسعد القاضى ، المقدمة .

(٢) جورج فلانجان ، حول الفن الحديث ، ترجمة كمال الملاخ وصلاح طاهر ، المقدمة .

(٣) عفيف بهنسي ، اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة ص ٧ .

(٤) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الأول ص ٨ ـ ١١ .

٤ ـ هذا هو موقف كتابنا العرب بالنسبة للفنون التشكيلية فى حضارات وادى النيل والرافدين ، فاذا كان هذا الموقف يعكس الواقع حقيقة ، فماذا يكون وضعنا اذن ونحن نكتب عن الفنون التشكيلية لدلمون فى عصر ما قبل التاريخ ، هذه الارض التى لم تنبشها ايد المنقبين الا منذ سنوات قليلة ، والتى لم يعرف الا القليل من تاريخها القديم حتى وقتنا الراهن .

الحقيقة اننا نعترف منذ البداية بأن هذا الجزء من هذا الكتاب ما هو الا مجرد افكار وفرضيات لا ترقى الى مستوى الدراسة العلمية ، التى تستند الى ادلة الاثبات العلمية ، جمعناها ونسقناها بعد ان قرأنا كل ما وقع تحت ايدينا من الكتب التاريخية والفنية عن حضارات ارض النيل وما بين النهرين وجزيرة كريت والساحل الشرقى لشبه جزيرة العرب .

٥ ـ ان القارىء يعلم ـ ولا شك ـ ان العصور السحيقة الموغلة فى القدم ، مثل عصر دلمون قد خلت تقريبا من السجلات المكتوبة ، لذا فقد اعتمدنا ايضا على المصادر الفنية ، وعلى الانتاج الفنى من اجل الحصول على الدليل التاريخى . ولقد رأينا انه من الافضل قبل الكتابة عن الفنون التشكيلية فى البحرين ان نمهد لها بعرض موجز لتاريخ البحرين القديم ، وذلك لاعتقادنا بوجود الارتباط المادى الوثيق بين التاريخ وبين الفنون التشكيلية ، ولقناعتنا بأن الفنون عموما تتصل اتصالا قوياً بروح الثقافة العامة لدى اى شعب من الشعوب خلال اى عصر من العصور .

المنامة فى ١٩٧٢/٥/٢

الفصل الأول

الفنون التشكيلية في دلمون

الفنون التشكيلية فى دلمون

البحرين فيما قبل التاريخ .

عرض موجز :

من الأهمية القول منذ البداية ، ان ليس من شأن هذا العرض التاريخى الموجز عن البحرين ما قبل التاريخ ، البحث عن اصل الانسان او معرفة موطنه الأول ، او التعرض الى تحديد موطن الساميين الأول او تتبع المناطق والاماكن التى نزحوا اليها او حل بها بعد ذلك أبناؤهم او احفادهم ، وذلك بسبب التضارب والاختلاف الشديدين فى هذا الشأن ، بين وجهات النظر عند علماء الأجناس وعلماء الآثار والمؤرخين .

ويكفى تدليلا على هذا التضارب ان بعض علماء الأجناس والسلالات البشرية ، يرى ان الموطن الأول للساميين هو جزيرة العرب ، وان جميع الهجرات السامية قد أخذت طريقها الى العالم من هذه الجزيرة (كارل برو كلمان ومايرز وشريدر ودي خويه) .

وأول من قال بهذا الرأى هو العالم الانجليزى (سايك) عندما قال :

(ان جميع التقاليد السامية تدل على ان جزيرة العرب هى موطن الساميين الأول ، فانها البلاد الوحيدة التى بقيت سامية ، اى لم يؤثر فيها نفوذ اجنبى يخرجها عن طبيعتها ، وان مميزات الجنس السامى التى منها القوة فى العقيدة الدينية والشجاعة الخلقية وقوة الخيال لابد ان يكون مصدرها الصحراء) .

ثم تبعه فى هذا الرأى بعد سنوات قليلة ، العالم الألمانى (سبرنجر) حيث اشار فى كتابه (جغرافية بلاد العرب القديمة) الى :

(ان جميع الشعوب السامية هم فى رأيي طبقات متوالية من العرب ، تكونوا طبقة بعد اخرى فى الجزيرة العربية) .

بينما يرى علماء آخرون :

ان قارة افريقيا هى المهد الأول لأبناء سام ابن نوح ، بدليل الارتباط الكبير بين اللغات السامية واللغات الحامية ، وكذلك التشابه الجسمانى بين الحاميين والساميين (١)

---

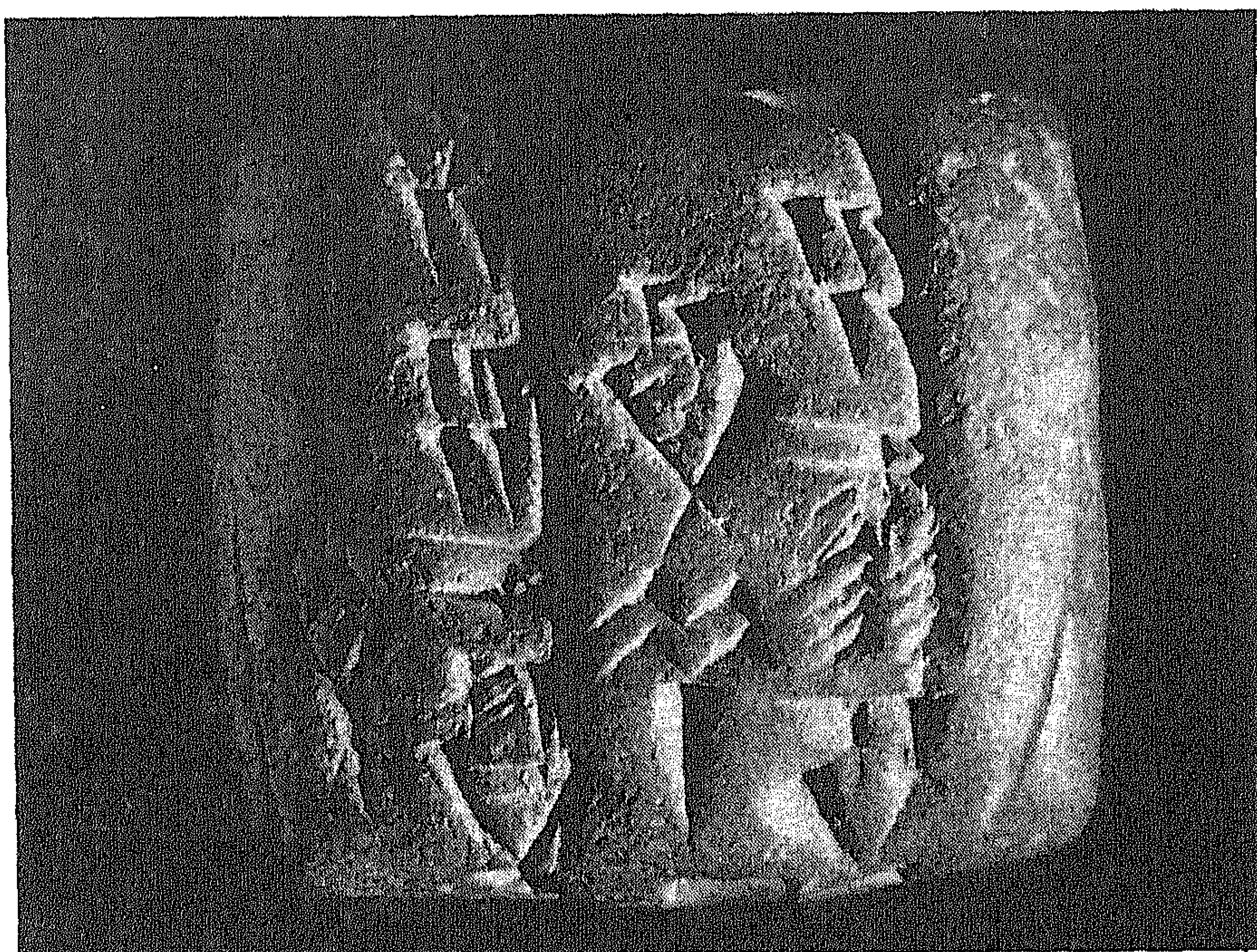
١) راجع هذه النظريات على وجه الخصوص فى الجزء الأول من مؤلف الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الصفحات ٢٢٢ ـ ٢٥٦ ، وكتاب الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام الى مصر ، للدكتور محمود عبدالحميد احمد ، وكتاب الأمم السامية ، مصادر تاريخها وحضارتها ، لحامد عبدالقادر وكتاب الحضارات السامية القديمة ، للعالم الإيطالي موسكاتي .

فيقولون :

(ان هناك تشابها فى الخلقة بين الحاميين سكان افريقيا ، والساميين وبخاصة من كانوا يسكنون جنوبى بلاد العرب وتظهر هذه المشابهة فى اخمص القدمين وفى مشابهة شعر الرأس بالصوف ، وفى كبر الفكين ، حيث ان المقطوع به هو ان الحاميين هم سكان افريقيا الاصليون ، فلابد من القول بأن الساميين قد بدأوا معهم فى افريقيا فى اول الأمر ثم هاجروا منها الى آسيا) .

وآخرون يرون ومنهم (فون كريمر والعالم الايطالى جويدي) :

أن بابل أو بلاد الرافدين هى مهد الشعوب العربية وانها نقطة انطلاق الساميين ، وقد توصل (جويدي) الى هذا الرأى بعد دراسته اللغات العربية القديمة ، حيث لاحظ ان التسمية التى تطلق على النهر ، هى نهر فى اللغات العربية ، الأرامية ، السريانية ، البابلية ، الآشورية ، فى حين ان كل هذه اللغات لا تتفق على تسمية واحدة للجبل . وقد اعترض على هذا الرأى العالم الايطالى (موسكاتي) الذى يرى ان عدم وجود اسم مشترك للجبل فى تلك اللغات لا يعنى ابدا بأن الشعوب صاحبة هذه اللغات لم تعرف الجبال ، هذا بالاضافة الى ان هذه اللغات لا تتفق ايضا فى تسمية العمر ، والرجل ، والولد ، والابن .



●ختم اسطوانى

فهل يعنى هذا عدم معرفتها لهذه الاشياء . بالطبع لا .

ويضيف حسن ظاظا الى ان هذه اللغات قد تفرعت كلها عن لغة واحدة وهى التى يطلق عليها تسمية اللغة الأم ، واننا لو عرضنا على هذه الاصوات مجموعة مخارج الحروف الموجودة فى كل لغة من اللغات السامية ، لوجدنا ان أولى هذه الابجديات ، واشدها انطباقا على مخارج الساميين الأول ، هي ابجدية العربية الفصحى [1] .

كما واننا نعتقد بأن بحث او مناقشة المرحلة التى مرت بها الانسانية من جامعة للطعام الى منتجه له ، هو موضوع ايضا يخرج عن نطاق هذا العرض التاريخى الموجز[2]

إن كل ما يهمنا من هذا العرض التاريخى الموجز ثلاثة امور :

أولا : محاولة توضيح نوعية الارتباط بين كل من حضارة الفراعنة فى وادى النيل ، وحضارة السومريين فى جنوب الرافدين .

وثانيا : محاولة معرفة اى الحضارتين اسبق من الاخرى .

ثم **ثالثا** واخيرا : محاولة اثبات تأثير حضارة دلمون فى حضارة سومر التى كانت المصدر الأول لجميع الحضارات التى عاشت فى جنوب بلاد الرافدين .

لكننا فى هذا العرض التاريخى الموجز لا نتفق مع الرأى الذى يقول : بأن (هناك حضارة خاصة بدلمون البحرين ، وهى متميزة عن حضارة كل من وادى الرافدين بالعراق او الاندوس فى الهند)[3]؛ ذلك لأن مصدر فكرة النشوء التلقائى للثقافة والعلم هو فكرة النشوء التلقائى (SPONTACUSENERATION) ، وهى فكرة قديمة طرحها علماء البيولوجيا جانبا منذ زمن بعيد ، لأنه ليس صحيحا ابدا الاعتقاد بأن الارتقاء قد حدث بصورة تلقائية ومفاجئة فى كل ناحية بمعزل عن النواحى الاخرى من العالم .

فمن المتعارف عليه الآن بالنسبة لنشوء الثقافات وانتشارها ، ان اغلب مجتمعات العالم التى جاوزت مرحلة جمع الطعام الى الزراعة ، واصبحت تمارس ضربا من الحرف والفنون ، هى فى الواقع تدين بالفضل فى رأسمالها الثقافي أو العلمى لجماعة اخرى سبقتها فى سلم الرقى ، ومن المتفق عليه الآن بصورة اجماعية

---

(١) جورج فلانجان ، حول الفن الحديث ، ترجمة كمال الملاخ وصلاح طاهر ، المقدمة .
(٢) عفيف بهنسي ، اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة ص ٧ .
(٣) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ص ٨ - ١١

وبما لا يدع مجالا للشك ، ان كل كائن حى يتصل فى النهاية بكائن حى آخر . وان كل حضارة من الحضارات القديمة قد ساهمت بدورها فى هذا الامر ، وانه ليس صحيحا مطلقا ان ينسب نشوء العلم الى حضارة معينة دون اخرى ، خاصة وان معظم الحضارات التى عرفتها الانسانية كانت من حيث عمرها التاريخى فى زمن واحد تقريبا او فى ازمان واحقاب متقاربة ، فقد تعاصرت كل من حضارة البابليين والهنود وقدماء المصريين .



● ختم دلموني

كما (أن وصول جماعتين كل منهما بمعزل عن الأخرى ، الى ثقافة مكنتهما معا وفى وقت واحد من النسيج والفلاحة وصنع الأوانى الفخارية ، هو امر عسير الاحتمال الى درجة كبيرة ، بحيث نستطيع ان نقرر فى ثقة ان شيئا من هذا لم يحدث بتاتا فى تاريخ الانسانية) [1] ، ذلك انه من الطبيعى والضرورى ان تكون (هناك نغمة اساسية وايقاعا مشتركا ، يتكرر باستمرار وبإلحاح فى جميع نواحى الوجود الطبيعى والحياة البشرية فى الماضى والحاضر) [2] .

---

١) و . ج . بري ، نمو الحضارة ، ترجمة لويس إسكندر ص ٦ .
٢) الدكتور جمال حمدان ، دراسات فى العالم العربى ، ص ٦ .

أولا: محاولة توضيح نوعية الارتباط بين حضارتى الفراعنة فى وادى النيل والسومريين فى وادى الرافدين :

إننا فى سبيل الوصول الى محاولة اثبات تأثير حضارة دلمون البحرين فى كل من حضارة السومريين فى جنوب العراق ، ومن ثم فى حضارة الفراعنة فى وادى النيل ، سوف نعتمد نظرية التأثير والتأثر الحضارى ، لأنها تخدم هدفنا من جهة ، كما انها من جهة اخرى تعطينا الأرضية الصالحة التى نستطيع ان ننطلق منها لمحاولة اثبات هدفنا ، وهى فى ذات الوقت لا تتعارض مع رأى غالبية المؤرخين وعلماء الأجناس ، الذين يرون ان اصل (RACE) سكان الساحل الشرقى للجزيرة العربية من اواسط الجزيرة العربية او اليمن .

ونحن فى محاولتنا الوصول الى هذا الهدف ، هدف تأثير حضارة دلمون فى كل من حضارة سومر فى العراق وحضارة الأسرات فى وادى النيل ، وحتى لا يقع القارىء ايضا فى لبس او خلط بين مختلف الحضارات المتواجدة والمتعاقبة فى هذه المنطقة ، سنورد تسلسلا زمنيا لبعض أهم الحضارات التى عاشت فى وادى بين النهرين والجزيرة العربية ووادى النيل . معتمدين فى هذا التسلسل الزمنى لهذه الحضارات على ادق المصادر التاريخية [1] ـ من وجهة نظرنا بالطبع ـ وسنبدأ هذا التسلسل بالحضارة الأحدث :

١ ـ الحيثيون : وموطنهم الأصلى آسيا الصغرى ثم انحدروا بعد ذلك الى الجنوب ، بعد حروب شرسة . أنشأوا حضارتهم فى الالف الثانى قبل الميلاد ، وكانت تربطهم بالعراق ومصر وبلاد الشام علاقات ثقافية وتجارية ، وقد اسسوا امبراطورية قوية كانت مدينة (نيسا) عاصمة لها .

٢ ـ الآشوريون : ويرجع اصلهم الى الجنس السامى ، وقد اقاموا حضارتهم فى آشور وما يعرف بمدينة (نينوى) بعد ذلك [2] فى اعلى نهر دجلة ، وتعتبر سنة ٢١٠٠ قبل الميلاد بداية لظهور ملوكهم الغزاة ، وقد ثار صراع مرير بين الدولتين الآشورية والبابلية واستمر ثلاثة قرون، وقد تمكنوا من السيطرة على بابل سنة ١١٠٠ قبل الميلاد.

---

١) السير ليونارد وولي ، مدخل الى علم الآثار ، ترجمة الدكتور حسن باشا . وراجع ايضا جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة الدكتور احمد فخرى . وكذلك الدكتور جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ـ الجزء الأول . وحامد عبدالقادر ، الأمم السامية ، مصادر تاريخها وحضارتها . وسباتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر . والمهندس الدكتور احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادى الرافدين . وايضا وول ديورانت ، قصة الحضارة .

٢) تقع مدينة نينوى على نهر الفرات ، وهى من اقدم مدن العالم فقد انشأت فى الألف السابع قبل الميلاد .

٣ ـ البابليون : وهم ايضا من سلالة سامية واسسوا عاصمتهم بابل سنة ٢١٠٠ قبل الميلاد بقيادة (حمورابي) الملك الرابع فى اسرة حمورابي البابلية ، الذى هاجم الامبراطورية الآشورية واحتل عدة ثغور على دجلة والفرات .

٤ ـ الأكاديون : وهم الذين أسسوا عقاد أو أكاد ودامت حضارتهم من ٢٣٠٣ حتى ٢١٠٨ قبل الميلاد [١] .

٥ ـ عهد الأسرات فى مصر (الفراعنة) : ويرجح اغلب المؤرخين تأسيس الأسرة الأولى سنة ٣١٠٠ قبل الميلاد . [٢]

٦ ـ السومريون : وقد قامت حضارتهم فى جنوب العراق ويرجع تاريخهم الى الالف الرابع او الخامس قبل الميلاد ، وهم قوم وافدون على العراق ، لكن ثمة خلاف كبير فى تحديد الجهة التى جاءوا منها .

٧ ـ سكان دلمون أو تايلوس : وهم لدى الغالبية العظمى من المؤرخين وعلماء الآثار ، اجداد السومريين والفينيقيين ، الذين نقلوا حضارتهم الى جنوب العراق فأسسوا دولة سومر فى جنوب العراق وفينيقيا على سواحل الشام امام بحر الروم .

وتعنينا فى الدرجة الأولى بالنسبة لكل تلك الحضارات السابقة ، حضارة الأسرات الفرعونية فى مصر والحضارة السومرية فى جنوب العراق دون غيرها من الحضارات ، فى محاولة تحليل نوعية وطبيعة العلاقات الحضارية التى ربطت هاتين الحضارتين ، ومن ثم تحديد اى الحضارتين اسبق من الاخرى .

ونحن فى محاولتنا هذه سوف نعتمد من المراجع ما يمثل الدقة فى التاريخ وما يؤيد وجهة نظرنا . ونشير هنا بصفة خاصة الى مؤلفين يعتبران ـ بالنسبة لنا ـ من اهم وادق المراجع فى علم الآثار والتاريخ ، وهما : مؤلف الحضارة المصرية لمؤلفه

---

١) الأكاديون فى اصطلاح بعض العلماء الآن اسم جامع للبابليين والآشوريين ، وكذلك اللغة الأكادية هى اللغة البابلية والآشورية ، وتبدأ دولتهم سنة ٣٧٨٠ قبل الميلاد ومؤسسها سرجون (الملك الشرعى) . وهو بالمناسبة ابن غير شرعى لإحدى الأميرات ، ولما خافت على مصيره وضعته فى صندوق وألقته فى نهر الفرات حيث التقط بعد ذلك .
٢) السير ليونارد وولى ، مدخل الى علم الآثار ص ٢٢٢ ، ترجمة الدكتور حسن باشا .

البروفسور جون ولسون [1] ..

والمؤلف الآخر هو كتاب نمو الحضارة لمؤلفه و . ج .بري [2]

هذا عدا المؤلفات التاريخية الأخرى التى سنشير اليها فى حينها فى هامش هذا العرض التاريخى ، ومنها على وجه الخصوص كتاب قصة الحضارة لمؤلفه العالم ديورانت ، وكتاب المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي .

نظرية مصر مهبط الوحى :

اما عن كتاب نمو الحضارة فيقرر مؤلفه و . ج . بري وكذلك غيره من المؤرخين :

إنه حوالي عام ٦٠٠٠ قبل الميلاد ، وفى مكان ما من الشرق الأدنى بدأت الحياة النيوليثية ، وانه منذ عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، كانت القرى الزراعية قد انتشرت انتشارا واسعا فى الشرق الادنى فى كل المساحة الممتدة من حوض الفيوم وحتى ايران .. وتوجد احتمالات قوية بأن استئناس الماشية كان فى هذا المكان من الشرق الأدنى [3] .

أن وادي النيل (جنة الله) هو اصل الحضارة الانسانية ومهدها ، وانها انتقلت من وادي النيل الى غيره من البقاع الأخرى من العالم ، وانه ليس من المعقول ولا من المقبول ان تكون حضارة انتاج الطعام مثلا ، قد نشأت فى بقاع مثل أمريكا او استراليا او اندونيسيا أو ما شابهها من الأماكن ، لذا فاننا اذا اردنا ان نعرف الجهة التى بدأت فيها مرحلة انتاج الطعام ، فلابد ان تتجه ابصارنا الى شواطىء البحر الابيض ، وهذه المنطقة لا تضم وادي النيل وحده وانما تضم معها مواطن اخرى ، منها كريت وبابل وعيلام (العاصمة القديمة لفارس) وسوريا وسومر . فهذه المجموعة من المواطن قد شكلت اقدم حضارة معروفة لدينا حتى الآن ، وهذه الحضارات وان

---

(١) يقول الدكتور احمد فخرى مترجم الكتاب عن المؤلف ما نصه : ليس الدكتور جون ولسون ، مؤلف الكتاب غريبا على التاريخ المصرى ، وليس بالشاب الناشىء الذى ينشر باكورة أعماله وينتظر الحكم عليه بقلب واجف، بل نشأ الدكتور ويلسون منذ فجر شبابه فى دراسة تاريخ مصر وآثارها ، ولم يكتف بما حصل عليه من العلم فى امريكا ، بل ذهب ودرس فى اوروبا ، وخاصة فى المانيا ، كما قضى ايضا عدة سنين فى مصر ، يعمل منذ سنة ١٩٢٦ الى سنة ١٩٣١ ، فى معهد شيكاغو للآثار المصرية فى الأقصر ، مشتركا فى الحفائر والنقوش ، ثم عاد بعد ذلك لتدريس علوم التاريخ والآثار المصرية فى جامعة شيكاغو ، ورقى الى كرسى الأستاذية فى تلك الجامعة عام ١٩٣٦ ، وهو فى السابعة والثلاثين من عمره .. كان ولسون فى صدر شبابه مساعدا لأستاذه المؤرخ الأمريكى الكبير جيمس هنري .. لقد كتب الدكتور ولسون كثيرا ، ولمؤلفاته فى بعض النواحى الدينية فى الحضارة المصرية مكان مرموق ، كما نشر فى عام ١٩٥٠ ترجمة جديدة لأهم النصوص التاريخية المصرية . وظهر كتابه الذى بين ايدينا فى عام ١٩٥١ ثم اعيد طبعه عام ١٩٥٤ .

(٢) من منشورات وزارة التربية ، سلسلة الألف كتاب ، من نشر مؤسسة روز اليوسف .

(٣) وليم هاولز ، ما وراء التاريخ ، ترجمة . احمد ابو زيد ص ١٨٥ - ١٨٨ .

اختلفت مواطنها الا انها تتشابه فى جوهر ثقافتها ، وهى فى النهاية تشبه بالتبعية الثقافة المصرية القديمة ، وكل المعلومات المتوفرة حتى الآن تدل على ان مصر هى مهبط الوحى .

ان وادى النيل هو المنطقة الوحيدة التى تتوافر فيها شروط انتاج الطعام ، كما انها انفردت بميزات خاصة وظروف وعوامل طبيعية نادرة ، حفزت انسان العصر القديم الى ان يظعن الى دلتا وادي النيل ليستفيد من الوسائل والظروف المواتية لتنمية خبرته ومهارته فى استثمار الارض والماء .

وقد كان لهذه العوامل الطبيعية دور مهم فى نمو الحضارة المصرية ، حيث ان فيضان نهر النيل (ملك الأنهر) كان يأتى فى أواخر الصيف وأوائل الخريف . فهذا الفيضان يحمل ويمد ارض مصر الزراعية بالغرين والماء .

وبعد تقسيم الأرض الى حياض ، تمكث المياه فى هذه الحياض . ثم تعاد هذه المياه الى النهر بعد هبوط مستواه وبعد ان تكون المياه قد تركت على سطح الحياض طبقة من الغرين ، ان انحسار المياه فى وقت هو اصلح الاوقات للزراعة ، وبعد ان تنشر بذور المحاصيل الشتوية فى الطين اللزج ، يؤدى الى نمو دونما حاجة الى سقى ، فرطوبة الارض داخل الحياظ تكفى وحدها لنضجها .

وهذه الطريقة (طريقة الري الحوضى) والتى مارسها المصريون منذ بداية التاريخ ، تفوق طرق الرى الاخرى عظمة وتأثيرا ، مما جعل مصر حقيقة جنة الله [١] . فاذا ما اعطت الزراعة ثمارها بهذه الطريقة ، جاء بعد ذلك فصل الشتاء المطير [٢] . وهكذا تستمر الدورة فتستمر الحياة .

ومن الممكن ان نجزم ان وادي النيل يفوق اى مكان آخر فى العالم ، يحتمل ان يكون الانسان قد اكتشف الرى فيه وعرف اسراره ، وعلى هذا الاساس وعند المقارنة لا يمكن ان يكون انسان بلاد النهرين قد وصل الى خبرة وتجارب الفلاح المصرى .

فاذا ما جاوزنا الحديث عن الزراعة والرى ، وهى الركيزة الاساسية التى بنت عليها مصر حضارتها القديمة ، واتجهنا نحو مظاهر الحياة الاخرى ، وجدنا ان التاريخ قد اثبت بأن اقدم ما كتب فى الطب هو من مخلفات قدماء المصريين سجلوها فى لفائف من البردي .

---

١) ويليام ويلكوكس ، من جنة عدن الى نهر الأردن ، ص ٨ ـ ٩ .
٢) تاريخ الحضارة المصرية «العصر الفرعونى» المجلد الأول ـ ص ١٦ ، من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى .

ويظهر من بعض عبارات وردت فى اوراق البردي ان هذه الكتابات ترجع الى مؤلفات كتبت فى ازمنة سابقة ، ويستدل على ذلك بأن بعضها منقول عن نصوص اقدم منها ، لكنها لم يعثر عليها بعد . ولاحظ الباحثون ان كتاب الفصول (لأبقراط) اشتمل على كثير مما سجل فى برديات قدماء المصريين ، وهذا مما يؤيد ان العلوم نشأت اولا فى مصر ثم انتقلت بعد ذلك الى اليونان . وقد كان للأطباء المصريين منزلة رفيعة فى جميع انحاء العالم لألوف من السنين . ويعتقد (هومر) انهم احسن ممن كان فى زمانهم .

وكانوا يستدعون لمختلف الاقطار للعلاج والتطبيب حتى حوالى القرن السادس قبل الميلاد ، حين حل بدلهم الأطباء اليونان [(١)]

وقد بلغت صناعة الطب فى مصر الفرعونية مبلغا تخطت عنده الأصول الى الفروع وبات اصحابها يتخصصون فى فروع مختلفة من الطب منذ اعرق العصور . فها هو (حسي ـ رع) اقدم طبيب عرف فى التاريخ من عهد زوسر منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، يلقب بكبير اطباء اسنان القصر .

وقد علت شهرة الأطباء فى مصر فملأت اسماع الدنيا ، وارسل الأباطرة ، امثال (كيروش) ملك فارس الى فراعنة مصر ، يرجون ان يبعثوا اليهم ببعض اطبائهم ليعملوا فى بلاطهم ، وقد كان عشاق هذه الصناعة يحجون الى مصر من كل فج ، ويلجأ الى اطبائها الأمراء والحكام يلتمسون عندهم البرء والشفاء .

ولم ينحصر التطبيب لدى المصريين القدماء على مداواة البشر ، بل تعداه الى علاج الحيوانات ، فقد بلغ الطب البيطرى لدى قدماء المصريين باعا طويلا ، وكذلك الحال بالنسبة لطب الأسنان .

وقد كان المصريون اول من اخترع عادة الختان فى التاريخ ، فقد عثر على رسمين ، احدهما فى سقاره ويرجع تاريخه الى الدولة القديمة ، والآخر فى الكرنك ، وهما يصوران بوضوح عملية الختان .

---

(١) الدكتورة آمنة صبري مراد ، لمحات من تاريخ الطب القديم ، مكتبة النصر الحديثة، القاهرة، ص ٣١.

كما انه لا يمكن اغفال اسبقية ومهارة المصريين فى اجرائهم التحنيط وقد مرت هذه العملية بعدة مراحل ، حيث كانت فى بداية امرها مقصورة على الفراعنة والاعيان ، الا انها مع مرور الوقت انتشرت بين افراد الشعب (١) .

وقد كان انسان وادي النيل اول من بنى القرى التى سرعان ما تحولت الى مدن ، انتشرت بعد فترة على طول ضفاف النيل ، وفى مجال الادارة والسياسة استطاع الملك (مينا) ان يقيم اول وحدة سياسية وادارية عرفها الشرق فى العصر القديم ، وقد ساعدته هذه الوحدة السياسية فى المحافظة على الامن فى الداخل والدفاع ضد الاغارات الخارجية ، وكذلك الاهتمام بالمشروعات العامة .

ولقد خلبت فكرة الحياة بعد الموت عقول المصريين القدماء ، كما لم تخلب ألباب غيرهم من الشعوب ، فأصبحت أمور الموتى شغلهم الشاغل فى غدوهم ورواحهم .

على انه ، مهما بدت لنا فكرة المصرى القديم عن الحياة بعد الموت فكرة بدائية ومادية ، الا انه يجب ان نسلم ، بأنها كانت سببا فى انتاج عدد من اجمل واروع ما قدمه العالم القديم من اعمال فنية للانسانية على الاطلاق .

فلولا تلك الحوافز والنوازع التى جاءت نتيجة دوافع عملية ، لما كان بامكان هؤلاء المصريين القدماء ان يصنعوا جزءا ولو قليلا من ذلك العدد الكبير والكم الهائل من التماثيل والنقوش والكتابات ، والتى اجمع الناس على الاعجاب والانبهار بها .

لقد تحولت الحفرة المتواضعة التى كان يدفن فيها الميت الى قبر اكثر عمقا ، ثم الى غرفة للدفن تحت الارض ، ثم الى عدة حفر مدفونة (شقق) تحت الارض .

ثم لم يلبث المصريون ان اقاموا فى القبر مصطبة ، ثم تحول القبر المصطبه الى عمل معمارى فنى هائل ، هو الاهرامات التى بقيت شاهدا على عظمة المصريين القدماء ، حيث بلغ علم الرياضيات عندهم درجة من التقدم ، فقد كانت تعالج مسائل حسابية مثل مساحات الارض ومشكلات حجم الاهرامات ومقدار العمل والمواد اللازمة (٢) .

(وقد حاول كثير ممن كتبوا عن الهرم الاكبر ان يعقدوا مقارنات بين حجمه وحجم بعض المبانى الاخرى المشهورة ، فحسبوا مثلا ان مبانى البرلمان البريطانى وكنيسة القديس بولس فى لندن يمكن وضعها جميعا داخل مساحة قاعدته ، وتبقى منها مساحة كبيرة خالية .

---

(١) بول غليونجي وزينب الدواخلي ، الحضارة الطبية فى مصر القديمة ، دار المعارف ، الصفحات٩ ـ ٣٣ .

(٢) وليم هاولز ما وراء التاريخ ـ ترجمة د . احمد ابوزيد ـ ص ٤٦١ ـ ٤٦٨ ، أهرام مصر ، ترجمة مصطفى احمد عثمان ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

وفى حساب آخر عن مساحة الهرم انها تسع كاتدرائيات فلورنسا وميلان والقديس بطرس فى روما ، كما تسع دير وستمنستر وكنيسة القديس بولس . كما حسبوا ايضا انهم اذا قطعوا كمية احجار الهرم الى مكعبات بحجم قدم مربع ، ووضعت هذه المكعبات فى صف واحد فانها تمتد الى مسافة طولها ثلثا محيط الكرة الارضية عند خط الاستواء) [١] .

فهرم الجيزة الاكبر يمثل اقصى ما وصلت اليه مجهودات وتجارب بناة الاهرام ، فليس هذا الهرم هو اعظم ما شيده المصريون من نوعه فحسب ، بل هو يمتاز ايضا بذلك الاتقان المعجز فى هندسته والدقة فى تخطيطه وجمال نسبه ، ولا غرو انه كان وما يزال اهم عجائب الدنيا السبع [٢] .

وبالرغم من اهتمام قدماء المصريين بالآلهة وبحياتهم بعد الموت ، الا انهم فى [٣] ذات الوقت لم يهملوا انفسهم وحياتهم اليومية العادية ، فاهتموا بمنازلهم فأقاموا القصور الفارهة والمساكن الفخمة لدرجة ان اصبحت عاصمة الحكم فى عهد (رمسيس) الثانى عاصمة فريدة لا تعادلها اية عاصمة فى العالم القديم ، وكذلك سائر المدن الكبرى ، فقد استعمل فى البناء الذهب واللازورد والفيروز . ولقد بلغ الانسان المصرى القديم درجة متقدمة من الترف والرفاهية يحسده عليها سكان الممالك الكبرى فى ذلك الوقت .

كما ان العلاقات العاطفية بين المحبين قبل الزواج كانت من الامور الضرورية ، وقد كان من الطبيعى ان نقرأ الأغانى الغرامية المكتوبة على اوراق البردي التى تظهر ان الشباب كانوا يتمتعون بقدر كبير من الحرية فى اختيار شريكة الحياة . فالأغنية التالية يصف فيها فتى فتاة جميلة فيقول عنها ان (شعرها اسود ، بل اشد سواداً من الليل ومن حبوب اشجار الخوخ البري وشفاهها حمراء بل اشد حمرة من العقيق ومن البلح الناضج ، ونهداها بارزان فى تناسق جميل فوق صدرها) وكانت لديهم منتجات للتجميل ولتجديد البشرة ولتقوية الجسم ، واخرى لازالة البقع وحبوب الوجه . فكانوا يستعملون مثلا لتقوية البشرة مسحوق المرمر او مسحوق النطرون او ملح الشمال

١) الدكتور احمد فخري ، الإهرامات المصرية ، ص ١٤٥ .
٢) بيير مونتييه ، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ، ترجمة عزيز مرقص منصور ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ٩٥ .

ممزوجا بالعسل . كما توجد وصفات اخرى اساس تركيبها لبن الأتان ، اما جلد الرأس فقد كانوا يعتنون به عناية كبيرة دائمة ، تتمثل تارة فى انتزاع الشعر الاشيب ، او تسرب الشيب الى شعر الحواجب ، وتارة اخرى فى العمل على تلافى الصلع او اعادة نمو الشعر . وكانوا يعلمون ان زيت الخروع احسن علاج لذلك ، كما كانوا يعرفون كيف يصلون الى ازالة شعر الجسم والعذار . وكان فى متناول النساء تركيب خاص تسقط به الزوجة شعر ضرتها اذا ما ارادت الكيد بها .

وقد بلغوا شأواً عظيما فى التأنق فى الطعام والشراب (فبعد ان يفرغ رب الاسرة من الاغتسال وارتداء ملابسه ، يقدم له طعام الافطار المكون من قطعة من الخبز وكوب من الجعة وشريحة من لحم الفخذ وقطعة من الفطائر .

اما قائمة طعام الوجبتين الرئيسيتين ، فكانت تحتوى على لحوم طيور وخضر وفاكهة الموسم وفطائر والجعة التى تلازمها دائما .. وقد احتوت المجموعات الأثرية للأدوات المنزلية على مجموعات من الاطباق مختلفة الأشكال ومتعددة الانواع ، منها خاص بتناول الحساء والطعام المدهون والأطباق المملوءة بالصلصة والخشاف ومشهيات الطعام والقشدة . ويضم متحف اللوفر مجموعة رائعة من الملاعق المصنوعة من الخشب وقد زينت مقابضها بأشكال جميلة لطيفة للغاية) [1] .

. وبزت التقاليد الاجتماعية فى مصر القديمة مثيلاتها فى الحضارات الاخرى . فقد تجنبت زواج المحارم سواء بفطرتها او بتشريعاتها منذ فترات مبكرة من التاريخ القديم . اما ما يرويه المؤرخون من زواج الأخ بأخته فانما هو على سبيل الاستثناء وفى بعض الاسر الملكية من اجل تحقيق اهداف سياسية ، المقصود منها تحقيق استقرار الملكية ووحدتها بزواج الاخ بأخته غير الشقيقة .

اما بقية طوائف المجتمع المصرى فقد جرى تبادل لفظ الاخوة بين الزوجين على اساس معنوى بحت يقصد به مودة التراحم وروح التعاطف ، وهى عادة حميدة تحسدها عليها الحضارات الاخرى . (وفى بحث تقصى نحو ٣٥٠ زيجه مصرية تبين انه لا يوجد بينها غير مثل واحد مؤكد لزواج شقيقين من بعضهما ، وكانا من اصل ليبى فى عصر الاسرة الثانية والعشرين ، وان ما يعتوره الشك من حالات اخرى معدودة ، يحتمل ان يكون قد تم فى اسوأ حالاته من غير الاشقاء [2] .

---

(١) بيير مونتيه ، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ، ترجمة عزيز مرقص منصور ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، الصفحات ١١٩ - ١٢١ .

(٢) عبدالعزيز صالح ، الأسرة المصرية فى عصورها القديمة ، ص ١٤

وللمصريين فضل السبق فى معرفة الفنون ، فهم أول الأقوام التى مارست نحت الخشب ، كما انهم اول من حفروا الرسوم الصخرية ، وقد كانوا منذ ذلك الوقت القديم يعيشون على القنص وصيد الاسماك ، فابتداء من العصر الأليوليتي (٦٠٠٠ ـ ٥٠٠٠) قبل الميلاد طبقا للتقدير المعقول الذى وضعه (دو موجان) نشأت ظواهر فنية تجلت فى الأوانى الفخارية والادوات الصوانية وغيرها من الادوات المنزلية [١] .

ولقد كان المصريون القدماء اول من اخترع فن بناء السفن ، وهم طليعة من شيدوا اول المراكب التى جابت المحيطات المعروفة فى ذلك الوقت ، فالى مصر وحدها يرجع الفضل فى انها كانت الرائدة الاولى فى بناء السفن وتسييرها .

كما ومن المحتمل ان يكون للمصريين فضل السبق على الاقوام الاخرى فى اختراع الادوات الحجرية المصقولة ، فهم اول من اوجد الازميل واستعمله فى تشكيل الصخور .

وهناك ابتكاران آخران يعتبران من اهم الاختراعات التى جادت بها العقلية البشرية ، ويعود الفضل فى ابتكارهما الى المصريين القدماء وحدهم ، هذان الابتكاران هما الحروف الأبجدية والتقويم الشمسى .

ومصر القديمة قد سبقت العالم فى كل شىء ، سبقته فى التصوير ، والزخرفة ، والنحت ، وهى اول من اوجد النواة الأولى للعلم والمعرفة ، فعلى ضفاف وادي النيل انشئت اول جامعة علمية فى التاريخ (عين شمس) ويرجع تاريخ هذه الجامعة الى اكثر من ستة آلاف عام [٢] .

وقد بز المصريون كل الشعوب القديمة فى السيطرة على مواد متباينة الأنواع ، ولم يبلغ اى من المجتمعات القديمة المستوى الذى بلغه المجتمع المصرى القديم ، ولم يستطع احد ان ينازع المصريين فى تفوقهم الكلى الشامل .

والمصريون هم اول من رسم الشعور المستعارة المتموجة والحلى والاقراط الكبيرة ، والملابس الشفافة التى تنم عن قدود مياسة جميلة تدور لها الرؤوس [٣] .

ويواصل و . ج بري حديثه فى اثبات تفوق حضارة وادي النيل على باقي الحضارات فيقرر ايضا ، ان المصريين هم اول من جلب المعادن مثل الرصاص

---

١) كريستيان ديروش نويلكور ، ترجمة محمود خليل النحاس واحمد محمد رضا ، سلسلة الألف كتاب ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

٢) جان يويوت ، مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، ص ١٨ .

٣) الدكتور محمد انور شكري ، الفن المصرى القديم ، ص ٨ .

والنحاس والحديد الخام وحجر اللازورد والميكا والحجر الزجاجى ، جلبوا كل هذا بواسطة مراكبهم التى اخترعوها .

كما ان مصر هى التى علمت جميع الشعوب المنتجة للطعام اساليب الزراعة والرى والحصاد بما قدمته من آلات وادوات .

ان اهم حضارتين فى العالم ، لا فى بلاد الشرق الادنى وحدها ، هما حضارة مصر وحضارة ما بين النهرين ، وان جميع ما ظهر من حضارات اخرى فى العالم القديم ، وبخاصة فى اوروبا وغربى آسيا وشمال افريقيا ، استمدت اسبابها من واحدة منهما او من الاثنين معا .

ولم يفت الدكتور احمد فخرى ان يتساءل هو الآخر ، فهو منذ عام ١٩٥٠ يعقد المقارنة بين حضارتى مصر والعراق ، فيقول : ايهما اقدم من الاخرى ؟

اختلف علماء التاريخ القديم اختلافا كبيرا عند الاجابة على هذا السؤال فى ابحاثهم التى ظهرت فى الثلاثين عاما الاخيرة ، فمنهم من تعصب ومازال متعصبا لمصر ، ومنهم من تعصب ومازال متعصبا للعراق ، ولكن تعصب هذا العالم ، او شك ذلك الباحث لا يغير من حقيقة الامر شيئا .

فقد نشأت فى الألف الرابع قبل الميلاد فى كل من مصر والعراق ثقافات قائمة بذاتها ، واخذ كل منها يتقدم على انفراد . وتطورت الحياة الاجتماعية فى كل من البلدين تطورها الطبيعى ، وقد تمكن سكان العراق القدماء من الوصول فى بعض النواحى الى درجة من التقدم جعلتهم يسبقون اخوانهم فى وادي النيل ، فوصلوا الى ما لم يصل اليه سكان مصر فى العصر الذى نسميه عصر ما قبل الاسرات .

كتبت هذا منذ اربعة عشر عاما ، وبالرغم من ظهور عشرات الكتب والبحوث منذ ظهور ذلك المقال ، فلم يجد شىء يغير من هذه النتيجة . لقد نمت الحضارة وتطورت فى كل من مصر والعراق على حدة ، واتخذت كل حضارة منهما اسلوبها المحلى الخاص ، ولكن البلدين كانا متصلين عن طريق التجارة فى اواخر الالف الرابع قبل الميلاد ، فوصلت الى مصر بعض السلع العراقية . ولم تكن مصر فى ذلك الوقت اقل حضارة او ثقافة من العراق بل كانت تفوقها فى نواح كثيرة .

لقد حققت الحضارة السومرية الشىء الكثير فى مختلف الميادين ، ولكننا اذا قارناها بحضارة الدولة القديمة فى مصر لرأينا الحضارة المصرية متفوقة عليها ، اللهم الا فى ميدان الأدب والأساطير .

لقد عرفنا من دراسات اللوحات السومرية وبعض الآثار الاخرى شيئا غير قليل ولكنا نعرف اكثر من دراستنا لما تركته الحضارة المصرية من مئات المقابر التى نقشت جدرانها فى سقارة والجيزة ، وما كتبوه من نصوص داخل الاهرام ، وما خلفوه فى عشرات المناطق الاثرية والمقابر ، وآلاف الآلاف من القطع الاثرية المختلفة مدى ما بلغته الحضارة المصرية فى جميع النواحى الحضارية [١] .

لقد سبق الفراعنة الآخرين فى بناء الحضارة ، كما سبق مسحوقوهم من افراد الطبقة الفقيرة غيرهم من مسحوقى الحضارات الاخرى ايضا ، ذلك لأن الفلاحين واشباه العراة الطيبين الذين روضوا على القناعة ، وعاشوا على صغار الاسماك ، وحرموا طعم اللحم الشهى الا فى النادر كانوا يكدحون تحت اعين رؤساء الفرق والمديرين وهم يرددون اغانى العمل القديمة . ولاشك فى ان تلك الجماهير المجهولة هى التى نفذت اعمال الرى الكبرى ، وبخاصة نقل الكتل الحجرية الضخمة اللازمة لبناء الاهرام .

ويقال ان الشعب فى القرن الرابع ق . م كان يتحدث عن (خوفو وخفرع) كطاغيتين مكروهين ، وانهما عرضا رخاء البلاد للمخاطر من اجل اقامة المدافن الضخمة . ولكن بعض المؤرخين يرفضون هذه الادانة التى اوردها (هيرودوت) ، ويزعمون بأن رعايا الملك كانوا يتقدمون طواعية للعمل فى بناء الهرم بصفته الرمز المادى لقربان العدالة المقدم الى آلهة الشمس ، لكى يضمنوا لأنفسهم البعث فى العالم الآخر . غير ان الاشراف على العمل نفسه كان بأيدى الجيش ، مما يدعو الى الظن بأن هذه الايدى العاملة كانت تشتغل تحت الاكراه والقهر [٢] .

خلاصة القول بالنسبة للفكرة القائلة بأسبقية الحضارة المصرية على غيرها من الحضارات الانسانية ، يرى غالبية الدارسين لهذا الموضوع ان :

مصر هى موطن الحضارة الأول بلا منازع .

وهم يبنون هذا الاعتقاد على اساس انه لا توجد دلائل مؤكدة تثبت اسبقية بقاع اخرى على وادى النيل فى هذا المضمار . وحتى سومر وعيلام (عاصمة فارس القديمة ، وهم البلدان اللذان يقال ان لثقافتهما تأثير فى الحضارة المصرية ، من الممكن القول بالنسبة لهما ايضا بأن هناك الكثير من الأدلة التى تثبت بأن حضارتيهما كليهما قد استوردتا من الخارج .

---

١) الدكتور احمد فخري ، دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، الطبعة الرابعة ، الصفحات ٢٤ ـ ٣٣ .

٢) جان يويوت ، ترجمة سعد زهران ، ص٤٦ ـ ٤٧ .

ومن الجدير بالملاحظة ان و . ج بري نفسه يستدرك مع انه يذهب بعيدا فى كيل المديح للحضارة المصرية عندما نجده يقرر فى كتابه (نمو الحضارة) بأن هناك غيره من المؤرخين ممن يؤكد ان الكتابة والازميل قد وفدا على مصر من الشرق ، وبالتحديد من سومر وعيلام .

ثانيا : محاولة معرفة اى الحضارتين اسبق من الأخرى :

تقييم النظرية السابقة :

مع ان غالبية علماء التاريخ والآثار تؤكد ـ كما رأينا ـ على اسبقية الحضارة المصرية على غيرها من الحضارات الانسانية ، او كما يرى بعض منهم ان الحضارات الانسانية الاخرى كلها ، ما هى الا وليدة ومن نتاج الحضارة المصرية القديمة .

الا ان هذا الاعتقاد ، ربما يكون راجعا على الأرجح الى اقدمية واتساع اعمال التنقيب فى مصر من جهة ، والى ندرتها او عدم وجودها اصلا فى البلدان الاخرى من جهة اخرى ، هذا بالطبع اذا استثنينا الحفريات التى جرت فى وادى الرافدين وفارس فى السنوات الاخيرة ، حيث بدأ النشاط يدب لدى علماء الآثار ، فأزيح الستار عن حضارات اخرى يرجح علماء الآثار اسبقيتها على الحضارة المصرية القديمة .

فالحفريات الكثيرة التى اجريت فى جنوب العراق ـ مملكة سومر قديما ـ والحفريات التى اجرتها شركة (أرامكو) وكذلك البعثة الدنماركية على طول الساحل الشرقى من شبه جزيرة العرب ، هذه الحفريات كشفت كثيرا من الغموض الذى كان يكتنف تاريخ هذه المناطق ، وظهرت كتابات جادة فى هذا الشأن . وليس مؤلف البروفسور جون ولسون (الحضارة المصرية) الا اعادة نظر فى كل ما كتب عن الحضارة المصرية واسبقيتها على الحضارات الاخرى .

يحاول البروفسور ولسون ، من طرف خفى ، ان يشكك فى قيمة الاعمال التاريخية عن الحضارة المصرية التى تمت قبل طبع كتابه سنة ١٩٥١ ، فيقول فى هذا الشأن :

اننا اذا ما اردنا ان ندون تاريخا صحيحا ومؤكدا عن مصر ، وجب ان تتوفر لدينا مكتبة ملأى بالكتب عن مصر القديمة ، وان يكون لدينا مجلدات من المترجمات لجميع انواع النصوص المصرية ، شريطة ان تكون هذه المجلدات مترجمة ترجمة حديثة وصحيحة ، وكذلك ان تكون لدينا مجلدات موضوعة على اساس علمى منظم ، تشتمل على تحليل ودراسة لكل ما خلفته مصر القديمة

وفى اليوم الذى يتم فيه هذا العمل وتصبح فى متناول ايدينا كل هذه المواضيع ، يستطيع المؤرخ بعدئذ ان يتقدم الينا بدراساته المحتوية على آرائه التى يحاول من خلالها ان يعطينا :

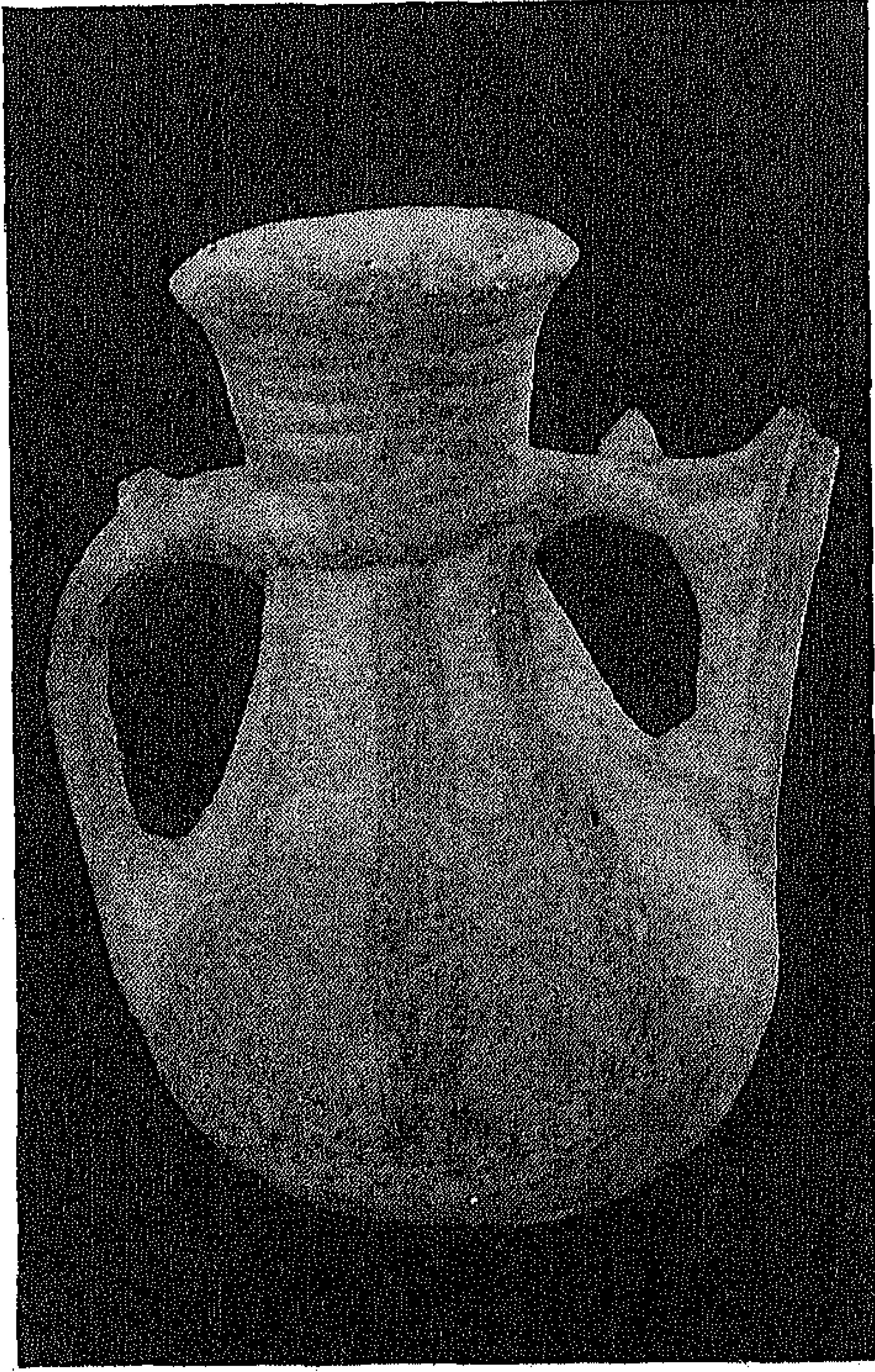
«معنى» وقيمة» القصة التاريخية .. لمصر القديمة .

ويسترسل البروفسور جون ولسون فى تشكيكه وتشككه ليقول :

انه لم يكن للمصدرين الأساسيين الذين يعتمد المؤرخون وعلماء الآثار عليهما ، وهما النصوص المدونة والمخلفات الفنية ، صلة بتقدم الزمن او تسلسل السبب بالنتيجة ، وذلك لأن فهم القدماء للحقائق التاريخية مختلف عن فهمنا نحن الآن ، كما ان العقلية الشرقية القديمة ما هى الا عقلية صانعة للأساطير !!

ويقول ايضا :

وبناء على هذا الايضاح يصبح تاريخ الحضارة المصرية على مدى ثلاثة آلاف سنة قبل التاريخ ، نوعاً من الحكم أو الأمثال التي تأتينا من بعيد .[1].



● من المكتشفات الأثرية فى البحرين .

نرى من الحيثيات السابقة ان المؤلف يحاول ان ينسف ، من الأساس ، قصة ان الحضارات الأخرى هى وليدة الحضارة المصرية القديمة ، فيذكر ان مصر طوال تاريخها كانت تعيش دوما في عزلة من الناحية الجغرافية ، فعلى الناحيتين الشرقية والغربية من نهر النيل توجد صحاري شاسعة واسعة ، وهو يعتبرها موانع طبيعية لا يمكن للإنسان التغلب عليها .

---

١) انظر جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة الدكتور احمد فخرى ، المقدمة ص ٢٥ ـ ٣٤ .

ليس هذا فحسب ، بل انه من الناحية الشمالية والشرقية توجد صحراء «سينا» وهى من الاسباب التى اضعفت صلة مصر بآسيا ، فعلى المسافر الذى يريد ان يتجه شرقا نحو فلسطين ان يقضى من خمسة الى ثمانية ايام يقطع فيها صحراء قاحلة ماحلة هي سيناء ، ولا يختلف الحال كثيرا اذا ما اراد المسافر الوصول الى البحر الاحمر عبر الصحراء الشرقية (١) .

هذا عن السفر الى خارج مصر بطريق البر ، فاذا اراد المسافر استخدام البحر فان المؤلف يقرر :

(ان سكان مصر فى عصر ما قبل التاريخ لم يجرؤا أبدا على المغامرة بالسفر فى البحر الأبيض ، نظرا لصغر حجم سفنهم ، وقلة متانتها ، وعدم خبرتهم فى شئون الملاحة) (٢) .

فكل الشواهد تشهد على ان المصريين لم يعرفوا الملاحة الا بعد عصر ما قبل التاريخ ، ومنذ هذا العصر بدأوا يبنون السفن ، ولكن لاستخدامها فى نهر النيل فقط ، وعندما حاولوا ان يسيروا بها فى البحر لم ينجحوا فى هذا السبيل .

ويرى المؤلف انه نظرا لتخلف المصريين عن جيرانهم فى شئون الملاحة ، فانه من الثابت ان اهالى (كريت) هم الذين بدأوا الاتصال بالمصريين وليس العكس ، بل وما زالت مصر منذ ذلك التاريخ البعيد وحتى وقتنا الحاضر بلدأ زراعياً يتكدس سكانها تكدسا غريبا على مقربة من بعضهم البعض (٣) .

ويرد البروفسور ولسون على كل المؤرخين الذين يزعمون بأن مصر هى اصل الحضارة ومهبط الوحى فيقول :

ان الحضارة المصرية القديمة ما هى الا مزيج من التأثيرات الآسيوية ، وتأثيرات اخرى من شعوب البحر الابيض التى تأثرت بها الدلتا بالذات ، مع تأثيرات افريقيا كان لها اثرها الكبير فى الصعيد (٤) هذا كله بالرغم من عزلة مصر النسبية .

---

(١) انظر جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة الدكتور احمد فخرى ، المقدمة ، ص ٤١ .

(٢) ذات المصدر .

(٣) نقرأ فى احد نصوص الدولة الوسطى وما كتبه شخص من مصر السفلى «الدلتا» عندما وجد نفسه فى مصر العليا «انى لا أدري ما الذى جعلنى أفارق موطنى لقد كان ذلك كالحلم» .

(٤) ذات المصدر ص ٤٩ .

ويقف البروفسور ولسون موقفا صريحا ، لا لبس فيه ولا غموض ، من كل المؤرخين الذين زعموا بوجود حضارات كثيرة عاشت فى مصر فى عصر ماقبل عهد الأسرات (٣١٠٠ قبل الميلاد) مثل حضارة الفيوم وحضارة مرمدة ، وحضارة بني سلامة ، وفى وادى حوف وديرطاسا[1] .

وحضارة البداري (الوسطى والحديثة)[2] ، بهذا التقرير الجازم الحاسم .

«إننا لانعرف شيئا كثيرا عن جنس من عاشوا في مصر فى عصر ماقبل الأسرات ، بل كل ما نعرفه فى هذا الموضوع سلبي فى مجموعة .

ولا يمكننا بحال من الأحوال الإعتماد أو التعويل عليه»[3] .

ويتابع البروفسور ولسون :

إن المواد الأثرية التي إكتشفت في المدافن ، وهي مواد فى معظمها لاتوجد فى مصر ، مما يحتم بالضرورة ، القول بوجود صلة تجارية متبادلة بين مصر وجيرانها ، لكن القول بوجود هذه الصلات التجارية ، لايحتم بالضرورة أن تكون القوافل المصرية هي التى كانت تقوم بإستيراد هذه المواد من البلدان المجاورة ، بل القول الأرجح أن هذه السلع قد قدمت إليها من بلاد بعيدة ، وكان إنتقالها من منطقة إلى اخرى إنتقالا غير مباشر ، ولم تأخذ طريقا واحدا بعينه ، وهي فى سبيل إستقرارها فى نهاية المطاف فى مصر القديمة .

كذلك فإن الزعم الذى نسبه بعض المؤرخين إلى المصري القديم ، بأنه هو الرائد ، وهو الذى إخترع التقويم السنوي وجعله (٣٦٥) يوما منذ عدة قرون سابقة على تاريخ الأسرة الأولى .

هذا التقويم إتضح الآن بأنه أمر لايمكن التمسك به ، ويؤكد جميع المؤرخين وعلماء الآثار الآن ، بأن هذا التقويم نشأ بعد أن بدأ عهد الأسرات بمدة طويلة .

---

١) الدكتور محمد انور شكري ، الفن المصرى القديم ، ص ١١ - ٢٨ .

٢) جان يويوت ، مصر الفرعونية ، ص ١٩ .

٣) الدكتور جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ص ٥٩ ، ترجمة الدكتور أحمد فخري .

وعليه فإن الإستناد إلى زعم إختراع هذا التقويم لايصلح أن يكون حجة بأن المصري الذى عاش فى منتصف عصر ما قبل الأسرات كان ذا قوة خارقة ونادرة فى الذكاء(١) .

أما بالنسبة لعجلة الفخار فيبدو أنها هي الأخرى لم تعرف طريقها إلى مصر إلا فى العصر التاريخي ، أى عهد ما بعد الأسرات ، ولايكتفى البروفسور ولسون بدحض الإدعاءات بأسبقية الحضارة الفرعونية على غيرها من الحضارات ، بل هو يؤكد بأن حضارة (سومر) في العراق ، هي التي أثرت في الحضارة المصرية القديمة ، فيقرر أن لحضارة العراق أثرا واضحا فى الحياة المصرية فى عصر ماقبل الأسرات .

وأن التطور الحضاري الذى حدث فى مصر القديمة فى عهد ما قبل الأسرات ، كان فى الواقع تطورا داخليا بحتا إذ كانت مصر فى ذلك الوقت منكفأة على نفسها ، ولكن بالرغم من هذا التقوقع لم تجد مصر غضاضة ، بعد ذلك ، فى آخر عصر ما قبل الأسرات فى قبول بعض مظاهر حضارية محدودة ذات طابع عراقي . فالختم الإسطواني الذى عثر عليه فى مصر كان معروفا ومعمولا به في العراق قبل أن تعرفه مصر القديمة .

وكذلك الحال بالنسبة للمبانى الضخمة ، والزخارف الفنية ، فهي قد نشأت أصلاً في العراق وكانت غريبة عن مصر ، وعلى سبيل المثال فإن رسم المجموعات المتماثلة المقابلة لبعضها البعض ، كرسم البطل الذى يقبض على حيوانين متماثلين ، أو رسوم الحيوانات الخيالية التى تتكون من أجزاء مختلفة من حيوانات عدة ، إن هذه الرسوم يمكن القول عنها أنها من نوع عراقي معروف .

أما بالنسبة للكتابة فيقرر الدكتور ولسون :

ولكن لابد من القول أن أهم تلك العناصر التي نشك في أن مصر قد إستعارتها عن العراق ، هي فكرة الكتابة . ولكن يمكن القول في هذا الشأن أنه بالرغم من هذا التشكك هو أنه كان للعراق شيء من هذا القبيل منذ بضع قرون خلت وذلك على رقم من الطين ، ثم تطورت تلك الكتابة تدريجيا ، حتى أصبحت تدوينا صحيحا(٢) .

---

(١) الدكتور جون ولسون ، الحضارة المصرية ص ٤٩ ، ترجمة الدكتور أحمد فخري .

(٢) الدكتور جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ص٨٤ .

ومن أهم الأدلة التي ساقها الدكتور ولسون لإثبات أسبقية الحضارة العراقية على الحضارة المصرية القديمة ، ولأنكار فضل الحضارة المصرية على حضارة سومر ، هو قوله :

إن الأبحاث الأثرية لم تقدم لنا حتى الآن ما يثبت بأن العراق القديم إستعار شيئا من مصر ، فتاريخ الحضارة في العراق يثبت أن تقدمه الحضاري تقدم تقدما طبيعيا ، وأن دين مصر لبابل في هذا المجال أمر واضح ، وأن زمن هذا التقدم مطابق تقريبا لفترة إنتقال مصر من عصر ماقبل التاريخ إلى العصر التاريخي ، وعلى هذا الأساس لامانع من أن ننسب إلى بابل بعض التأثير في هذا الإنتقال[1].

وبالإضافة إلى ماذكره الدكتور جون ولسون يضيف مؤرخون القول ، بأن الحضارة في بلاد مابين النهرين أعرق منها في وادي النيل فهي ترجع إلى ٤٥٠٠ قبل الميلاد[2] .

فيذكر الدكتور أحمد فخري بالإضافة إلى ماسبق أن ذكره الدكتور ولسون فيقول :

(كانت مصر إذ ذاك تجتاز فترة إنتقال وتطلع فأثمرت هذه الصلة (صلة مصر بالعراق) وأخذت مصر من العراق شيئا من مظاهر حضارته ، مثل الأختام الإسطوانية التي عثر عليها في مقابر ماقبل الأسرات وبعض مقابر الأسرة الأولى المصرية ، وهذه الأختام الأسطوانية كانت معروفة في العراق في العصر الذي يطلق عليه الأثريون الآن عصر ماقبل إختراع الكتابة .

ولم يقتصر الأمر على الآثار الصغيرة التي يسهل نقلها كإحدى سلع التجارة ، مثل الأختام الإسطوانية أو رؤوس دبابيس القتال وغيرها ، بل تعداها إلى أشياء أخرى أعمق أثراً ، مثل بعض مظاهر العمارة بالطوب ، كبناء الجدران ذات الفجوات الرأسية الطويلة .

---

(١) الدكتور جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ص ٨٨ .
(٢) العراق القديم نور لم ينطفيء ، ص ٥ .

كما بدأت تظهر في الفن المصري تأثيرات أخرى مثل رسم السفن العراقية ، التى يرتفع كل من مؤخرتها ومقدمتها إرتفاعا عموديا ، ورسم الحيوانات ذات الأجنحة ، أو الحيوانات ذات الأعناق الطويلة التى تتقاطع مع بعضها أو الرسم السومري المشهور الذى يمثل محاربا بين أسدين .

ومما يثبت أن مصر أخذت هذه الأشياء عن العراق ، أن أكثر هذه التأثيرات والمظاهر الفنية ظلت في العراق إلى آخر أيامه بينما إختفت من مصر بعد الأسرة الأولى ، لأنها كانت غريبة على البلاد وعلى ذوق أبنائها ، فمصرت منه ما إستساغته ونبذت ماعداه .

وقد حملت كثرة تأثيرات بلاد العراق الفنية في الفن المصري في ذلك العصر المبكر بعض علماء الآثار على القول بإحتمال حدوث غزو أو أن أصل الملك «مينا» من بلاد سومر ![1] .

ومن بين ما يذكره دليل المتحف العراقي أن الحضارة فى وادي الرافدين ترجع إلى ٧٥٠٠ قبل الميلاد [2].

ويؤكد هذا الدليل أيضا بأن الإنسان فى العراق قد مارس تدجين النبات والحيوان قبل أى إنسان آخر في أية منطقة أخرى من العالم القديم ، وبأن العمارة وفن التناسق في وحدات البناء وحفر الخنادق للدفاع عن المدن والقرى كان معروفا في العراق فى بداية الألف السادس قبل الميلاد .

ويعقد مؤرخون آخرون من حيث أقدمية آثار أي منهما على الآخر، مقارنة بين كل من بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة. فيذكرون بأن أقدم الآثار التي عثر عليها في بلاد مابين النهرين يرجع تاريخها إلى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

أما في مصر القديمة فهي تلك الآثار التي وجدت في (دير طاسا) بأسيوط ، ويرجع تاريخها إلى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد [3].

---

(١) الدكتور جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ص ٤ .
(٢) الدكتور جون ولسون ، الحضارة المصرية ، ص ٨٨ .
(٣) العراق القديم نور لم ينطفىء ، ص ٥ .

ويقول الدكتور (جارلس ريد) أستاذ علم الحيوان في جامعة الليوني الأمريكية ، بأن الآثار التي إكتشفت في منطقة (الوركاء) في جنوبي العراق تدل على أن الأغنام والأبقار بالإضافة إلى الكلاب والماعز دجنت هناك حوالي (٤٠٠٠) سنة قبل الميلاد .

أما فى مصر فإن معظم هذه الحيوانات لم يتم تدجينها ، إلا بعد مدة تتراوح بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ عام قبل الميلاد[١] .

ومن جهته يؤكد الدكتور المهندس أحمد سوسه بأن إنسان العراق الشمالي كان أول من دجن زراعة الحبوب وعنى بإختيار أصلحها[٢] .

كما وجاء في كتاب العراق فى صور[٣]، أن أرض مابين النهرين هي أول أرض وجدت عليها أول حياة زراعية مستقرة عرفها التاريخ ، وفيها اكتشفت العجلة وعلى أرضها أنشئت أول جامعة للعلم والمعرفة .

فالعراق بدون منازع هو «مهد الحضارة المتألقة» .

خلاصة القول :

(لقد إنتزعت سومر القيادة الفكرية والحضارية في بلاد الشرق الأدنى عند مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد ، وسبقت حقا مصر فى خلق أول حضارة مزدهرة تكمن فيها بذور تاريخية) [٤]

هذه هي وجهة نظر بعض المؤرخين وكذلك منشورات وزارة الثقافة والإرشاد في عدم الإعتراف بأسبقية الحضارة المصرية على حضارة وادي الرافدين ، وكذلك في مدى تأثر الحضارة المصرية القديمة بحضارة وادي الرافدين .

وهكذا نكون قد أوضحنا الفكرة القائلة بأسبقية حضارة وادي الرافدين على الحضارة المصرية ، وكان منطلقنا في توضيح هذه الفكرة هو إستحالة نشوء ثقافة معينة بمعزل عن بقية الثقافات الأخرى ، ويبقى بعد هذا محاولة إثبات تأثير حضارة دلمون في حضارة وادي الرافدين .

---

(١) مجلة سومر ١٦ عام ١٩٦٠ ص١١٢ ـ ١١٤ .
(٢) الدكتور المهندس احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادى الرافدين ، ص ١٠٨ .
(٣) من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد ، ١٩٦٦ .
(٤) دكتور مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٣١ .

ثالثا : محاولة إثبات تأثير حضارة دلمون في حضارة سومر :

لما كان من الثابت لدى جميع المؤرخين وعلماء الآثار أن ثقافة سومر في العراق وعيلام في فارس قد وفدت اليهما من جهة أخرى وليست حصيلة تفاعلات ثقافة ذاتيه .

فالسؤال هنا هو :

ماهي تلك الجهات الأخرى المفقودة ؟

قد نجد الجواب على هذا السؤال عند بعض المؤرخين ، الذين يرون بأن هذه الثقافة قد وفدت إلى العراق من المنطقة الجبلية في وسط آسيا وبالتحديد من الجنس الهندوأروبى[1] .

ولكننا في حالة قبولنا أو قناعتنا بصحة هذا الجواب نجد أننا مازلنا نفتقر كل الإفتقار إلى دليل مباشر يشير إلى تحديد المنطقة التي إنطلقت منها تلك الثقافة ، إزاء هذا كله لايسعنا إلا أن نتفق مع الرأى الذي يشك كثيرا فى صحة هذا الرأى[2] .

ويرى مؤرخون آخرون أن العراق القديم كان يسكنه جنسان متميزان :

أحدهما سامي في الشمال وهو الشعب الذي وفد على بلاد الرافدين في حقبة ماقبل التاريخ في شكل هجرات متوالية من وسط جزيرة العرب بسبب القحط والجفاف . الذى أصاب الجزيرة .

والآخر غير سامي في الجنوب ، وهؤلاء هم السومريون وهم قوم وفدوا أيضا من خارج العراق . ولصعوبه تفنيذ هذا الرأي من الوجهة العلمية ، يكتفي بعض المؤرخين . بالقول بأن الجنس السامي أسبق في إستيطان بلاد مابين النهرين من الجنس السومري[3] .

ولاشك ان الغرض من وراء هذا الرأى واضح ، ألا وهو الجري وراء محاولة إثبات الأصول السامية لحضارة العراق القديم بأية صورة من الصور[4] .

---

(١) برستد ، إنتصار الحضارة ، ص ١٥٨ ، وكذلك ايضا ليورنارد وولي ، تاريخ العالم ، ص ٥٤٠ .
(٢) و . ج . بري . نمو الحضارة ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، ترجمة لويس إسكندر .
(٣) أبو صالح الألفي ، الفن الاسلامى ، ص ٣٠ .
(٤) ر . أحمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين .

ولاشك أن الأخذ بهذه الآراء تؤدي بنا إلى الوصول إلى نتيجة غير منطقية ، ألا وهي قبول فكرة أن حوض وادي الرافدين كان في وقت من الأوقات خاليا من القاطنين . وهو أمر غير صحيح بالمرة ، ذلك أنه عندما نزل المهاجرون الساميون في وادي الرافدين واجهتهم حضارة قديمة ثابتة الأركان فريدة الطابع ومن نمط بالغ الرقي ، فلم يكن أمامهم بد من أن يذوبوا شيئا فشيئا في بيئتهم الجديدة .

وينظر مؤرخون آخرون إلى هذا الموضوع من زاوية أخرى فيذكرون «بأن البناة الأساسيون للحضارة والتاريخ في أرض الرافدين شعبان ينتميان إلى أصلين مختلفين كل الإختلاف ، أبدعا ما تضمه تلك المنطقة من آثار فنية وأدبية كبيرة ، ونعنى بهما السومريين والأكديين ، وقد عاش هذان الشعبان مختلطين ببعضهما البعض إلى حد كبير ، فكانت حضارة أرض الرافدين وتاريخها نتاج شعب مركب ، يستحيل في كثير من الأحيان التمييز في وضوح بين العنصرين الأساسيين اللذين يتألف منهما[1] .

في الواقع أن الإعتماد كليا على وجود تشابه بين ثقافة المناطق الجبلية في آسيا وبين سهول سومر (العراق) المنخفضة ، لا يكفي للقول بأن الثقافة وفدت من فارس إلى العراق ، ذلك لأن سومر هي التي حصلت على الخامات والمعادن الموجودة في فارس واستخدمتها في ظروف حضارية أرقى[2].



● مكتشفات أثرية

(١) سيتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ص ٦٦ .
(٢) تراث فارس : كتاب الفه أساتذة من المستشرقين ، ونشرته وزارة التربية والتعليم في مصر ، ٢٧ .

في الوقت الذي لا نستطيع معه تعيين الجهة التي وفدت منها هذه الثقافة بما تحتويه من مكونات متعددة ومختلفة بسبب الإختلاف الشديد في وجهات نظر المؤرخين ، قد يكون من الأنسب الرجوع إلى ما دونه السومريون أنفسهم عن أنفسهم ، وفي هذا المجال نجدهم من خلال مأثوراتهم التي خلفوها عندما يتحدثون عن أصولهم ، وعن الجهة التي قدموا منها يشيرون إلى أن أصولهم ترجع إلى بلاد دلمون ، وتحكي القصة السومرية أن الإله (إنكي) هذا جاء من الخليج العربي على ظهر سفينة وعلّم السومريين الحضارة[1] .

ويعتبر السومريون أن عبادة الثالوث ، أنليل (EN - LIL) سيد الريح ، و(ABSO) ملك المياه العذبة وانكى و(EN - KI) سيد الأرض ، وهي العبادة التي يعتقد بعض المؤرخين أنها شائعة في (دلمون) هي العبادة الأصلية لدينهم ، وأن الإله (أنكي) هو الذى خلق البشر ، وهو الذى أقام عبادة الآلهة على الأرض .

وهكذا نجد أن السومريين ـ سكنة جنوب العراق ـ أنفسهم في كتاباتهم التي خلفوها ، يقرنون أصل حضارتهم إقترانا وثيقا بالخليج العربي ، وبقوم وفدوا على ظهر سفن إلى سومر ، وعلموهم الحضارة ، ومن المثير أننا نجد في بعض نصوص السومريين القديمة إشارات تتكرر كثيراً وبإلحاح عن بلاد (دلمون وماجان وملوحا) .

ولقد إتفقت غالبية المؤرخين في السنوات الأخيرة على أن هذه المدائن الثلاث أماكن تشتهر بالسفن والبلح[2] والنحاس والذهب .

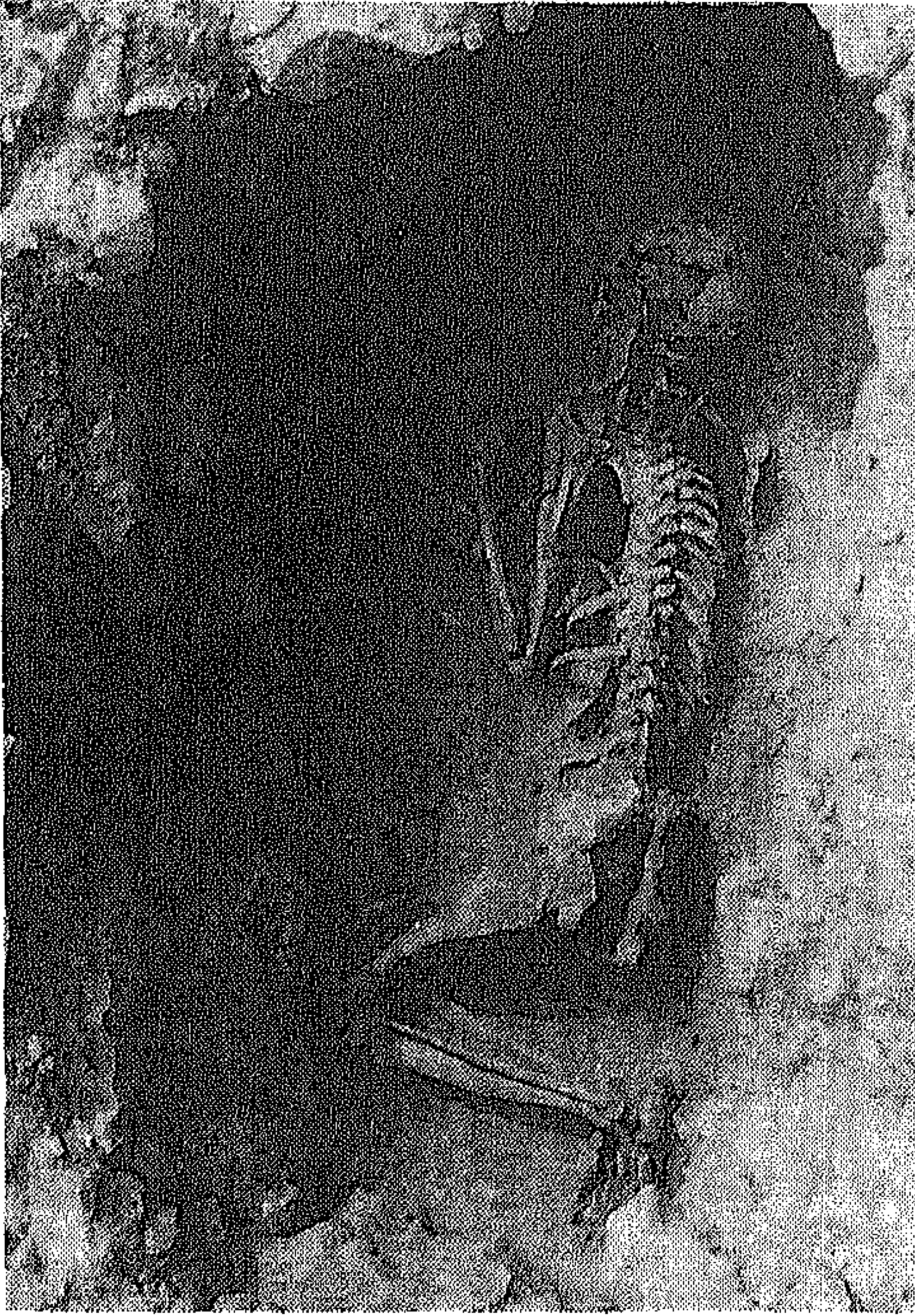
تقول الأسطورة السومرية عن دلمون :

---

(١) و . ج . بري . نمو الحضارة ، ص ٥٣ .
(٢) و . ج . بري . نمو الحضارة ، ص ٥٧ ، ترجمة لويس إسكندر .

ان الإله انكي بعد أن تجول في أرض دلمون فوجدها أرضا مقدسة طهور ، لا ينعب فيها غراب ، ولا يفترس الأسد فيها ولا أحد يقول «عيني تؤلمني» ، «رأسي يوجعني» ، لا احد يقول «المرأة تصبح عجوزا» ، «الرجل يصبح كهلاً» فبارك (أنكي) أرض دلمون بالماء ومنحها كل فواكه الأرض وصاح : «دع مدينة دلمون تصبح ميناء العالم كله» ، وكان الوعد بالخصب في أرض الصحة الأزلية وأرض الخلود» .

هذا ما تقوله الأسطورة السومرية عن دلمون مسقط رأس السومريين ، ولكن أين تقع هذه المدن الثلاث ؟



● هيكل عظمي في قبر دلموني

إختلف الرأي كثيرا في تحديد موقع مدينتي (ماجان وملوحا) ، بالرغم أن هذين الموقعين يردان دائما جنبا إلى جنب ، ويرجع السبب في هذا الإختلاف أن هذه التسميات أطلقت على أكثر من موضع واحد على مر التاريخ . ففي نص من النصوص الآشورية المتأخرة نجد أن ـ ماجان وملوحا ـ يقصد بهما الإسمان القديمان لكل من مصر والحبشة (موسل) .

أما الدكتور لانجدن (LANGDON) فلا يسلم بهذا الرأي لأنه يرى أن مصر كانت على إرتباط وثيق منذ أقدم الأزمنة بالعراق عن طريق ماجان وملوحا . وحدد موقع هاتين المدينتين على الخليج العربي .

فكيف تكون ماجان وملوحا هما مصر والحبشة ؟

ويرى (ونكلر) أنهما إصطلاحان (ماجان وملوحا) يقصد بهما فى البابلية القديمة بلاد العرب ، فيراد من (مجان) القسم الشرقي من الجزيرة (بابل) إلى الجنوب ، وأما (ملوحا) فيراد بها القسم الشرقي من جزيرة العرب . ويرى آخرون أن (مجان) هي الإحساء ، وأما (ملوحا) فهي المنطقة الواقعة بين البحرين وعمان .

وبالرغم من إختلاف آراء بعض المؤرخين وعلماء الآثار فى تحديد الموقع الذى تحتله ماجان (MAGAN) إلا أن أغلب المؤرخين يؤكدون بأن مدينة (MAGAN) هي عمان في الوقت الراهن ، وأنها كانت تشتهر بالمعادن كالنحاس ، كما تشتهر بغاباتها وحيواناتها[١] .

ونضرب دليلا على الإختلاف ، ماذهب إليه (كيتاني) من أن (مجان) هي (مدين) لأن أرض مدين كانت منذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد كثيفة الأشجار ، وكانت تصدر الأخشاب ومن (مدين) أخذ البابليون الذهب والنحاس والأخشاب .

ويرى (كلاسر) أنها تقع على ساحل الخليج . أما (أوليري) فيرى أن مجان هي (الجرهاء) وهي الإحساء في الوقت الراهن .

أما مدينة (ملوحا) فأغلب المؤلفات تكاد تجمع على انها جزيرة فيلكا (الكويت[٢] ، وأن من أهم بضائعها الذهب والعاج والأخشاب الثمينة ، وقد كانت (فيلكا) فى ذلك الوقت السحيق حلقة وصل بين حوض نهر الرافدين والعالم ، وقد عثر فى جزيرة (فيلكا) على آثار سكنى وبقايا أبنية وهياكل يرجع عهدها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد .

أما عن (دلمون) القديمة فلم يثر موقعها أى إختلاف بين المؤرخين وعلما الآثار ، فهم يجمعون جميعا على أنها جزيرة البحرين فى الوقت الحاضر .

ونحن فى هذا الموضع من هذا المبحث ، نود أن يكون واضحا بأننا لن نتعرض بالتفصيل إلى تاريخ البحرين القديم ، فمثل هذه الدراسة تختص بها ولاشك المؤلفات التاريخية ، وهناك الكتب الكثيرة التى تؤرخ لدلمون .

إن مايهمنا ـ هنا ـ فقط كما أشرنا إلى هذا فى الصفحات السابقة هو محاولة إثبات أسبقية حضارة دلمون على حوض الرافدين ، ومن ثم تأثير حضارة دلمون فى حضارة بلاد الرافدين والتى أثرت بدورها ، كما رأينا ، فى الحضارة المصرية القديمة .

---

(١) انظر على وجه الخصوص : الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، ص٥٥٥ ـ ٥٦١ .

(٢) تقرير شامل عن الحفريات الأثرية فى جزيرة فيلكا ، إصدار وزارة التربية والتعليم ، قسم الآثار والمتاحف ، ص ٥ ـ ٨ .

موقع دلمون :

(تقع دلمون فى الخليج العربي فى ملتقى طرق الأسفار البحرية بين الثقافات العريقة الأولى المعروفة ، بين سومر فى الشمال ووادى الأندوس فى الجنوب الشرقي ، وماجان (عمان) بلاد النحاس في الجنوب ومصر في الشرق، وأسسوا مركزا يتوسط الطرق التجارية ، وتجارتهم (سكان دلمون) كانت تجارة عابرة دولية لإستيراد المنتوجات وتصديرها .

وكانت أعمالهم التجارية عبارة عن بيع وشراء سلع مختلفة ذات جودة عالية ، باهضة الأثمان ، وكثيرة الأرباح ومرغوب فيها إلى حد كبير ، وكانت هذه السلع مكونة من النحاس والأخشاب والأحجار النارية والحيوانات من (ماجان) ، والأقمشة وزيت السمسم والفضة من (سومر) ، والعاج والأحجار الكريمة والأخشاب من وادي (الإندوس) والذهب والمنتجات البحرية والأحجار والأخشاب من بلدان أخرى ، وأضافوا منتجاتهم المحلية كالتمر واللآلى ضمن هذا النشاط[1] .

وفي هذا الشأن يرى كثير من الباحثين أن جزيرة (البحرين) فى الوقت الحاضر تختلف إختلافا كبيرا عما كانت عليه (دلمون) فى الزمن القديم . كما يذكرون أن جزيرة دلمون كانت من أجمل المناطق من الناحية الطبيعية .

وفى ذلك الوقت السحيق من الزمن ، الذى كان فيه الجليد يغطي معظم أجزاء المعمورة ، فيشل حركة الإنسان أو يكاد يعدمها ، فى ذلك الوقت كانت دلمون أرضا خضراء ، تعج بالغابات والأشجار الى درجة أنها كانت تغطي كل مكان على أرضها ، كما وكان جوها معتدلا ، فلا تطرف فى الشتاء ولا حرارة قاسية فى الصيف .

ولقد كان هذا الطقس المعتدل اللطيف والمياه العذبة الرقراقة التى تنفجر من باطن الأرض وكذلك من قاع البحر ، بالإضافة الى جمال طبيعتها الآسر الخلاب ، يجذب الإنسان الى العيش والإستقرار فى دلمون أرض الخلود .

ويذكر المؤرخون أن بلاد (دلمون) كانت مزدحمة بالناس ، ولعل هذا الإزدحام الذى يذكره المؤرخون يفسر لنا ظاهرة وجود القبور الكثيرة المنتشرة فى قرية عالي ، وذلك على عكس مايعتقده بعض الباحثين بأن جزيرة دلمون كان مقبرة للقوم الذين يعيشون على الساحل المقابل لجزيرة دلمون .

---

(١) عن كتاب التاريخ القديم للبحرين والخليج العربي ، علي أكبر بوشهري .

كما ويحدثنا تاريخ هذه القبور بأنها لم تبن فى فترة واحدة من التاريخ ، وإنما بنيت على فترات طويلة ومتباعدة ، وإنها كانت مركزا إقتصاديا مهماً جداً لتبادل التجارة بين الهند وأفريقية وسواحل الخليج وبلاد اليونان ، ولقد كان أسطولها البحري يمخر عباب جميع البحار والمحيطات المعروفة فى ذلك الوقت[1] لينقل النحاس والأحجار الثمينة من (ماجان) عمان ، والذهب والأخشاب من الهند[2] .

ويحدثنا الدكتور جواد علي فى كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام مامعناه :

وقد عثر على آثار متنوعة من العصور الباليوليثية والنيوليثية فى البحرين ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن جزيرة دلمون البحرين كانت مأهولة بالناس أيام العصور الجليدية المتأخرة فى أوروبا أى قبل خمسين ألف سنة .

وقد ذهبوا إلى أن جو البحرين آنذاك ، كان يشبه جو بلاد اليونان فى الوقت الحاضر ، وأن أرض البحرين كانت مخصبة خضراء مغطاة بكساء من الغابات ، ولعلها كانت متصلة إذ ذاك بالأرض الأم أى جزيرة العرب ، أما سكانها فهم قوم صيادون ، عاشوا على مايقتنصونه من حيوانات وفى مقدمتها الأسماك ، وقد عثر على أدوات من حجر الصوان إستخدمها أولئك الصيادون فى صيدهم ، وفى تقطيع لحوم الفرائس التى عثر عليها فى مواضع متعددة فى البحرين ، وبأعداد كبيرة مما يدل على أن تلك الأماكن كانت مستوطنة آهلة بالناس .

وقد عثر في البحرين أيضا على عدد من الرؤوس لحراب وسكاكين صنعت من الصخور الصوانية ، قدر بعض الباحثين عمرها بأنه يتراوح من عشرة آلاف وإثنتى عشر ألف سنة ، ومن بين ماعثر عليه من هذه الأدوات ، أحجار سنت وشذبت لكي تكون بمثابة آلات لحصد المزروعات ولقطع الحشائش .

وقد تعرضت المقابر التى وجدت على ساحل الخليج على الدوام لعبث الطبيعة ولعبث الطامعين ، لما فيها من موجودات ثمينة ، إلا ما كان فى مقابر البحرين ، فقد أعطت الباحثين هيكلين كاملين لم يصبهما أى سوء أو تلف ، وقد تبين من فحصهما أن أهل الميت وضعوا جسمي الميتين على الجانب الأيمن ووجهوا الوجه نحو المشرق ، وأمدوا أرجل الميتين .

---

(١) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، ص ٥٤٥ .
(٢) ذات المصدر ، ص ٥٤٥ .

وهي عادة كانت عند أهل العراق أيضا فى الألف الثالثة قبل الميلاد[1]

وتتكون مقابر البحرين من تلال تجمعت من قطع الصخور ، ووضعت بعضها فوق بعض لتكون غرفا سقوفها من ألواح من الصخور ، وبعد إغلاق باب القبر يهال التراب على الصخور ، وقد عثر فى هذه القبور على عدد من الجرار تشبه الجرار المستعملة فى وقتنا الحاضر ، وقد صنعت تلك الجرار من الطين وضعه الخزاف على قرص دولاب يديره برجليه كما نفعل نحن الآن .

وقد وجد أن أبواب المقابر قد أقيمت فى الجهة الغربية ، مما يبعث على الإعتقاد ان لوضع الأبواب علاقة بدين القوم الذين تعود إليهم تلك المقابر .

ويرجع البعض أن هذه المقابر ترجع إلى العصر البرونزي، وقد ذكر أن جماعة من تجار (اور) كانوا يتاجرون في حوالي (٢٠٠٠) قبل الميلاد مع البحرين ، ويقال أن (سرجون) الأكادي إستولى حوالي (٢٣٠٠) قبل الميلاد على البحرين وأنها وقعت تحت يد قبيلة (أجارم) ١٧٥٠ قبل الميلاد ، وإنها دفعت الجزية إلى الملك (السرحدون) .

وقد كانت العلاقات مستمرة دوما بين البحرين والعراق . إذ كانت (دلمون) محطة مهمة جدا للتجارة بين الهند وأفريقية وسواحل الخليج والعراق تستورد الأخشاب من الهند ومن أفريقية . كما تستورد الحاصلات الأخرى وتنقل النحاس من عمان فتبيع ذلك إلى العراق ومن ثم إلى بلاد الشام واليونان وبقية أرجاء أوربا .

وكانت السفن (سفن دلمون) تقوم برحلات منتظمة بين البحرين والعراق فى الفترة (٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠) قبل الميلاد لنقل البضائع والمعادن .

لكن يغدو من الغرابة الإعتقاد بأن بلاداً مثل (دلمون) لها هذا الدور الحضاري الهام فى الحياة الإقتصادية الدولية فى ذلك الوقت ، بالإضافة إلى إقتصادها المتين الذى تعكسه معابد باربار وغيرها من الآثار ، يمكن أن تكون مقبرة ، لذا يكون من الأرجح وكما يرى بعض المؤرخين أن هذه القبور الموجودة فى قرية عالي ، هي عبارة عن مقابر لرؤسائهم وأشرافهم الذين كانوا يقطنون البحرين[2] .

---

(١) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .

(٢) SANGER, POGE, 141

إن العلاقات التجارية بين (دلمون) والعالم المعروف فى ذلك الوقت لم تقتصر على الهند وبلاد الرافدين فقط ، بل إستطاع تجار دلمون أن يعبروا البحر الأحمر ليصلوا إلى مصر الفرعونية .

هذه بالإضافة إلى ما يؤكده عدد من مشاهير علماء الآثار أمثال (بريستد) مؤلف كتاب (تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفن الفارسي) وجوستاف لوبون مؤلف كتاب (الحضارة المصرية) ويحكى مؤلف كتاب (تاريخ المدينة المصرية) والدكتور كمال حسن مؤلف كتاب (تاريخ السودان القديم) وغيرهم من علماء الآثار المصرية إلى أن الساميين جاؤوا من الجزيرة العربية إلى مصر عن طريق السويس ، أو عن طريق جنوب الجزيرة عبر مضيق باب المندب ومعهم حضارة أرقى مما كان فى مصر وهم الذين جاؤا بعد التحنيط والكتابة[1] .

ولاشك أنه منذ أقدم العصور كان بعض بدو الجزيرة العربية ، يخرجون جماعات مهاجرين من موطنهم كلما إضطرتهم ظروف العيش القاسية أو إذا أجلوا من أراضيهم ، ليستقروا فى الشام أو العراق ، وقد دخل بعضهم إلى مصر عن طريق الصحراء الشرقية ووصلوا إلى النيل من الدرب الموصل من القصير إلى النيل ، وما من شك فى أن صلة مصر بالشعوب السامية فى عصر ماقبل التاريخ تركت أثرها فى اللغة المصرية القديمة سواء فى مفرداتها أو فى أجروميتها[2] .

كما أن بعض أقوام الساميين أقاموا إقامة دائمة على الساحل الإفريقي المواجه لليمن ، أى خارج النطاق السامي ، فقبل بداية العصر المسيحى بزمن طويل أخذت قبائل عربية مختلفة تهاجر إلى ذلك الساحل الأفريقي ، يجذبها إليه غنى البلاد الطبيعي ، وأنشأت هناك مراكز تجارية .

فقامت بذلك موانىء عدة على طول سواحل البحر الأحمر ، بينما إنتشر المهاجرون أيضا إلى الداخل وأقاموا فيها مستوطنين مستقرين[3] .

---

(١) تاريخ حضارة وادي الرافدين ، احمد سوسه ، ص ١٨٢ .

(٢) الدكتور احمد فخري ، دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٣١ .

(٣) ستينو موسكاني ، الحضارة السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، ص ٤٧ .

ويضيف (دري) بالنسبة للجهة التى قدم منها الساميون إلى مصر فيقول :
أما عن الجهة التى جاء منها عنصر الاسرات هذا ، فإنه (من المعتقد ان هذا العنصر لايمكن ان يكون قد هاجر إلى مصر من الجنوب ، وذلك لأن دراسة الجماجم البشرية التى عثر عليها فى مصر ، والتى تخص ذلك العنصر (عنصر الأسرات) لاتمت بأية صلة قربى للزنوج .

وكذلك لايمكن أن يكون هذا العنصر البشري قد دخل إلى مصر من جهة الغرب ، بسبب الصعوبات الكبيرة التى قدتواجهه فى إجتياز الصحراء ، كما أن مثل ذلك العنصر البشري ذى الخصائص المحددة غير معروف على الإطلاق فى غرب مصر . ولو فرضنا أن ذلك العنصر البشري قدم من الشمال ، فهذا يعني أنه قدم إلى مصر عبر البحرين ، وأنه دخلها عبر الدلتا ، ولكن ما دام أنه لم يعثر على أى أثر له فى الدلتا حتى الآن ، وأن الدلتا كانت فى هذا الزمن المبكر مليئة بالمستنقعات التى لايمكن إجتيازها

إذن فمن المعتقد أن هذا العنصر لم يدخل مصر من هذه الجهة . وهكذا لم يبق سوى جهة الشرق التى يعتقد انه قد دخل منها إلى مصر)[1]

وإني (المؤلف) مع هذا الرأى وذلك للأسباب التالية :
تعتبر شبه الجزيرة العربية عند كثير من العلماء مهد الشعوب العربية المهاجرة ، حيث إنطلقت من هذا المهد العناصر البشرية العربية المهاجرة إلى بلاد الرافدين وسورية ومصر منذ حوالي الألف السابعة قبل الميلاد ، عندما أصاب الجفاف هذه المنطقة .

كما أن موقع شبه الجزيرة العربية وسط أقدم حضارات الشرق الأدنى القديم ، هيأ لسكانها فرصة كبيرة للإتصال بهذه الحضارات ، يضاف إلى هذا ، أنه نشأت على سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية ممالك عربية ، من أهم مميزاتها أنها ذات حضارات تجارية بحرية .

---

(١) الدكتور محمود عبدالحميد احمد ، الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام إلى مصر .

ومن المحتمل أن هذه الممالك كانت واسطة الصلة بين حضارتي بلاد الرافدين ومصر .

وتعتبر «مملكة مجان» الواقعة فى منطقة عمان من أقدم تلك الممالك ، حيث أصبح من الثابت تقريبا أنها كانت وثيقة الصلة ببلاد الرافدين منذ عصور ماقبل التاريخ ، وإستمرت كذلك فى العصر السومري والعصور التى أعقبته .

ومن الأسباب التى وثقت الصلة بين (مجان) وبلاد الرافدين ، أن حضارة (مجان) حضارة بحرية . ومما يدل على حضارة مجان البحرية ، ماجاء فى الوثائق المسمارية التى ترجع إلى عهد (سرجون) الأكدي ، فقد جاء فى واحدة من هذه الوثائق ، إفتخار هذا الملك بأنه أحضر سفنا إلى ميناء عاصمته «أكد» من (ملوخا ومجان وتلمون) .

والمملكة الثانية التى نشأت على ساحل شبه الجزيرة العربية الشرقي ، وكانت على صلة وثيقة بحضارات بلاد الرافدين ، هي «مملكة تلمون» . فمن المعتقد أنها كانت على صلات وثيقة ومتنوعة مع كل من السومريين والبابليين والآشوريين منذ أقدم الأزمان، حيث وصلت بعض أخبارها إعتباراً من منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، وإستمرت إلى حوالي ٥٠٠ قبل الميلاد ، فقد جاء فى نصوص تؤرخ بحوالي ٢٦٠٠ قبل الميلاد أن زوجة أمير (لجش) المسماة (لوكالندا) ، قد أرسلت إلى (تلمون) الحنطة وخشب الساج والجبن والشعير مقايضة به معدن النحاس الذى كان التلمونيون يجلبونه من منطقة «مجان» .

يضاف إلى هذا ، ما سبق أن ذكرناه من أن (سرجون) الأكدي قد أحضر من (تلمون) سفنا كثيرة . ويعلل البروفسور جون ولسون فى كتابة الحضارة المصرية ، حقيقة وجود نقوش لقوارب على الآثار التى عثر عليها فى وادي النيل فيقول :

إن أحسن الآراء التى يمكن إبداؤها لتفسير هذا الموضوع هو أن البابليين أو أحد الشعوب التى كانت متصلة بهم ، حضروا من الطريق البحري للتجارة فى مصر ، وكان على هؤلاء القادمين أن يسيروا على مقربة من شاطىء الخليج العربى ولنا بعض الملاحظا ت على هذا الرأي .

أولا : إن البروفسور ولسون عندما تكلم عن حضور آجانب إلى مصر وعن علاقة مصر التجارية بالعالم الخارجي ، لم يحصر إتصال المصريين على البابليين دون غيرهم ، بل أردف وقال :

أو أحد الشعوب التى كانت متصلة بالبابليين .

ثانيا : إذا ثبت إتصال المصريين بشعوب آخرى غير البابليين ، فإنه لمن الصعب تصور إتصال البابليين بمصر القديمة عن طريق البحر . فإذا ما أراد البابليون الإتصال بالمصريين عن طريق البحر ، كان عليهم أن يقطعوا برا جنوب العراق كله ، ثم عليهم بعد ذلك أن يقطعوا بحر الخليج العربي ثم بحر العرب ثم البحر الأحمر ثم السير فى الصحراء الشرقية ، فى حين يكون من الأنسب للبابليين لو أرادوا الإتصال بمصر القديمة ، أن يتصلوا بها عن البر وليس عن طريق البحر وذلك مروراً بالهلال الخصيب وبتكاليف أقل وخلال وقت أقصر .

ثالثا : من نقوش المراكب التى وجدت فى دلمون ومصر وجد أن هناك تشابها غريبا بين النقوش النادرة لبعض أنواع المراكب التى وجدت فى مصر الفرعونية ، وبين السفن التى كانت تستعملها دلمون البحرين . فكلاهما لهما مؤخرة ومقدمة عالية ، بينما السفن المصرية هى سفن نيلية فى الغالب وليس لها هذه الصفات .

رابعا : الأرجح عندنا ، أن يكون المراد بأحد الشعوب الذى أشار إليه البروفسور ولسون هم تجار دلمون ، فهم المؤهلون وحدهم فى ذلك الوقت ، للقيام بهذا الدور البحري والإقتصادى الكبير ، وذلك لما كانوا يملكونه من أساطيل بحرية وخبرة فى الملاحة أشاد بها المؤرخون ، دون جيرانهم من سكان الخليج العربي فى ذلك الوقت .

ثم أن إتصال (دلمون) بمصر القديمة لم يقتصر فقط على النواحي الإقتصادية كما سبق ذكره ، بل تعداها إلى النواحي الدينية . فلقد كان من عادة المصريين القدماء أن يدفنوا الميت مع خدمه وكلابه فى مقبرة واحدة ، وهي ذات العادة الدينية التى كانت متبعة لدى سكان (دلمون) فى دفن الموتى .

إن أقدم الأدوات التى عثر عليها فى (دلمون) يرجع تاريخها إلى خمسين ألف سنة قبل الميلاد ، وهذه الأدوات عبارة عن قطع من حجر الصوان المصقول ورؤوس حراب وسكاكين مصنوعة من الصخور الصوانية[١] .

WELCOME TO BAHRAIN, J.H.BELGRAVE PAGE (١)

هذا ومن الجدير أن نشير بأن أغلب القطع الأثرية التى إكتشفتها البعثة الدنماركية عند بحثها فى قبور دلمون ، تدل على أن أهل (دلمون) كانت لهم ثمة علاقات إقتصادية وروحية بالعراق وببلاد الشام أيضا . وأن أهل دلمون كانوا يقومون بدور الوسيط التجارى النشط فى نقل السلع بين الهند وبين بلاد الرافدين .

لقد جاء (السومريون) بالسفن عن طريق الخليج ، وجاؤا كملاحين إلى سواحل وادي الرافدين وهنا أنشأوا الحضارة ، ونصوصهم الكتابية تبدو فى البداية مفتاحا يكشف لنا النقاب عن سر آخر ، وعن ماهية الأراضي الشرقية لدلمون التى جاء البحارة السومريون منها حسب قولهم[1] .

ويحدد بعض الكتاب المكان الذى حضر منه السومريون إلى العراق بدون لبس أو غموض فيقولون :

أما عن المكان الذى جاء منه السومريون فهناك نظريات عديدة ، والرواية الإغريقية القديمة تتحدث عن صياد سمك يدعى «أؤنس» الذى صعد سابحا فى الخليج العربي، حاملا معه هدايا المدينة، يتطابق مع ما نعرفه من الوثائق المسمارية ، منذ أن كان إله الحكمة (أنكي) وهو الإسم المستعمل فى الوثائق السومرية . أما الإسم المستعمل فى الوثائق السامية فهو (أيا) كان مرتبط بالمياه . بالإضافة إلى هذا فإن (أنكي) كان أيضا الإله الحارس (لاريدو) وهي مدينة قديمة كانت واقعة علي ضفاف بحيرة ساحلية ، كما أنها أحد المواقع التى وجد بها أقدم مساكن فى جنوب بابلونيا .

وحسب ما جاء بالوثائق السومرية فهي أولى خمس مدن عاشت قبل الطوفان .

وكل هذه الروايات قيل أنها تشير الى استقرار أقوام بسومر جاءوا من البحر من الجنوب الشرقي عن طريق الخليج العربي . كما أن دلمون أو تلمون التى يظن أنها البحرين ، لها أهمية عظمى فى أقدم طبقات الديانة السومرية ، وقد رأى بعض العلماء بأنها تمثل مركزا حضاريا سومريا أقدم حتى من (أريدو) ، ومعنى هذا بالطبع أن السومريين قد دخلوا بلاد الرافدين عن طريق الخليج العربي .

---

(١) عن كتاب التاريخ القديم للبحرين والخليج العربي ، علي أكبر بوشهري .

وقد ثبت من الحفائر التى اجرتها البعثة الدنماركية وما تلاها من بعثات ، قيام حضارة عظيمة فى دلمون (البحرين) فى تلك العصور ، إذ كانت دلمون حلقة إتصال ومحطة هامة بين المدن السومرية مثل (أور) و(لارسا) ، وبين المناطق التي تقع شرق (دلمون) مثل (ماجان) و(ميلوحا) ومن المحتمل أنهما كانت فى شبه جزيرة عمان وفى وادى نهر السند (الإندوس) فى باكستان .

وقد وجدت أختام دلمون المتميزة في (أور) بالعراق ، وفي (موهانجو دارو)، و(لو ثال) فى منطقة نهر السند ، وبذلك تأكد وجود تجارة بحرية بين تلك الأماكن .

وكانت البضائع التي ترسل الى (أور) من (دلمون) تتألف من سبائك النحاس وأشياء مصنوعة من النحاس ، وكذلك الخرز والأحجار النادرة مثل العقيق الأحمر وحجر اللازورد والعاج والأثاث المطعم بالعاج ، كذلك الكحل والأخشاب النادرة و«عيون السمك» الذي هو لآلىء البحرين الشهيرة .

وكان التمر والبصل يستورد أيضا إلى (أور) من (دلمون) . فدلمون قد تكون إذن محطة إنتقل منها السومريون أو فرع منها إلى سومر . ولكن أعمال التنقيب يجب أن تشمل الجنوب العربي وشرق أفريقية لإستكمال البحث عن أصل السومريين .

والرأى الغالب حاليا ، الذى يعتمد على أهم الروايات فى الأدب السومري القديم (وخاصة الملاحم) وعلى الوشائج الحضارية الكثيرة التى توجد بين سومر وإيران (وخاصة عيلام) فى عصر ماقبل التاريخ وعصر ماقبل الأسرات ، هو أن السومريين قد جاؤا إلى جنوب بابلونيا من الشرق أو الشمال الشرقي)[1] .

إننا إذا إعتمدنا النصوص السومرية التى تقول بأن السومريين قوم نزحوا إلى العراق من بلاد دلمون ، أرض الخلود ، ونقلوا معهم ديانة أهاليها ، نستطيع بالتالى أن نقول أن السومريين إتبعوا ذات الأسلوب فى طريقة دفن الموتى فى (دلمون) ، وقد عثر فى إحدى مقابر البحرين على هيكلين بشريين وضعا على الجانب الأيمن وكان وجهاهما متجهين نحو الشرق وأرجلهما كانت ممدودة، ويعزز وجهة النظر هذه ما ذكره العلامة الدكتور جواد علي بأن مثل هذه العادة الدينية في دفن الميت كانت متبعة أيضا لدى أهل العراق في الألف الثالث قبل الميلاد.

---

(١) دكتور محمد عبدالقادر محمد ، الساميون في العصور الوسطى .

كذلك المعبدين اللذين إكتشفا فى جنوب العراق للمعبود (أنكي) والمعبودة (ننهرساك)[1] واللذين هما طبق الأصل من المعبد المكتشف فى قرية (باربار) ليعزز إستنتاجاتنا بالإرتباط الوثيق فى وحدة التعبير الفنى فى كل من آرض دلمون وحوض الرافدين وعلى الصفات الأساسية المشتركة من حيث الطابع الفني الواحد .

ومن الممكن القول أن السمات الحضارية المتماثلة التى شملت هذه البلدان كانت تحتضن فى أحشائها وحدة فى الأفكار والثقافات والعواطف والإنفعالات[2] .

إن معظم المؤرخين وعلماء الآثار لايشكون فى أسبقية حضارة دلمون سومر ، ولذا نجد الدكتور جواد علي يذكر فى الجزء الأول من سلسلة كتبه عن تاريخ العرب قبل الإسلام (أن جاليات من البحرين ، دلمون قد هاجرت إلى العراق فسكنت به ، وما الإله أنزاك (INZAK) الذى عبد فى جنوب العراق وشيدت المعابد بإسمه ، إلا علامة على هجرة أهل البحرين إلى العراق ، وتأثر أهل العراق به . فهذا الإله هو إله اصله من آلهة اهل البحرين . وإنتقال عبادته إلى العراق دليل على تأثر العراقيين بثقافة أهل البحرين ، ونقل أهل البحرين له معهم إلى وطنهم الجديد)[3] .

---

(١) تذكر بعض المصادر التاريخية الأخرى إسما آخر للمعبود «ننهرساك» هو «ننكي» أي سيدة الأرض . وقد سميت هذه المعبودة بعد ذلك «دمكينا» .

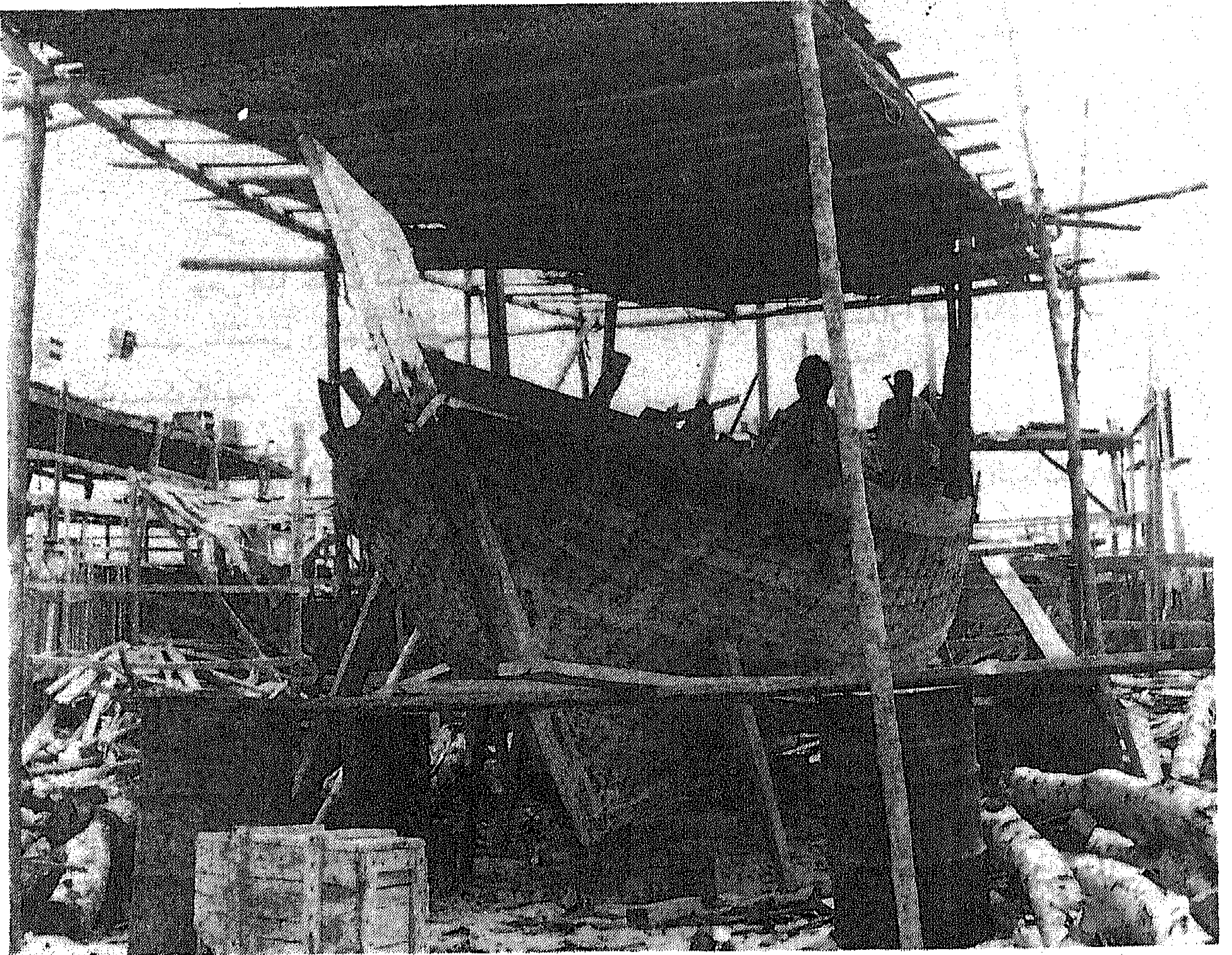
(٢) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الأول ، ص ٥٤٦ .

(٣) ذات المصدر .

البحرين والفنيقيون

تكاد تجمع جميع الكتب التاريخية على شهرة البحرين منذ قديم الأزمنة بالبلح ، والبلح كما هو معروف هو ثمرة النخل . والنخل باللفظ اليوناني معناه (PHEINCIE) ، واليونانيون هم الذين أطلقوا هذه التسمية على الجماعات التى هاجرت من الخليج العربي وإستوطنت سواحل الشام .

لكن هناك من يقول أن أصل كلمة (PHEINCIE) مشتق من كلمة يونانية تعني لون القرمز أو اللون الأرجوانى ، وقد كان ساحل الشام مشهورا بالأصباغ القرمزية والملابس الأرجوانية اللون .



كما ويؤخذ من الروايات القديمة أن الفنيقيين كانوا فى أول أمرهم يقيمون فى بلاد العرب الجنوبية على سواحل الخليج العربي ، وهي منطقة يشكل النخيل أهم مزروعاتها ، ويؤيد ذلك أن أسمهم مشتق من إسم نوع معين من النخيل حسب مصطلحات اللغة الإغريقية ، فبلادهم الأصلية لابد أن تكون صالحة لزراعة النخيل ولا ينطبق هذا على البلاد التى إستوطنوها فيما بعد فى ساحل الشام على بحر الروم . والفينيقيون عند اليونانيين قوم فلاحون ، أو (نخلاوية) حسب التعبير الشعبي الشائع عن الفلاحين هذه الأيام .

والسؤال الآن : من هم الفينيقيون ؟ وما مدى علاقة الفينيقيين بالبحرين ؟ وهل البحرين موطنهم الأصلي ؟

من الممكن القول أن معظم المؤرخين الذين تخصصوا فى الكتابة عن الفينيقيين يتفقون على أنهم قوم وفدوا إلى الشام وسكنوا سواحله وأسسوا دولتهم (فينيقيا) ، وأنهم لم يكونوا فى يوم من الأيام من الأهالي الأصليين لهذه المنطقة ، وإنما قدموا إليها من منطقة أخرى . ولكن المؤرخين يختلفون فى تحديد موقع المنطقة التى كانت بداية لإنطلاقهم .

فالبعض يرى أنهم أتوا من فلسطين .

ولكن الأكثرية ترى أنهم هاجروا إلى سواحل الشام من الخليج العربي .

ومن هنا جاءت تسمية اليونانيين لهم بالفينيقيين نسبة إلى الخليج العربي الذى يشتهر بالنخيل ، ولهذا السبب أيضا إتخذ الفينيقيون النخلة شعارا لهم ونقشوها على مسكوكاتهم .

ولكن من أية بقعة فى الخليج العربي وفد الفينيقيون ؟

يرى كثير من الباحثين وكتاب التاريخ القديم (أن أصل الفينيقيين الساكنين فى (فينيقية) بلبنان هم من منطقة البحرين ، فقد ذكر (هيرودوتس) أن المشهور على أيامه أن أصلهم من البحر الأحمر ، ويرى العلماء أن ما قصده (هيرودوتس) بقوله البحر الأحمر هو الخليج العربي وليس البحر الأحمر[١] .

ويروي المؤرخ (سترابون) أنه عندما زار الخليج العربي ، كان سكانها يؤكدون له بأن سكان مدينتي (صور وأرواد) في الشام هم من مهاجري هذه المنطقة[٢] .

---

(١) الدكتور جواد علي ، العرب قبل الإسلام ، ص ٥٦٧ .

(٢) محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب الأسود ، ص ٦٠ .

ويؤكد بعض الكتاب أن البحرين هي الموطن الذى نشأ فيه الفينيقيون ، ملاحو وتجار البحر الأبيض المتوسط ، الذين جلبوا الحضارات القديمة . ومما يعزز هذا الرأي التشابه المثير للدهشة بين الكثير من القبور التى عثر عليها فى جزيرة البحرين وبين القبور التى خلفها الفينيقيون على سواحل الشام[١] .

(ذكر «نيرخوس» الذى تولى قيادة أسطول الإسكندر الأكبر فى سفرته الشهيرة إلى خليج (العجم) ، يصف كيف أنه زار مدينة فينيقية فى البر وجزيرة (نرين) ، ويظهر أنها هي التى تسمى اليوم (دارين) عند العرب وهى فرضة بالبحرين) .

ووصف «نير خوس» المدافن بقوله «رابية مرتفعة كثيرة النخل» فهذا الوصف ينطبق على إحدى تلك الروابي العالية بقرب قرية «عالي» بخلاف بقية سائر الروابي ، فإنها لاتنطبق عليها وهي بعيدة عنا أميالا عديدة ، بيد أنه لايوجد الآن نخل وهو لاشك مات لتقادم عهده)[٢] .

وأن (أدلة التاريخ والآثار والديار التى لاتزال عامرة ، على أن الفينيقيين ظعنوا من خليج (العجم) بل من بلاد العرب الشرقية إلى البحر المتوسط . وإذا كان يريب القارىء شيء من ذلك ، فلا مجال على ما أظن للريب فى أحد أمرين :

أما أن يكون الفينيقيون من أصل عربي ، وهم مثل العرب ساميون ، وأما أن العرب من أصل فينيقي .

فإذا صحت رواية رولنسون (ROULONSON) ثبتت القصة الأولى ، وإذا صحت رواية قائد الإسكندر ثبتت القصة الثانية ، أما إذا كان لاريب فى كلا الروايتين فمنشأ الفينيقيين ومعابدهم كلاهما في هذه الجزر (يقصد جزر البحرين) وهذا الساحل العربي من الخليج)[٣] .

والفينيقيون قبيلة سامية زحفت من شواطىء الخليج العربي وإستوطنت شواطىء المتوسط منذ خمسة آلاف سنة[٤] .

---

(١) LE GOLFE PERSIQUE, J.J. BERREBY, PAGE 157 .

(٢) الشيخ محمد النبهاني ، التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٤٩ .

(٣) امين الريحاني ، ملوك العرب ، الجزء الثاني ، ص ٢٢٥ .

(٤) الدكتور جورج حنا ، قصة الإنسان ، ص ٢١ .

إن السبب المباشر الذى يجعلنا نهتم بالفينيقيين ونحن بصدد الكتابة عن الفنون التشكيلية ، هو كون (هؤلاء الفينيقيين أول من نشر فى العالم نظاما خاصا للكتابة بالحروف الهجائية المجردة ، وعددها إثنان وعشرون ، وكانت هذه الحروف أساسا لكل الحروف الهجائية التى يكتب بها اليوم أبناء أوربا وآسيا وأمريكا وأفريقيا ، بحيث صح قول القائل ، أن هذا أعظم إختراع إخترعه البشر على الإطلاق)(١) .

وأن هذه الحروف الأبجدية التي إخترعها الفينيقيون كانت أساسا لكل اللغات التى ظهرت بعدها(٢) .

فالحضارة الفينيقية ليست إذن ثمرة لجهود قوم حديثي عهد بالحضارة ، وإنما هي ثمرة لجهود قوم عرفوا الحضارة ، وأرادوا أن يمارسوها على نطاق أوسع(٣) .

ويروى المؤرخون عن الفينيقيين :

أنهم كانوا أذكياء ذوى قريحة نفاذة متوقدة . فليس هناك ما يمنع من أنهم بتأثير قريحتهم هذه ، تنبهوا إلى المرحلة الأخيرة التى وصل إليها تطور الكتابة لدى المصريين وهى مرحلة (الفونوجرام) أى مرحلة الصور الدالة على المقاطع الصوتية فأسرعوا إلى تهذيب هذه الكتابة ، وإستنبطوا من تلك الصور الحروف الأبجدية المستقلة المبسطة وإستخدموها في أغراضهم التجارية الواسعة النطاق .

ويؤيد ذلك أن أسماء الحروف الأبجدية (أبجد هوز ..) هي أسماء سامية فينيقية(٤) .

كذلك لم يكن نشر الكتابة الأبجدية هو الفضل الأوحد للفينقيين ، ولكنه كان أهمها دون شك .

ولنلق الآن نظرة سريعة على بعض النواحى الأخرى التى عرفت عن الفينيقيين .

لقد أحب سكان هذا الجزء من العالم (كنعان أو فينيقيا) البحر والتجارة الخارجية . وإقامة المستعمرات البعيدة ، لهذا سرعان ما أصبحوا من أقدر الشعوب الملاحية وأمهرها التى عرفها العالم القديم ، بل ربما كانوا أقدرهم جميعا .

---

(١) الدكتور فيليب حتي ، الدكتور ادوارد جرجي ، الدكتور جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، ص ١٢ .

(٢) الدكتور جورج حنا ، قصة الإنسان ، ص ٢١ .

(٣) الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة ، عبدالملك الحمر ، البحرين عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٤) حامد عبدالقادر ، الأمم السامية ، مصادر تاريخها وحضارتها ، ص ١٠٢ .

ومن ناحية أخرى لم يهمل الفينيقيون أمر الزراعة إقتصارا على الملاحة ، بل إستغلوا كل شبر يمكن زراعته فى بلادهم كما أحدثوا تطورا غير قليل فى بعض الصناعات وأتقنوا صناعة بعض المعادن ، إذ عرفوا تعدين النحاس والبرونز منذ بداية الألف الثانى قبل الميلاد ، وبدأوا يستخدون الحديد منذ الألف الأول قبل الميلاد .

كما أنهم كانوا يحصلون أيضا على الذهب والفضة والقصدير من أسفارهم البعيدة ، وأنهم تقدموا تقدما غير قليل فى صناعة الحلي وفى صنع أدوات الزينة أو صنع القطع الفنية من العاج ، كما تفوقوا تفوقا كبيرا فى صناعة الزجاج .

وبرع الفينيقيون فى صناعة النسيج ، وكانوا يصنعون الأقمشة الصوفية منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وعرفوا المنسوجات القطنية بعد ذلك بوقت طويل ، ربما كان ذلك فى القرن السابع أو السادس من قبل الميلاد .

كما يرجح بعض المشتغلين بتاريخ الصناعات أن مدينة (صور) كانت تعرف صناعة الحرير فى القرن السادس قبل الميلاد .

ومما ساعد على رواج النسيج الفينيقى على غيره من نسيج البلدان الأخرى ، إتقانهم لصبغه بالألوان الزاهية ، وبخاصة اللون الأرجوانى .

وإذا كان من الثابت حقيقة أن الموطن الأول للفينيقيين هو دلمون «البحرين» ، حيث إنطلقوا منها ينشرون الحضارة والعلم فى حوض المتوسط . فهل هناك من أدلة مادية أخرى بجانب الكتابات التاريخية تعزز هذا الرأي ؟

من الممكن القول ، إننا لو تتبعنا أعمال التنقيب عن الآثار التى أجريت في البحرين ، ابتداء من الحفريات التى قام بها الكابتن (دوراند) ، والبحاثة الإنجليزي (تيودور بنت) فى عام ١٨٧٩ ، الذى كان فى ذلك الوقت يعمل مقيما سياسيا لبريطانيا فى البحرين والسيدة حرمه ، ومرورا بالبحاثة البلجيكى (م . جوانين) ، والميجور (بريدو) بين عامي ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ ، والسيد (إيرنست مكاي) فى عام ١٩٢٥ ، وإنتهاء ببعثة الآثار الدنماركية سنة ١٩٥٤ ، والفرنسية عام ١٩٧٧ .

فإننا نجد أن أهم أعمال الحفريات هذه ، هي التى تمت على يد تيودور بنت ، ففى عام ١٨٨٩ قام هذا البحاثة بإكتشافات أثرية جد عظيمة ، وخرج من هذه الأبحاث بنتيجة حاسمة ، وهي أن القبور الموجودة فى قرية (عالي) ، هي قبور لموتى فينيقيين بنتها أيد فينيقية لا مجال للشك والإلتباس فيها .

أما الميجور أف . بي . بريدو فقد قام خلال عامي ١٩٦٠ ـ ١٩٠٨ بفتح (٣٥) مدفنا من مدافن عالي ، وتعتبر هذه الحفريات من أهم الحفريات التى أجريت فى البحرين[١] ، فقد عثر أثناء عمليات الحفر على قرطين ذهبيين وتمثالين صغيرين من العاج ، قام بإرسال ما عثر عليه إلى المتحف البريطانى ليقوم بدوره بالدراسة ، وقد أفاد بعد فترة علماء المتحف البريطانى بأن هذه المحتويات كلها فينيقية ، وبناء على فقد إستنتج الميجور (بريدو) بأن بناة هذه المقابر هم فينيقيون[١] .

---

(١) أثار البحرين ، من مطبوعات وزارة الاعلام لدولة البحرين .

أولا ـ الفنون التشكيلية فى دلمون

من الممكن القول أن الكتابة عن الفنون التشكيلية ـ فى جميع العصور التى مرت بها ـ على مستوى الوطن العربى ظلت بعيدة عن حياتنا الثقافية فترة طويلة . اما فى البحرين فهى مازالت معدومة تقريبا ، اللهم مؤلف التاريخ القديم للبحرين والخليج العربى[1] التى تعرض فيه مؤلفه إلى بعض مظاهر الفنون التشكيلية . ومن هنا أصبحت الكتابة عن الفنون التشكيلية فى البحرين حاجة ملحة وضرورية أيضا .

وما هذه المحاولة التى نقوم بها ، إلا خطوة أولى نرجو مخلصين أن تتبعها خطوات أخرى من المهتمين بهذا الموضوع ، تكمل النقص وتسدد الخطأ .

إذ ليس من المعقول ولا المقبول ، أن تكون بلادنا وهى مهد الحضارات الأولى من سومرية وفينيقية والحافلة بشتى مجالات الفنون ، ورسول الثقافة والعلم للعالم ، مخترعة الحرف ، ويسلط الضوء على أسرارها ومكنوناتها ، ويعرف العالم حقيقتها .

ونحن عن طريق تسجيل تراث البحرين الشعبى ، والفنون التشكيلية جزء من هذا التراث ، سنحاول أيضا ـ قدر استطاعتنا ـ أن نتعرف من خلال تسجيلنا لهذا التراث واستعراضنا لهذه الفنون ، على كيفية حياة الناس ، اليومية ان أمكن ، وعلاقاتهم المختلفة مع بعضهم البعض فى العصور الماضية .

فالفنون التشكيلية وهى الفنون ذات الابعاد الثلاثة التى خلفها لنا الاجداد من بناء المقابر وانشاء المدافن ، واقامة المدن والمعابد ، وحفر الترع والقنوات . كل هذه المنجزات الفنية التشكيلية ما هى الا سجل للتجارب المادية والنفسية لاجدادنا السابقين . فالفنون التشكيلية لها علاقة وثيقة ولا شك بروح الثقافة العامة التى تسود أى عصر من العصور .

فعن طريق الفن التشكيلى الذى مارسه سكان (دلمون) ومن ثم (تايلوس) ، قد يستطيع القارىء ان يكون رأيا ولو تقريبيا عن مستوى الصناعة والأدب والشعر والفلسفة فيها ، وذلك نظراً للارتباط الوثيق بين الفنون والصناعة والفلسفة .

كما وأن العناصر الفعلية لأى عمل فنى ، كالضوء والمساحة والنسبة ، قد تختلف من حيث أهمية كل منها من فترة إلى اخرى ، وذلك نظراً لاختلاف مفهوم الأعمال الفنية لدى الفنانين فى مختلف الحقب والفترات التاريخية ، بسبب الاوضاع الاقتصادية والفكرية فى تلك الحقب والفترات .

وعلى سبيل المثال فالطابع العاطفى العام الذى اتسمت به الأعمال الفنية المصرية القديمة ، يختلف كثيرا عن طابع القوة والقسوة التى تتميز به الاعمال الآشورية[1] ، كما ان الاحساس بالكتلة والحركة والملمس واللون والتوازن ، أمر نسبى لدى أى شعب من الشعوب فى أى حقبة من الحقب التاريخية .

لذا فإننا نجد أن الدقة فى التعبير والروعة فى الإدراك ، كانت مقصودة لدى المثال العراقى فى تمثال (جوديا) الموجود فى الوقت الحاضر فى متحف (اللوفر) بباريس .

كما أن فكرة الخلود أو الحياة بعد الموت التى كانت تسيطر على عقلية الفنان المصرى ، كانت هى الأخرى مقصودة أيضا ، ونراها واضحة فى الاتجاه نحو الضخامة الذى ظهر بها أبو الهول والإهرامات والمعابد مثلا .

والفنان فى دلمون استعمل طينة التيراكوتا **(TERA COTTA)** مثلة مثل أخيه الفنان فى مصر وفى العراق فى عصور ما قبل التاريخ ، لما وجده فيها من امكانيات فنية لم يجدها فى خامات أخرى ، من حيث جمال اللون ومن حيث استجابتها للتشكيل والتطويع .

ولم تشذ حضارة دلمون عن غيرها من الحضارات فى العصور القديمة فى نظرتها للإرتباط الوثيق بين الصناعة والفن ، ذلك أن المدلول الجمالى لكلمة **(ARTARTIST)** حديث جدا ، كما أن كلمة **(TERA COTTA)** اللاتينية كانت تدل على معنى يختلف كل الاختلاف عن المعنى الذى نفهمه منها الآن ، فقد كانت تعنى فى ذلك الوقت الحرفة او الصناعة التى تحتاج الى حذق وبراعة كالنجارة والحدادة .

ولم يكن الرومان واليونان يفهمون الفن بمعزل عن الصناعة والحرفة أبدا ، وهم إذا مارسوا شيئا من الفن الجميل كالشعر مثلا ، اطلقوا عليه صناعة الشعر . وإذا تحدثوا عن الصناعة ، قصدوا فن الصناعة .

وظل الإرتباط بين الحرفة والفن وثيقا حتى القرن السابع عشر ، ومنذ هذا الوقت شعر الفلاسفة بضرورة التفرقة بين الصناعة والحرفة من جانب ، والفن الرفيع من جانب آخر[2] .

---

(١)برنارد مايرن ، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها ، ص ٤٥ ، ترجمة الدكتور سعد المنصوري .

(٢) الدكتور عبدالحميد يونس ، الأسس الفنية للنقد الأدبي ، ص ١٢ ـ ١٤ .

مظاهر الفنون التشكيلية :

المدافن :

الظاهرة الفريدة التى تشتهر بها البحرين ، والتى تلفت لأول وهلة نظر الزائر لهذه الجزيرة ، هى ظاهرة كثرة المدافن والقبـور المنتشرة فى عـدة مواضـع على أرض البحرين ، لدرجة أن بعض المؤرخين أطلق على جزيرة البحرين ، جزيرة المليون قبر ـ بالرغم انه من المتفق عليه الآن ان هذه القبور تتراوح ما بين (١٠٠ ـ ١٥٠) ألف قبر ـ فهى لهذا أكبر مقبرة فى العالم فى عصور ما قبل التاريخ ، حيث تحتل مساحة لا تقل عن ٣٢ كيلومترا .

وكما أشرنا فى مكان سابق من هذا البحث ، ان وجود هذه الظاهرة بهذا الشكل الملفت للنظر ، أوحت لبعض المؤرخين الاعتقاد بأن البحرين كلها كانت فى القديم ، عبارة عن مقبرة كبيرة لدفن الموتى من سكان السـاحل الشـرقى من شبه الجـزيرة العربية .

لكن يغدو من الصعب الاعتماد على هذا الاستنتاج، ذلك لأننا عندما نأخذ بهذه النتيجة لا نستطيع ان نتجاهل استنتاجات كبار المؤرخين ومنهم (هيردوت وسترابون) بأن هذه القبور فينيقية[1] ، وهى للحقيقة والتاريخ مقابر محلية للسكان الأصليين الذين كانوا يسكنون أرض دلمون .

فقد كانت دلمون فى ذلك الزمن السحيق من التاريخ بلدا زراعيا تعج بقنـوات المياه ومكانا يزدحم بالناس وبالمعاملات التجارية ، ما بين الهند وسواحل أفريقيـا وجنوب العراق ، وكان طقسها فى ذلك الوقت ، يشابه طقس بلدان شمال البحر الأبيض المتوسط فى الوقت الحاضر[2] .

ويعتقد معظم المنقبين الذين قاموا بعمل حفريات فى البحرين ، ومنهم (ديورانت وتيودور بنت و م . جوانان والرائد بوردو وأرنست مكاي) بوجود مقابر للعصر البرونزى فى البحرين ، أى ما قبل ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد ، وقد تعرضت معظم محتويات هذه القبور ـ للأسف ـ للسرقة وعلى فترات متباعدة .

ويقسمون هذه المدافن إلى نوعين :

مدافن فردية أى مقابر تتكون من طابق واحد .

وأخرى مزدوجة تتألف من طابقين أو من غرفتين .

---

(١) الشيخ عبدالله بن خالد ، عبدالملك الحمر ، البحرين عبر التاريخ «الجزء الأول» . ص ١٤٥ .

(٢) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، «الجزء الأول» ، ص ٥٣٣ .

وتشكل المدافن المفردة ذات الغرفة الواحدة الغالبية من مجموع المدافن فى البحرين فى الفترة البرونزية . وتمتد الغرفة التى تكون القبر من الجهة الشرقية الى الجهة الغربية ، اما مداخل القبور فتواجه فى الغالب الجهة الغربية . ويتكون المدخل من قطعتين منفصلتين عن بقية جدران المدافن وبارزتين عنه ، وتغطى المدخل قطعة صخرية ضخمة ممتدة تشكل سقف المقبرة . كما وجدت قطع حجريـة أخرى أقـل ضخامة بالقرب من مداخل المدافن ، ويعتقد انها كانت تستعمل فى الغالب كعتبات للقبور .

اما جدران المدافن فتتكون من خمس طبقات ، ويبدو انه من العادات الدينية المتبعة فى دلمون انهم كانوا يفرشون أرضية قبر الميت بـرمال نـاعمة قبـل القيام باجراءات الدفن .

ومن هذه القبور عرف علماء الآثار والمنقبون الطريقة التى كان يتبعها سكان (دلمون) فى دفن موتاهم فى القبور ، فلقد ثبت من خلال ما تم اكتشافه من هذه القبور ، أن الميت كان يوضع فى جميع الحالات على جنبه الأيمن ، بينما تكون ركبتاه فى وضع منحنى ، وتمدد قدماه لتكونا فى مواجهة مدخل القبر ، اما الذراعان فيوضعان فى شكل منحنى بطريقة تجعل اليدين متجهتين دوما نحو الوجه .



● التنقيب عن الآثار .

من الممكن ان نستنتج من كون اتجاه جميع مداخل القبور نحو جهة الغرب ، وكذلك من طريقة وضع الميت داخل القبر ، ان سكان دلمون فى العصر البرونزى قد بلغوا مرحلة متقدمة من مراحل التفكير الانسانى ، فلقد كانت لهم ولا شك فى ذلك ديانة ما فى العهد السحيق ، أو على الأقل كانت لهم عقيدة دينية معينة .

لأنه ليس من قبيل الصدف ان تتخذ واجهات أبواب جميع القبور اتجاه معين واحد ، وان يسجى جميع الاموات بطريقة موحدة تقريبا .

كما ويمكن الاستنتاج من وجود الادوات المدفونة مع الميت فى ذات القبر ، مثل القدور الفخارية والمواقد والمزهريات ، وكذلك من وضع الأسلحة من حراب معدنية وخناجر ، ومن دفن حيوانات الميت من غزلان وخرفان وكلاب فى ذات القبر مع الميت[1] ، إن سكان دلمون فى العصر البرونزى عرفوا فكرة الخلود وحياة الانسان الابدية بعد الموت .



● قبور تم تنقيبها .

وليس من المستبعد أيضا ان الخاصة من سكان دلمون ، كما كان يحدث بالنسبة الى عظماء سومر ، ونظرا للعلاقات الوثيقة بين البلدين وعلى الأخص فى العقيدة الفكرية والدينية ، وهو ما يبدو واضحا فى الأساطير المشتركة بينهما ، كانت تصحبهم الى العالم الآخر طواعية نخبة من حاشيتهم ، من الذكور والأناث ، وكان الجميع تقديسا لهذه المناسبة يرتدون أجمل ملبوساتهم ، ويتزينون بأغلى حليهم ، ويصطحبون معهم أغلى أدواتهم ووسائل تسليتهم ، وعرباتهم بحيواناتها ، ثم يدفنون بعد ذلك مع الميت .

وربما كان يحدث كل ذلك تحت تأثير مخدر قوى .

---

(١) سيد عويس ، الخلود في التراث الثقافي المصري ، ص ٦١ .

ومن الأدلة التى كشفتها الحفريات العلمية بهذا الخصــوص ، وعلى الأخص الحفريات التى قام بها السير ليونارد وولي فى العراق فى مدينة (أور) ، هذا مع الأخذ فى الاعتبار التشابه الكبير بين المدافن والمعابد بين البلدين ، ان احدى الوصيفات كان يبدو انه لم يكن لديها متسع من الوقت لتمشيط شعرها ، واستكمال زينتها ، وخشية منها لكي لا تتأخر عن أصطحاب سيدها إلى العالم الآخر ، أخذت مشطها معها فى جيبها حتى تتزين به خلال فترة المراسم الدينية التى تقام على الميت قبل وضعه فى القبر [1] .

ليس من المستحيل أبدا أن نتصور ان مثل هذا كان يحدث فى دلمون أيضا .

من البداهة القول ، ان انسان دلمون الذى عرف فكرة الخلود والحياة الثانية الابدية بعد الموت ، لا يمكن الا ان يكون قد وصــل الى مرحلــة متقدمــة من التقدم الحضارى ، وكذلك يمكن ان نستنتج ان الانسان فى دلمون ، لم يجلب او يصدر المواد الأولية التى تحتاجها أي حضارة الى البلدان المجاورة فقط ، بل صدر وجلب معه أيضا ثقافات ومعتقدات دينية .

المدفن المزدوج :

يعتقد المنقبون الذين اجروا منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن ، تنقيبات على المدافن المفردة ، وهم يحددون مكان وجودها فى الجهة الشمالية الغربيــة من جزيرة البحرين وبالقرب من قرى الجنبية والقرية وسار والحجر ، وكذلك فى جزيرة أم النعسان .

ويتألف هذا النوع من المدافن المفردة من غرفتين ، الواحدة تعلو الأخرى ، محاطا بسور من الحجارة على شكل دائرة يبلغ قطرها من ١٨ الى ١٠٠ قدما ، ويبلغ ارتفاع المدفن فى معظم الحالات ما بين ٢٦ الى ٨٠ ، ومما تجدر الاشــارة اليه ان الغرفة السفلى توجد بها فتحتان ، وتقع هاتان الفتحتان على الجانب الأيمن من القبر فقط . بينما لاتوجد أية فتحات فى الغرفة العليا .

والجدير بالاهتمام هو وجود طبقة ترابية تفصل الغرفة السفلى عن الغرفة العليا ، ويعلل علماء الآثار وجود هذه الطبقة الترابية برغبة الناس فى دلمون القديمة فى دفن موتاهم على أرض عذراء .

---

(١) السير ليونارد وولي، مدخل الى علم الآثار ص ٩١ ترجمة الدكتور حسن الباشا.

مدافن قرية عالى :

تشتهر قرية عالى بكثرة قبورها ، ويقدر بعض الكتاب هذه المدافن بمائة ألف أو مائة وخمسين ألف مقبرة[٢] ، كما يقدر علماء الآثار عمر هذه القبور ، فيؤكدون بأنها قد بنيت فى الفترة ما بين ٢٣٠٠ الى ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

وتأخذ هذه المقابر فى شكلها حجم التلال الكبيرة ، وقد عثر بالفعل على أحد التلال الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانين قدما .

ولقد قام كثير من المنقبين بعمل حفريات فى هذه المنطقة ، ولكن أهم الحفريات التى انجزت هى الحفريات التى قام بها الميجور بريدو فى عام ١٩٠٨ ، حيث قام بفتح (٣٥) مقبرة ، ومن الادوات التى عثر عليها خلال عمليات التنقيب فى هذه القبور قرطين ذهبيين وتمثالين صغيرين من العاج .

وبعد فحص ودراسة هذه الادوات من قبل المتحف البريطانى استطاع الميجور (بريدو) أن يؤكد بأن هذه المدافن هى قبور فينيقية .

ولعل من أهم ما تجدر الاشارة إليه بالنسبة لهذه القبور ، هو ان مداخل هذه القبور الموجودة فى عالى تتجه جميعها نحو جهة أخرى تختلف عن تلك التى تتجه إليها مدافن العصر البرونزى . فبينما تتجه مداخل قبور العصر البرونزى نحو جهة الغرب ، نجد أن مداخل هذه القبور تتجه كلها نحو جهة الجنوب .

هذا الاختلاف فى الجهة التى تتجه نحوها مداخل هذين النمطين من المدافن يثير تساؤلا جديرا بالاهتمام ، خاصة ونحن افترضنا بأن ظاهرة اتجاه مداخل القبور نحو جهة معينة، لابد وان يكون له علاقة وثيقة بالعقيدة الدينية التي يعتنقها الناس الذين كانوا يعيشون ذلك العهد.

فهل يا ترى نستطيع ان نفترض استنادا الى هذا الاختلاف فى اتجاه القبور بأن العقيدة الدينية فى دلمون اختلفت أيضا من عهد الى آخر ؟ وللحقيقة فإن مثل هذا الافتراض قد يكون مفيدا من حيث النتائج .

ذلك أولا واستنادا الى النتائج التى توصل اليها الميجور (بريدو) بأن مقابر عالى تخص الفينيقيين دون سواهم .

وثانيا نظرا لطول الفترة الزمنية بين العهد البرونزى (ما قبل ٣٠٠٠ قبل الميلاد) وبين عهد مقابر عالى (ما بين ١٣٠٠ الى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) .

قد يمكن القول ان دلمون شهدت عدة عقائد دينية .

وهناك أيضا ظاهرة أخرى جديرة بالملاحظة ، من حيث كونها مرتبطة بالافتراض السابق ، ونقصد بها ظاهرة اغلاق مدخل القبر باحجار كبيرة بعد وضع الميت فيه ، ووجود ممرات من القبر الى خارجه .

ويصف المنقبون هذه المقابر بأنها تتألف من غرفتين ، الواحدة تعلو الأخرى . ويذكرون فى معرض الحديث عنها بأنها تعرضت للسرقة والعبث بمحتوياتها أكثر من مرة .

إلا انه من حسن طالع المنقبين أنهم عثروا على قطع صغيرة من العاج ، وبعض الخواتم الذهبية ، وعلى قطع أخرى من الفخار فى الغرفة العليا من أحد القبور .



● مدافن قرية عالي .

وفى الوقت ذاته وجدت فى الطابق الأسفل من هذا القبر بقايا هيكل انسان ، ومواقد تحتوى بداخلها على رماد ، ربما كانت هذه المواقد من مستلزمات الطقوس الدينية .

كما عثروا فوق جدار المدفن فى الطابق العلوى من المقبرة على فتحات صغيرة مثبت بداخلها قطع خشبية ، قد يكون الهدف من هذه القطع استعمالها كشماعات لتعليق أبواب الميت .

من هذه الأدوات الموجودة فى غرفة الميت يمكن ان نستنتج ، بأن أهل دلمون الذين عاشوا فى دلمون القديمة ، عرفوا أيضا فكرة الخلود والحياة الاخرى بعد الموت ، وبأن روح الإنسان لا تفنى بعد الموت ، وأنها تنفذ من القبر وتنزل الى العالم السفلى .

وهذا العالم السفلى كما يخبرنا علماء الآثار والمؤرخون عبارة عن مدينة كبيرة يعمها الخراب والتراب والظلام . ويعيش سكانها حياة تعيسة ، يشربون الماء القذر ويأكلون التراب ، ولا يمكن التخفيف من هول الصدمة الكبرى التى يصادفها الميت وهو يفتح عينيه بعد الموت ، إلا بتقديم القرابين ودفنها معه فى مكان واحد .

وهذا بالفعل ما تفسره لنا ظاهرة دفن أدوات الميت للتخفيف من التعاسة التى يعيشها فى العالم السفلى ، وهم بإعتناقهم هذه العقيدة ، لا يختلفون كثيرا عن الناس الذى عاشوا العهد البرونزى .

اما الاستناد الى عدم العثور على صحون تحتوى على أطعمة ، أو عدم وجود أصداف بحرية بجانب الميت ، فلا يقوم دليلا على عدم اعتقاد الناس فى العهد البرونزى ، وكذلك فى العهد الفينيقى بحياة أخرى بعد الموت .







● أختام دلمونية .

المدافن السلوقية :

إن التسلسل الزمنى لأعمال الحفريات لا يرتبط بالضرورة بالتسلسل الزمنى لتاريخ الآثار أو المكتشفات ذاتها التى وجدت فى الحفريات .

فالمقابر السلوقية عندما كانت التسمية تايلوس هى الشائعة لجزيرة البحرين ، والتى يعتبرها علماء الآثار معاصرة للفترة اليونانية المؤرخة بحوالى (٣٠٠ قبل الميلاد) قد اكتشفت قبور الفترة التى سبقت سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

ان الفترة الواقعة ما بين اكتشاف المقابر الدلمونية فى منطقة عالى ، وبين اكتشاف المقابر السلوقية (عهد تايلوس) ، وهى فترة لا تقل عن ١٢٠٠ سنة ، هى التى دفعت علماء الآثار والمنقبين الى البحث والتنقيب فى أرض البحرين .

إذ ليس من المتصور بالنسبة لما يدور فى أذهان المنقبين خلو هذه الفترة الطويلة من القبور والمدافن .

وعلى هذا الاساس لم يتوقف قسم الآثار بوزارة التربية والتعليم (آنذاك) عن القيام بعمل حفريات جديدة للبحث عن مدافن هذه الفترة . وخلال الحفريات التى قام بها اهتدى الى العثور على بعض مقابر تعود الى هذه الفترة ، وهى القبور الواقعة فى منطقة قرية (الحجر) .







● بعض المواقع الأثرية في البحرين

ومن الدراسات الاولية لهذه القبور ، اتضح انها بنيت بطريقة تختلف عن الطريقة التى شيدت بها قبور العصرين (الدلمونى والتايلوسى) كما تأكد ولاول مرة ان دلمون عرفت بدورها القبور الجماعية ، وقد توصل الى ذلك عن طريق دراسة الاسلوب الذى تم به بناء مدخل المدفن ، وكذلك استنادا الى ظاهرة وجود ادراج يسهل فتحها والنزول عن طريقها الى داخل المدفن بين حين وآخر .

وتقع أغلب هذه القبـور السلوقيـة (تايلـوس) فى الجهة الشـرقية من شـارع (البديع) ، وتتركز فى قرية (الشاخورة) .

وتختلف هذه التلال عن العصر البرونزي والدلموني، من حيث ان كل تلة من هذه التلال على عدة قبور، كما ان مداخل هذه المدافن لا تتخذ إتجاها معينا، كما لوحظ ان أحجام هذه القبور تختلف تبعا لسن الميت المدفون بداخلها.

فهناك قبور تخص كبار السن وقبور أخرى للأطفال ، ومن قياس هذه القبور وجد أن متوسط طول قبور الكبار يتراوح بين ستة الى سبعة اقدام ، ويتراوح ارتفاعها بين ٣٠ بوصة الى ما يزيد على أربعة اقدام بقليل .

ومن أهم هذه القبور ، ذلك القبر الذى يقع فى الغرب من معبد باربار ، فهو مبنى من ثمانية احجار ، حيث وجدت أحرف لاتينية على خمسة من هذه الاحجار ، والظاهر ان هذه الاحرف استعملت كاشارات ارشادية من قبل بناة القبر ، حتى لا يقعوا فى الخطأ عند تثبيتها فى مكانها الصحيح عند قيامهم بالبناء .

وهو أسلوب متبع حتى وقتنا الراهن .

ويؤكد المنقبون أن معظم هذه المقابر استعملت للدفن أكثر من مرة ، كما انها تعرضت أكثر من مرة للسلب والنهب ، فقد وجدت هياكل بعض الموتى مبعثرة ومقطعة ، كما وجدت موجوداتهم محطمة .

وقد عثر فى هذه القبور على اوانى مطلية بلون اصفر ، بينما استعمل غالبا اللون الاخضر فى تلوين حوافى هذه الاوانى ، وقد وضعت كلها فى شكل مقلوب وثبتت على ظهر القبر ، ووجد بداخلها رماد لم تعرف طبيعته حتى الآن .

ومن ظاهرة وجود هذه الاوانى وطريقة وضعها ، ومن ألوانها التى تكاد تكـون متحدة ، استنتج المنقبون بأن هذه الظواهر تحتم وجود طقوس دينية كانت تصاحب عملية الدفن ، ومن بين موجودات هذه القبور أطباق وجدت بداخلها أطعمـة وضعت بالقرب من الميت ، مما يدل على اعتقاد الناس فى هذا العهد أيضا بحياة أخرى بعد الموت .

ثانياً: المدن وتخطيطها .

لقد بدأت أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار فى البحرين بمبادرات فردية كما أشرنا سابقا ، ومن أهم هذه المبادرات هى تلك التى قام بها ديورانت ، وتيودو بنت ، و م . جوانان ، والرائد بوردو ، وأرنست مكاي ، ثم تلتها أعمال البعثة الدنماركية والبعثة الفرنسية

ومنذ ان قدمت بعثة الآثار الدنماركية الى البحرين سنة ١٩٥٤ والبعثة الفرنسية سنة ١٩٧٧ ، قامتا بعمل عدة حفريات فى معظم مناطق البحرين ، وازالتا بعض الغموض الذى كان يكتنف تاريخ البحرين القديم ، إلا أن امكانية اكتشاف آثار جديدة مازالت كبيرة .

ففى سنة ١٩٧٠ اكتشف قسم الآثار آنذاك مقابر الفترة الواقعة ما بين (١٥٠٠ و٣٠٠) قبل الميلاد ، كما اكتشفت فى شهر مايو من ذلك العام ، بعض آثار جديدة فى قرية (الحجر) ، ومن بينها ختم اسطوانى يعود تاريخه الى فترة الكاسايت (١٨٠٠ ـ ١١٠٠ قبل الميلاد) حيث وجدت على هذا الختم الاسطوانى كتابة مسمارية قديمة .
كما تم العثور عند مدخل أحد القبور على هيكل لكلب مستلق عند بوابة هذا القبر ، وعلى ثمانى جماجم ، أحدهما لماعز مع عظام حيوانات وطيور[١]

ويعتقد المنقبون ان أهم ما عثر عليه حتى الآن من حيث قدم عمر المكتشفات ، وبعد اكتشاف المدن والمدافن فى شمال شرقى البحرين وفى قرية عالى ، هى الآثار الصخرية فى المنطقة الغربية من طريق (عوالى ـ الزلاق) والتى يرجع تاريخها الى (٥٠٠٠٠) و(٢٠٠٠٠) سنة قبل الميلاد ، وهى آثار صخرية لرؤوس سهام ، وشطفات حجرية كانت تستعمل لحصد الذرة والحشائش ، وقد أرجع المنقبون تاريخ هذه الشطفات الى العصر الحجرى القديم[٢] مما يدل على تقدم الزراعة وخصوبة أرض البحرين فى ذلك العصر[٣] .

---

١ ـ جريدة النجمة الاسبوعية ، العدد ١٧ بتاريخ ١٢ مايو ١٩٧١ ، السنة ١٥ .
٢ ـ يقسم علماء الآثار العصور الحجرية الى العصر الحجرى القديم ثم العصر الحجرى الحديث ثم عصر البرونز ثم عصر الحديد ، كما يقسم كل عصر من هذه العصور الى عصور فرعية .
٣ ـ آثار البحرين ، من منشورات قسم الآثار بوزارة التربية والتعليم ، ص١٢ .

إن اللوحة الآشورية التى عثر عليها فى العراق ، والتى يرجع تاريخها الى عام (٢٠٠٠) قبل الميلاد تتحدث عن ترنيمة سومرية دلمونية ، إذ تذكر هذه الترنيمة بأن دلمون مدينة مقدسة بارك أرضها الآلة (أنكى) إله المياه العذبة[١]

وتقول الأساطير أن الإله (أنكي) قد عين إبنه الإله (أنزاك) حاكما على دلمون.
وفى عام ١٨٨٩ عثر الكابتن (ديوراند) في البحرين على نقش بالحروف البابلية القديمة وعليه هذه العبارة «فقد (ريموم) خادم الإله (أنزاك) من قبيلة (أقاروم)» .

كما تروي قصة الطوفان المشهورة عند السومريين ، أن الناجي الوحيد من الطوفان منح الحياة الابدية وأسكن فى دلمون جزيرة الخلود . وكذلك الاسطورة الآشورية التى تحكي ان البطل السومرى (جلجامش) جاء الى البحرين بحثا عن زهرة الخلود ، التى قيل له انها موجودة فى اعماق الخليج العربى .

وبعد ان استطاع ـ بعد صراع مرير وطويل العثور عليها ـ سرقها منه خلسة ثعبان كان متأهبها لها بينما كان جلجامش نائما تحت ظل نخلة . واستنادا الى هذه الاسطورة اكتسب الثعبان صفة الخلود لدى السومريين ، وظلت للثعبان هذه الصفة حتى هذا اليوم ، فمازال رسم الثعبان يتصدر عناوين جميع الصيدليات فى العالم .

وهناك العديد من سجلات العراق القديمة التى تشير إلى متانة العلاقات التجارية والواسعة بين دلمون والعراق ، ومن أقدم هذه السجلات سجل الملك (لاجاش) الذى يرجع تاريخه إلى عام (٢٥٢٠) قبل الميلاد .

وقد استطاعت البعثة الدنماركية الكشف عن بقايا وانقاض ست مدن ، تقع كلها تحت قلعة البحرين وبالقرب من الارض المجاورة لها ، كما استطاعت البعثة الفرنسية بعد ذلك من اماطة اللثام عن كثير من الغموض الذى مازال يكتنف منطقة قلعة البحرين . وقد وضعت تقريرا عن حفريات قلعة البحرين .

---

١ ـ يعتقد بعض علماء الآثار، ان الترجمة الصحيحة للإله «أنكي» هي سيد الأرض، أما إله المياه العذبة فهو «أبو» .

المدينة الاولى :

تقع أطلال هذه المدينة، وهي أقدم مدينة تم الكشف عنها حتى الآن حيث يرجع عهدها كما تعتقد البعثة الدنماركية الى (٢٨٠٠) قبل الميلاد ، الى الجانب الشرقى من منتصف ساحل الجزيرة الشمالى بمحاذاة البحر ، وتتألف هذه المدينة فى معظمها من بيوت صغيرة ، ويظهر من بقايا انقاضها انها لم تكن مسورة ، وتذكر البعثة ان سرجون الاكادى هو الذى قام بإحراقها وتدميرها فى عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد (١) .

المدينة الثانية :

أسست هذه المدينة مباشرة بعد تدمير المدينة الاولى ، أى حوالى (٢٣٠٠) قبل الميلاد . ومن المتفق عليه بين المنقبين ان أهل هذه المدينة هم الذين اقاموا المقابر الكثيرة الموجودة فى وسط الجزيرة ، وهم أيضا بناة معابد باربار . والجدير بالذكر ، ان هذه المدينة على عكس المدينة الاولى كانت مسورة بسور ضخم لاتزال آثاره باقية ويمكن مشاهدتها حتى الوقت الحاضر ، وانها مبنية من الجبس ولكن حتى الآن لم يقم احد بعمل دراسة علمية لهذه المدينة تساعد فى فهم كثير من التعقيدات الهندسية ، كطريقة بنائها أو كيفية تخطيطها مثلا ، ويذكر ان هذه المدينة استمرت خمسمائة عام .

وفى هذه المدينة وجدت بعض الاختام والاوزان الهندسية ، وقد ظهرت فى ذات الوقت التى ظهرت فيه هذه الاختام والاوزان فى كل من بلاد السند وبلاد الرافدين ، مما يدل على اتساع وقوة النشاط التجارى الذى كان اهالى دلمون يمارسونه مع الاسواق التجارية المشهورة فى ذلك العصر .

المدينة الثالثة :

يعتقد انها أسست فى الفترة ما بين سنة (١٧٠٠ ـ ١٢٠٠) قبل الميلاد ، وتقع هذه المدينة جنوب قلعة البحرين ، ولا تزال توجد ، حتى وقتنا الراهن ، بعض أساسات لبناء واسع مستطيل ربما يشكل بقايا معبد ، أو مسرح ، او ساحة من الساحات العامة ، ويذكر المنقبون ان هذا البناء قد احرق فى العام أيضا (١٩١١) قبل الميلاد ، حيث مازالت تشاهد بقايا آثار الحريق على جدران هذه المدينة وكذلك على أواني الفخار التي وجدت تحت أنقاضها.

---

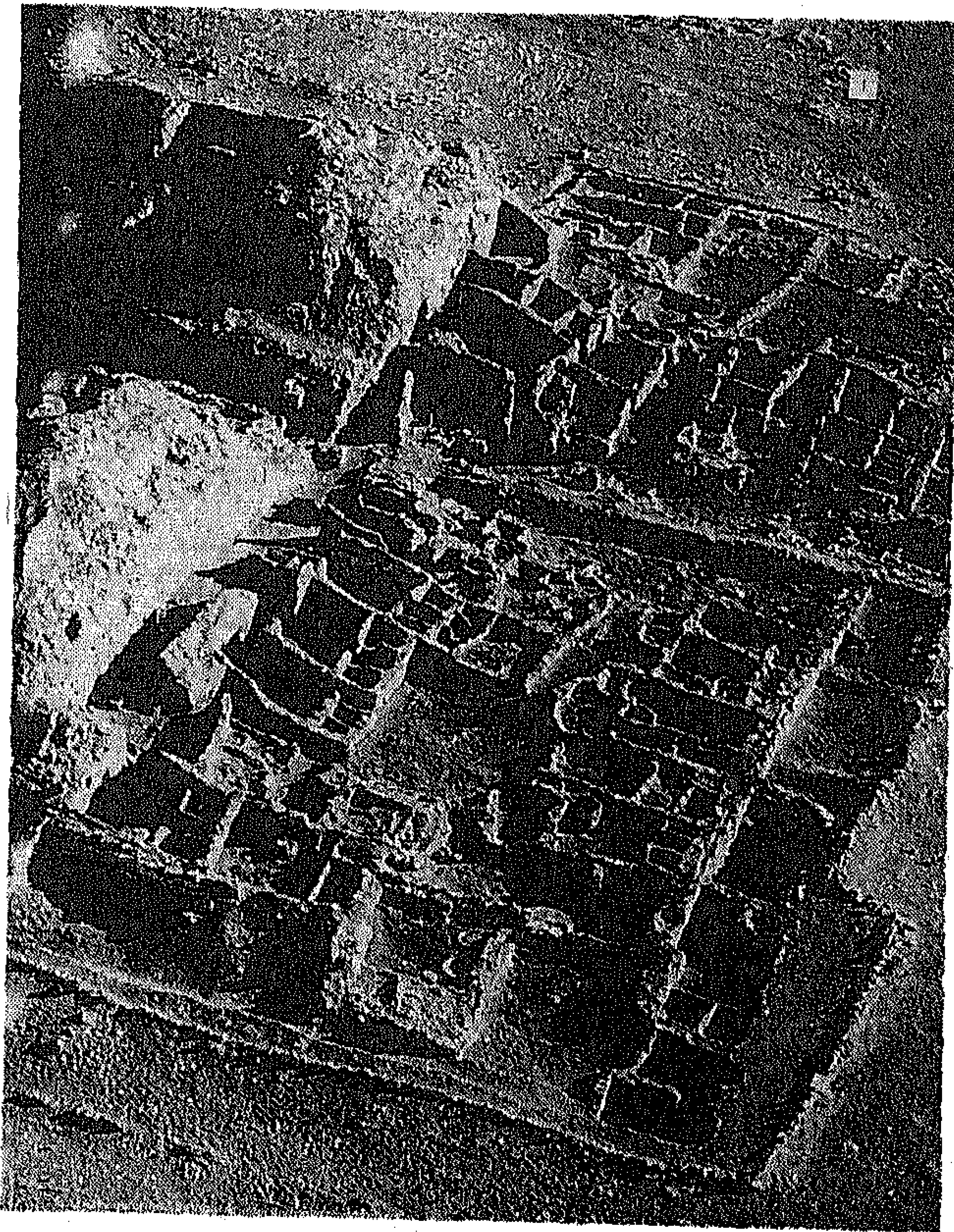
(١) فى مؤلف السير ليوناردو وولي ، مدخل فى علم الآثار ان عهد سرجون الأكادي الفاتح كان ٢٦٥٠ قبل الميلاد . وانه استطاع ان يخضع السومريين وكون امبراطورية واسعة الاطراف وصلت حدودها حتى الخليج العربى ، وان حضارة الاكاديين قد تاثرت كثيرا بالحضارة السومرية ، واستخدموا لغتهم وكتابتهم .

المدينة الرابعة :

يرجع المنقبون تاريخ اطلال هذه المدينة الى عصر الامبراطورية الآشورية ، أى الى حوالى (٩٠٠ ـ ٦٠٠) قبل الميلاد ، وهى الفترة التى نزح خلالها الأشوريون الى الجنوب من وادى الرافدين . ومن أجمل القطع الأثرية التى خلفتها هذه المدينة ، هى البوابة التي بلغ جمال زخرفتها وشكلها درجة عالية من الروعة والاتقان ، وترتفع هذه البوابة إلى عشرة اقدام ، وهى ما تزال باقية حتى الوقت الحاضر . وفى أفنية منازل هذه المدينة توجد حمامات لكل منها نظام مجاري متطور ، وهو يعطي انطباعات عن تقدم مستوى الهندسة فى تلك الفترة

ومن المحتمل ان الآشوريين قد غزوها فى وقت من الأوقات ، فقد عثر على توابيت من الفضة مخبأة تحت الأرض ، كما وجدت قرابين من الأفاعي موضوعة فى آنية مغطاة ومدفونة تحت الأرض .

وربما تكون لهذه الأفاعى علاقة ما بأسطورة البطل (جلجامش) الذى عثر على زهرة الخلود فى مياه دلمون ، وسرقتها الثعابين فى غفلة منه .



المدينة الخامسة :

(سيلوكس) حوالى سنة (٣٠٠) قبل الميلاد ، وبالرغم من حداثة عهد بناء هذه المدينة ، إلا أن اطلالها التى عثر عليها قليلة بالنسبة لغيرها من المدن الأقدم عهدا منها ، ويمكن ان يستدل من وجود الفخار اليونانى ذى الطراز الأثيني فى هذه المدينة ، على ضرورة وجود علاقات تجارية قوية مع الامبراطورية السلوقية .

خلاصة القول ، انه لابد من القول بأن هذه المقابر الهائلة المحتوية على مئات الآلاف من المدافن ، هي عمل هندسي اعجازى رائع ، خاصة اذا استخدمت في انشاء هذه المدافن ، فهى في أغلب احوالها لا تزيد عن قطع من الصخور الصوانية.

المدينة السادسة :

أسست هذه المدينة فى الفترة من سنة (١١٠٠ ـ ١٤٠٠) بعد الميلاد . وقد زالت للأسف معظم معالمها تقريبا ولم يبق منها (إلا قصر) صغير يحيط به سور ، وهى عبارة عن بناء مربع الشكل ، وقد روعيت الدقة والتناسق كما يبدو فى بنائه ، ويحيط هذا السور ساحة واسعة مرصوفة . وقد اكتشفت لاول مرة على يد جوفرى بيبي ، ثم اعادت البعثة الفرنسية اكتشافها ، وتعتقد البعثة ان القرامطة هم الذين قاموا ببنائها ، فى الفترة ما بين القرنين التاسع والحادى عشر ، وقد عثر فيها على بعض التحف والاسلحة ، وقطع من النقود والخزف .

معبد باربار :

يرجع اكتشاف هذا المعبد الى البعثة الدنماركية فى الخمسينات ، ويرجح المنقبون ان بناء هذا المعبد كان فى الفترة الواقعة بين سنة (٣٨٠٠ ـ ٢٠٠٠) قبل الميلاد ، ويقع هذا المعبد فى المنطقة الواقعة بين قرية (البديع) وقرية (الدراز) ، فى القرية المعروفة (بباربار)[1] ، ويتخذ شكل هذا المعبد هيئة البناء البيضاوى .

ويعتقد علماء الآثار استنادا الى الاسطورة السومرية ان هذا المعبد كان فى الأصل للإله (أنكي) وزوجته (ننهرساك) ، وذلك نظرا للتشابه الكبير بين هذا المعبد وبين المعبدين اللذين اكتشفا فى العراق ، وربما كانت العقيدة الدينية أيضا واحدة فى تلك الفترة ، فى كل من دلمون وسومر فى جنوب العراق ، خاصة وان الإله (انزاك) إبن الإلهين المذكورين كما تروي الاسطورة قد ولد فى دلمون وعين حاكما عليها من قبل والده .

ودلت الدراسة على ان هذا المعبد قد بني على ثلاث مراحل ، استغرقت جميعها حوالى (١٠٠٠) عام ، فالمعتقد ان الجدارين الموجودين حتى الوقت الحاضر يشكلان

---

١ ـ لاحظ التقارب فى اللفظ بين اسم هذه القرية وبين بابار (BABBAR) وهو إله الشمس عند السومريين ، وزوجته أيا (AYA) .

بقية من جدران أبعد منهما فى التاريخ ، كان يرتكز عليهما المعبد الأصلى الذى بني على بقاياه معبد باربار .

والمعبد الأول الاصلى ذو الادراج المعلقة مبنى بحجارة طبيعية غير مصنعة ولا مصقولة ، بينما المعبدان الثانى والثالث فهما مبنيان من الحجارة الجيرية .

والمرجح لدى المنقبين أن المصاطب العلوية الموجودة الآن فى معبد باربار لا ترتبط أصلا بالمعبد الأصلى ، وإنما هى اضافات أقيمت عليه بعد ذلك ، وذلك عند بناء المعبدين الثانى والثالث .

ومما يلفت النظر فى معبد باربار باعتباره من روائع البناء الهندسية القديمة ، ذلك المعبد العلوى ذو الدرج المنحوت ، الذى ينحدر متجها الى الغرب حتى يصل الى نبع المعبد المقدس أو بئر التمنيات ، الذى يتفرع الى عدة فروع .

وحتى وقتنا هذا لاتزال توجد بقايا مذبحين مقدسين لنحر القرابين التى تقدم للآله ، مبنيين من حجارة مصقولة على شكل دائرى ، كما توجد جدران فى كل من الجهة الشرقية والشمالية من المعبد .

ويمتد فى وسط المعبد رصيف مستطيل ، ويشكل هذه المستطيل الساحة الرئيسية ، بالإضافة إلى غرف المعبد ، ويعتقد ان هذه الغرف التى مازالت فى حالة لا بأس بها قد بنيت فى المرحلة الثالثة من عمر المعبد ، ذلك لأنه عثر مؤخرا فى اسفل هذه الغرف على غرف أخرى اقدم منها عهدا .

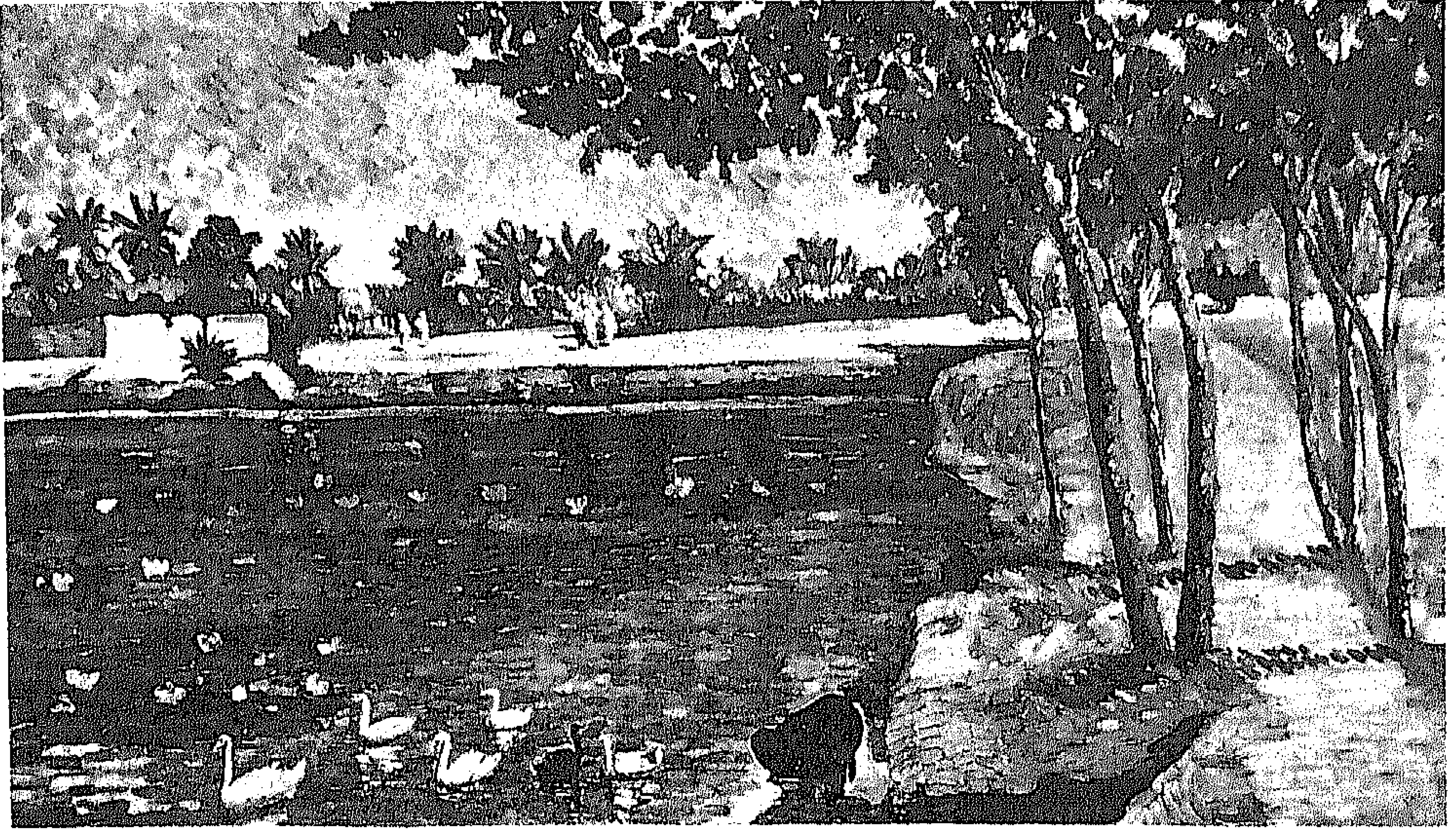
ان الدقة والتناسق الذى اتبع فى بناء هذا المعبد ، وكذلك الاسلوب الذى تم به نحت حجارته تدل على تقدم ومهارة فى صناعة صقل الحجارة . ويعتقد ان الحجارة التى بني منها معبد باربار قد جلبت من جزيرة جدة .

وقد عثر فى معبد باربار على عدة أدوات ، وتمثل معظم هذه الأدوات نواحي دينية ، وحياتية ، ومن هذه الادوات رأس لثور ، نحاسي احمر اللون ، ومزهريات من الرخام ، واختام دلمونية دائرية الشكل ، وتمثال صغير لطائر

كما عثر فى الطبقات السفلى من المعبد على أدوات أبعد فى القدم من معبد باربار كالمباخر التى تقدم كقرابين للآلهة ، وأوانٍ فخارية مطلية باللون الاحمر توجد عليها بقايا دهان يعود تاريخه إلى فترة جمدة نصر[1] فى العراق ، وأهم موجودات معبد باربار

---

١ ـ يطلق اسم حضارة جمدة نصر على أخر نوع من الحضارات العراقية القديمة التى ترجع إلى ما قبل التاريخ ، وهى تلي حضارة أرك التى وردت فى التوراة باسم «أرش» ويعتقد انها بلد البطل الخرافى السومرى جلجامش ، وقد ظلت هذه المدينة عامرة عمرانا متواصلا نحو أربعة آلاف سنة .



ويذكر البعض انه فى وقت ما من تاريخ الدولة الاموية ، ويحددونه بالفترة التى حكم فيها عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ـ ٧٠٥) طمرت هذه العين بأمر منه كعقاب لأهل البحرين الذين ارتدوا عن الاسلام[١] ، وبعد ان اغتال قادتها .

وأول كشف علمي اجرى على هذه العين قامت به بعثة الآثار الدنماركية فى سنة ١٩٥٤ ، وقد عثرت البعثة على الماء فى قاع هذه البئر بعد ان قامت بتنظيفها ، كما لاحظت ان هناك تشابها بين الحجارة التى وجدت مختلطة بالمياه وبين الرمال الموجودة حول البئر على سطح الارض .

كما عثرت على تمثالين من الحجر الجيرى لحيوانين متقابلين يشبهان الكبش راكعين عند سطح ماء البئر ، لكنهما مقطوعا الرأس ، بالاضافة الى طاسة رخامية وعدد من كسور رخامية .

والأمر الجدير بالاهتمام ان واضعي كتيب آثار البحرين الذى نشره قسم الآثار بوزارة التربية والتعليم (سابقا) لا يتفقون مع القائلين بالاعتقاد السائد لدى الناس فى البحرين ، او مع الرواية المحلية التى تقول بان هذه العين قد هدمت ايام حكم عبد الملك بن مروان ، وحجتهم فى ذلك ان هذه العين اقدم بكثير من فترة حكم الامويين ، وان تاريخ انشائها يرجع استنادا الى ما وجد فيها من أوانى فخارية وتمثالى الكبشين المتقابلين الى عهد قبور باربار سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد .

---

١ ـ أمين الريحانى ، ملوك العرب ، جزء ٢ (٢٧٧) .

وعندنا انه لا يوجد ثمة تعارض بين ما يقوله المنقبون وبين الاعتقاد السائد لدى الناس . فالرواية المحلية لم تنكر قدم هذه العين ولم ترجع انشاءها الى عهد عبدالملك بن مروان . كل ما تذكره الرواية الشائعة ان هذه العين ردمت وخربت ايام عبدالملك بن مروان ، ولكن المنقبين لم يردوا على الجزء من الرواية[1] .

شجرة الحياة :

الحقيقة اننا حاولنا ان نجد ثمة تفسير لهذه التسمية التى اطلقت على هذه الشجرة الشوكية فى الكتب التى بحثت آثار البحرين ، ولكننا للأسف لم نعثر على أى تفسير يمكن الاعتماد على جديته وصحته ، وقد قرأنا مؤخرا فى مؤلف (التاريخ القديم للبحرين والخليج العربى) محاولة للتعرف على سبب تسمية الشجرة بهذا الاسم ، وكذلك لمعرفة التاريخ التقريبى الذى غرست فيه هذه الشجرة ، لكن ما توصل اليه الباحث صاحب الكتاب لم يزد عن مجرد تخمينات وافتراضات لا ترقى الى مستوى الحقيقة العلمية ، فالباحث نفسه يعترف بانه لا يدعى انه (عالم نبات ، وان ما توصل اليه من نتائج ليس هو الفصل النهائى حول موضوع هذه الشجرة الفريدة) ... و(ان أمر هذه الشجرة يحتاج لاهتمام كامل ومكثف) ... وان النتائج التى توصل اليها جاءت فى حدود امكانياته ، وهو يعترف انها (مهما بلغت فهى محدودة ، فدراسة الشجرة يحتاج الى اجهزة علمية حديثة لم استطع ان اوفرها بإمكانياتى المحدودة)[2] .

إن كل ما يمكن ان يقال ـ حتى الآن ـ تفسيرا لتسمية هذه الشجرة باسم شجرة الحياة ، هو عمرها الطويل ، ولعل هذه التسمية جاءت متأخرة .

وتوجد هذه الشجرة الشوكية على رأس تلة صخرية مرتفعة نسبيا بالقرب من بوابة سترة بمدينة العوالي، ويوجد غربي هذه التلة حائط مبني من الجير، وهي بالقرب من بحيرة جافة كانت مستوطنة لما قبل الإسلام[3].

ومن الجدير بالملاحظة بالنسبة لهذا الحائط انه مطعّم ببعض الاحجار التى يرجع تاريخها الى العصر الاسلامى وبالذات الى القرن الثانى الميلادى ، وقد عثر مؤخرا بالقرب من هذه التلة على رؤوس لسهام مصنوعة من حجر الصوان المصقول .

ولما لم يجد جديد يمكن ان يعول عليه حتى اعادة طبع هذا الكتاب فنحن مازلنا نأمل فى دراسة علمية ويقوم بها مختصون .

---

١ ـ آثار البحرين ، من منشورات قسم الآثار ، وزارة التربية والتعليم ، ص ٥ .

٢ ـ علي أكبر بوشهرى ، التاريخ القديم للبحرين والخليج العربى ، المكتبة الوطنية ، الصفحات ٢٢٧ ـ ٢٦٩ .

٣ ـ انجلا كلارك ، جزر البحرين ، ترجمة الدكتور محمد الخزاعى ، صفحة ٣٦ .

نرجو من المسئولين في إدارة الآثار بوزارة الاعلام ، أن يقوموا باعداد دراسة علمية تحدد نوع هذه الشجرة وتاريخها وموقعها ، ولا شك انه بعد دراسة هذا الموقع سوف نكتشف معلومات جديدة ينتظرها الكثيرون بشوق زائد ، لمعرفة أصل هـذه التسمية والزمن الحقيقى لهذه الشجرة وطبيعة المكان للشجرة المشهورة بشجرة الحياة .

قنوات المياه :

عرفت البحرين الزراعة ، كما عرفت تبعا لذلك الحياة الزراعية منذ اقدم العصور ، ولقد اشرنا اليه فى الصفحات السابقة . ونظرا لكثـرة العيون الطبيعيـة والآبار فى البحرين ، فقد كان من الطبيعى ان تحتاج هذه العيون الى شبكة من الجداول والقنوات لايصال هذه المياه الى البساتين والحقول المنتشرة بكثرة فى البحرين قديما ، ولصرف المياه الزائدة عن الحاجة ، لذا فقد تفتق ذهن الانسان فى دلمون الى ضرورة ايجاد جداول وقنوات للري والصرف ، فوجد ان أفضل طريقة هو انشاء شبكة من القنوات المائية التى تسير تحت الارض ، حتى لا تعرقل حرية الحركـة والانتقال فـوق ظهر الارض .

لهذا نجد فى البحرين منذ عهد دلمون كثيرا من القنوات الارضية ، بعضها اندثر وبعضها جف فى الوقت الحاضر ، لكن من المثير انه لا تزال هناك بعض القنوات التى مازالت صالحة للاستعمال حتى وقتنا الحاضر .

ويؤكد علماء الآثار والتنقيب ان معظم هذه القنوات التى مازالت موجودة حاليا ، ترجع الى ما قبل العصر الاسلامى ، فهناك ذكر لحرب وقعت بالقرب من قرية الدراز فى القرن السابع الميلادى ، واستغل الرجال المشتركون فى هذه الحرب هذه القنوات[١] .

ومن هذه القنوات الارضية تلك القناة التى مازالت موجودة حتى الآن بالقرب من قرية (سار) والتى كانت تستقي مياهها من العين الجافة الآن القـريبة من بسـاتين النخيل ، ويبلغ ارتفاع هذه القناة ارتفاع قامة الرجل .

وهناك قناة اخرى تجري جنوب قرية (الدراز) وهى الآن جافة ، ولكن لاتزال توجد قناة صالحة للاستعمال ، ويمكن مشاهدتها على الطريق الموصلة من قرية البديع الى معسكر (الهملة) وتتصل هذه القناة ببركة عميقة مليئة بالمياه حتى وقتنا الحاضر.

كما وان هناك العديد من امثال هذه القنوات العميقة تختـرق السهل الـواقع بين الرفاع الغربى من جزيرة البحرين .

---

١ - آثار البحرين ، من منشورات قسم الآثار ، وزارة التربية والتعليم ، ص ١١ .

ثانيا : حياة انسان دلمون من خلال الآثار :

يعرض المتحف التابع لوزارة الاعلام تاريخ البحرين القديم على مدى آلاف السنوات ، ومن خلال الآثار والمخلفات المعروضة يمكن ان نتعرف على بعض المعلومات عن نوعية الحياة التى كان انسان دلمون يحياها فى ذلك الزمن السحيق .

ان الآثار التى اكتشفها المنقبون وبعثة الآثار الدنماركية ، ومن بعدها البعثة الفرنسية ، والتى يعرضها هذا المتحف والتى يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل (٥٠٫٠٠٠) و(٢٠٫٠٠٠) قبل الميلاد يعزز ما يذهب إليه المنقبون وعلماء الآثار ، من ان البحرين كانت فى أواخر العصر الجليدي مزدحمة تغص بالسكان ، بسبب اعتدال طقسها الذى يشبه كما يقال طقس بلدان حوض البحر الابيض المتوسط فى وقتنا الحاضر .



كما كانت تشتهر بكثرة مزروعاتهـا ، وقيامهـا بدور الـوسيط التجارى بين اقـدم الحضـارات ، كحضـارات وادي السند وحوض نهر الرافدين وأرض النيل بل ان هناك من علماء الآثار من يعتقد بان البحرين كانت متصلة بجزيرة العرب فى وقت من الأوقات . وكم مجد الملك السومرى (أورنانشا) ملك (لاجاش) سفن دلمون عندما قال : (اليّ ... جلبت سفن دلمون ... الاخشاب كجزية من بلاد أجنبية) .

كما ان الغالبية منهم ترى استنادا الى الكتابات الآشورية ان بلاد دلمـون كانت جزيرة وسط مياه الخليج العربى ويعيش حاكمها كما تعيش السمكة فى وسط البحر .

ومن دراسة الموجودات والمأثورات التى يعرضها هذا المتحف كـرؤوس السهام المدببة ، والسكاكين الحجرية والمواقد والمباخر ، والمقاطع والشطفات المصنوعة من الصوان ، يمكن ان نتصور ان البحـرين تخطت من زمن بعيد مـرحلة جمـع الطعام ومارست الحياة الزراعية المستقرة ، وعاشت عـلاقاتهـا الاقتصاديـة والاجتماعيـة والدينية بصورة متطورة ، كما عرفت أكل لحوم الحيـوانات والاسمـاك منذ العصـر الحجرى الاول .

والحياة الزراعية المستقرة تقتضى بالضرورة ان تكون هناك اسرة مترابطة تنظم هذه الحياة الزراعية ، بصرف النظر عن حجم هذه الاسرة وعن العلاقات القانونيـة القائمة بين افـرادها ، كمـا تستلزم ان تكـون علاقـات الاسر ببعضهـا ببعض وثيقة ومستقرة .

فالانسان فى عهد دلمون تخطى مرحلة جمع الطعام الى مرحلة انتاجه ، بـل الى مرحلة تنويعه والتفتن فيه ، إذ ليس من قبيل التجاوز القول ان المطبخ فى البحـرين قديما كان مطبخا ممتازا ، إذ ان جميع العوامل والظروف التى تجعل منه مطبخا متطورا موجودة .

فالأرض معطاءة تهب الزرع والحيوان .

والبحر معطاء يمنح الاسماك والقواقع .

والفضاء معطاء يعطي الطيور والدواجن .

ان التأمل المتأني فى قبور عالى ومحتوياتها ، ومعبد باربار (من سنة ٢٨٠٠ الى ١٥٠٠) قبل الميلاد بهياكله وبساحاته وغرفه ومذابحه ونبع مائه المقدس، تعطينا فكرة واضحة عن مدى تطور عقلية وثقافة انسان (دلمون) فى تلك الفترة القديمة من التاريخ .

فلا شك انه كانت له عقيدة دينية ما يتقرب بها الى الآلهـة ، وتبدو هـذه العقيدة واضحة فى المذبح الذى وجد فى معبد باربار ، وكذلك فى المزاهر والمواقد والتوابيت التى عثر عليها فيه ، كل هذه المظاهر تدل على وجود شعائر وطقوس دينية كان يمارسها الناس فى دلمون .

وليس أدل على ان الانسان فى دلمون كانت له عقيدة دينية ، ومن احتمال عبادته للخصوبة فى شكل عضو الذكورة ، ذلك النقش الذى يصور العملية الجنسية (ANNAN) على اختامه التى تقوم مقام اسمه وتوقيعه فى معاملات وتصديق وثائقه .
كما ويحتمل انه عبدالثعبان بعد استيلائه على زهرة الخلود من البطل الاسطورى (جلجامش) ، وقدم له القرابين تقربا له .

هذا بالاضافة الى الموجودات الخاصة بالميت التى وجدت فى المدافن ورسوم الحيوانات ، والتى كانت تستحوذ على جميع حواس هذا الانسان فى ذلك الزمان .
ان الانسان الذى يؤمن بفكرة الحياة الثانية ، يحاول ان يجعل من حياته قبل الموت حياة ذات قيمة ومعنى وذوق .

ونورد فيمايلى قطعتين من عيون الأدب السومري ، كما وردت فى الاساطير والملاحم السومرية التى تحكى تاريخا واحدا لكل من دلمون وسومر جنوب بلاد الرافدين لدرجة ان التاريخين يختلطان . وهذا أمر جدير بالملاحظة والتأمل ، وهو ما جعل جفري بيبي يتساءل :

لماذا كانت دلمون ذات أهمية كبرى بالنسبة إلى شعب جنوب ما بين النهرين ؟
لماذا كانت الاساطير القديمة للآلهة وابطال الملاحم متواجدة فى أرض ظلت لفترة تزيد عن ألفي عام مملكة مستقلة فى عرض البحر[1] .

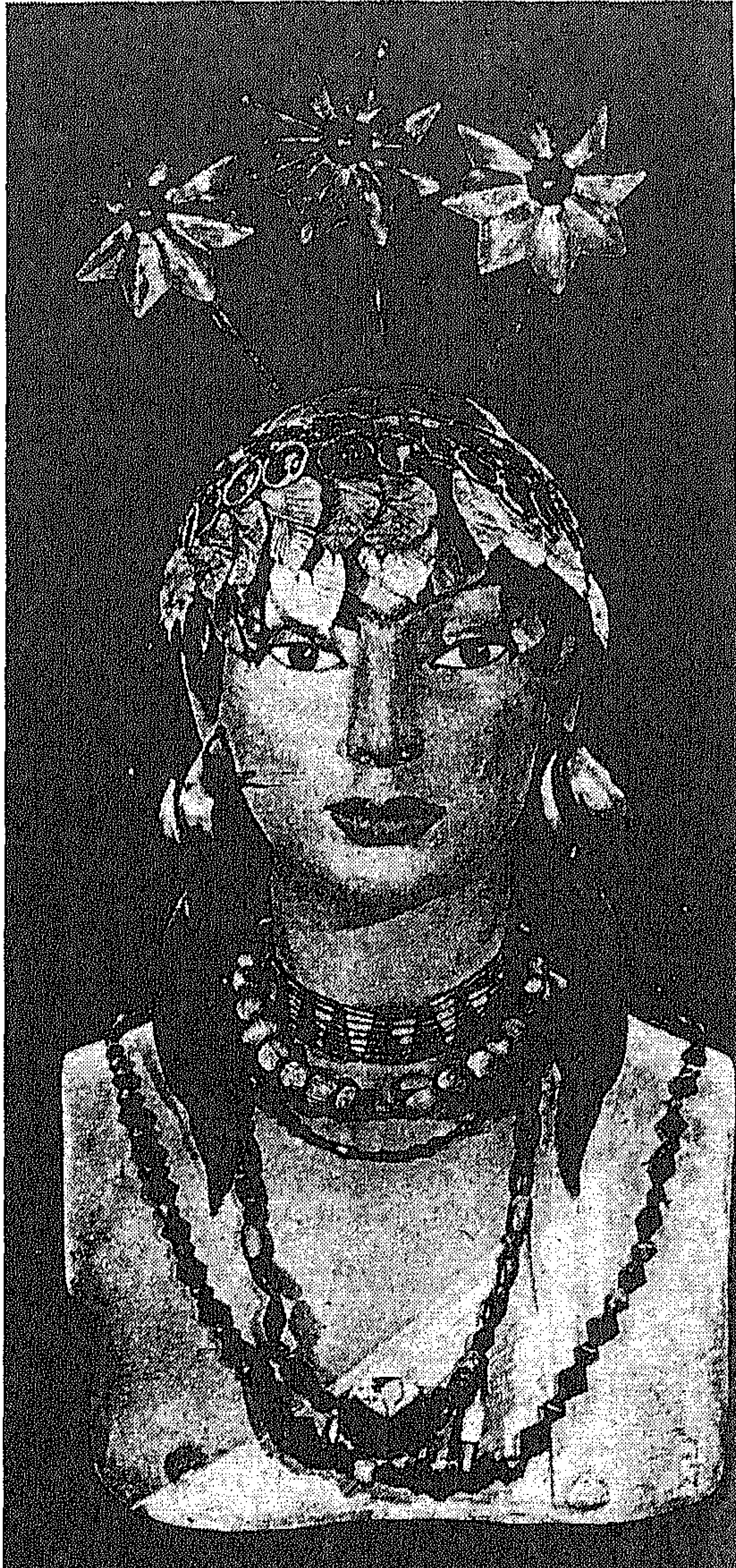
---

١ - انجلا كلارك ، جزر البحرين دليل مصور لتراثها ، ترجمة الدكتور محمد الخزاعى ، صفحة ٥٢ .

تمثل القطعة الاولى خلاصة حكمهم وأمثالهم ، وتمثل الثانية قصة الحب العنيف بين البطل الاسطورى جلجامش والآلهة عشتر .

لا تسيء الى خصمك .
أحسن الى من يسيء اليك .
عامل عدوك بالعدل ...
التقوى تولد السعادة ،
وتقديم القرابين يطيل الحياة ،
والصلاة تكفر عن الذنوب ،

***



غسلْ شعره القذر وصقل اسلحته ،
ونفض شعر رأسه فوق ظهره ،
وخلع ثيابه القذرة وارتدى ثيابه النظيفة .
ولبس العباءة وربط الحزام ،
ولما لبس جلجامش تاجه ،
رفعت عشتر العظيمة عينيها إلى جمال جلجامش :
«تعال يا جلجامش وكن زوجى .
هبني منحة حبك .
لتكن زوجى فأكون زوجتك .
سأطهم لك عربة من اللازورد والذهب ،
لها عجلات من الذهب وقرون من الحجارة الكريمة .
تشد اليها شياطين العاصفة كالبغال الضخمة .
وتدخل بيتنا وسط عبير الارز ،
فإذا ما دخلت منزلنا ،
قبلت العتبة والمنصة قدميك .
وينحني امامك الملوك والحكام والأمراء ،
ويأتون إليك بنتاج الجبال والسهول جزية

وتلد عنزاتك ثلاثا فى كل مرة ، وتضع نعاجك توائم .
ويتفوق حمارك فى الحمل على البغل ،
وتشتهر عربات جيادك بسرعة العدو ،
ولن يكون لثيرانك التى تحت النير مثل .
ففتح جلجامش فاه وقال مخاطبا عشتر العظيمة .
ماذا يجب ان اعطيك اذا اتخذتك زوجا ؟
هل عليّ ان اعطيك زيتا لجسمك وثيابا ،
وخبزا وزادا ،
وطعاما صالحا للآلهة ،
وشرابا مناسبا للملوك ،
ماذا اكسب من زواجك ؟
انك باب خلفي لا يمنع الريح والعاصفة ،
وقصر يهدمه الابطال .
من من عشاقك أحببت الى الابد ؟
من من رعاتك سرك دائما ؟
تعالى احدثك عن قصة عشاقك .
ان تموز ، حبيب شبابك ،
كتبت (على الناس)بكاه عاما بعد عام.
واحببت الطائر «صبي الراعي»
المتعدد الالوان ،
ثم ضربته وكسرت جناحه ،
وهو الآن جالس بين الاحراش يصيح
«يالجناحي !» .
واحببت الأسد الكامل القوة ،
وحفرت له سبع حفر ثم سبعا اخرى .
وأحببت الجواد ، الرائع فى المعارك ،
وكتبت عليه السوط والمهماز والدرة ،
وقضيت عليه بان يعدو سبعة أميال ،
وان يعكر (الماء) قبل شربه .



وقدرت النحيب لامة سيليلي .
وأحببت راعي القطيع ،
الذى كان لايفتأ يجمع لك اقراص الخبز اكواما ،
ويذبح لك الجديان كل يوم ،
ثم ضربته وحولته الى ذئب ،
يطارده (الآن) صبيانه ،
وتعقر كلابه رجليه ،
فإذا احببتني ، فستعامليننى مثلهم .



ان الاسلحة البرونزية والاوانى الفخارية الملونة ، وقشور بيض النعام والاختام التى يربو عددها عن الألف ، والتى نقشت عليها رسوم العملية الجنسية والشمس والنخيل والحيوانات ، والآلات الموسيقية والسلسلة الذهبية التى يعرضها المتحف والمواقد ، والتماثيل المصنوعة من الصلصال أو من العاج وخاصة تمثال رأس الثور والدمي التى تمثل السفن .

هى اشارات واضحة على ان انسان دلمون عرف الحضارة الثقافية والاجتماعية بمفهومها الانسانى ، بل عاش حياة الترف والنعمة .

فالسلاسل الذهبية والحلي استخدمها للزينة والتجميل .

والاوانى الفخارية استعملها لحفظ الطعام والشراب .

كما وان الاختام دليل قاطع على نزاهة الحياة التجارية فى دلمون ، وعلى احترام دقة المعاملات فى ذلك الوقت .

اما عن العلاقات التجارية الدلمونية الدولية ، فتجمع المصادر التاريخية على انها كانت وثيقة بين البحرين وحوض نهر الرافدين .

ولم يقتصر التبادل التجارى بين هذين القطرين بل كانت البحرين محطة مهمة جدا ميناء دوليا للتجارة بين الهند وافريقيا وسواحل الخليج والعراق .

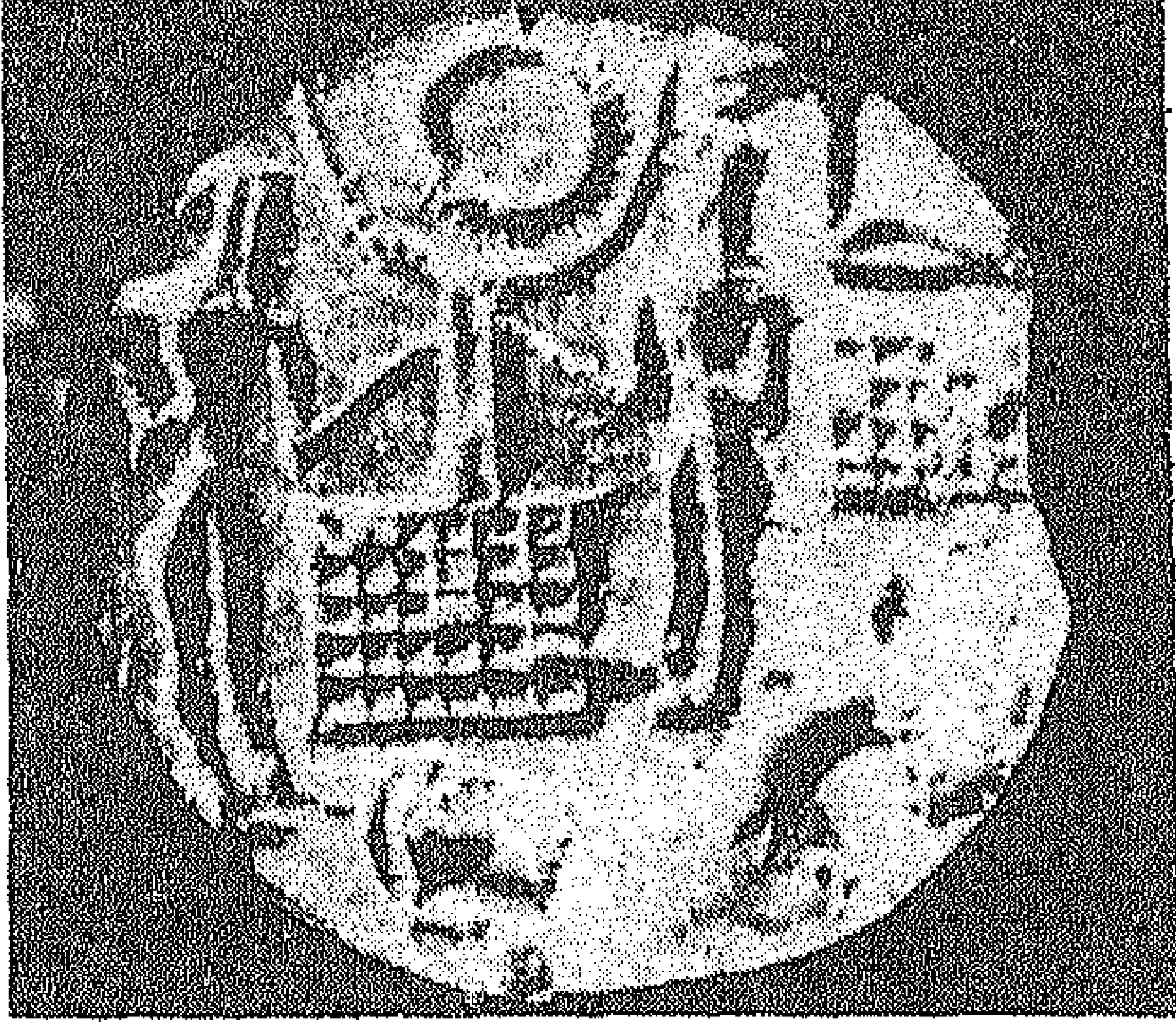
فالاساطيل البحرية التى كانت تمتلكها دلمون ، كانت تنقل الاخشاب من الهند وسواحل افريقيا ، وتستورد النحاس من عمان لتصدره الى العراق والشام ، ومنها الى اليونان وبقية العالم[1] . ويعرض متحف البحرين بقاعة دلمون بعض دمى السفن التجارية .

اما الاختام المستديرة التى وجدت فى دلمون ، فهى تثير قضية علمية وتاريخية على جانب كبير من الاهمية ، وقد ذكر الكاتب جيوفري بيبي فى كتابه «البحث عن دلمون» ان هذه الاختام مهمة لامرين اثنين :

أولهما ان وجود اختام مستديرة مطابقة لاختام دلمون المستديرة فى مناطق بعيدة كالسند ، يؤكد وجود علاقات اقتصادية بين الهند وحوض نهر الرافدين فى ذات الوقت الذي قامت فيه حضارة — (INDUS VALLEY)

---

١ ـ الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول ، ص ٥٤٥ .



وثانيهما ان هذه الاختام المستديرة التى وجدت فى كل من الهند وحوض نهر الرافدين هى اختام «أجنبية» بالنسبة لأختام كل منهما ، على أساس ان هذه الأختام المستديرة التى وجدت فى الهند ، وكذلك التى وجدت فى حوض الرافدين لا تشكل واحدا فى المائة ، بالنسبة لما وجد فى كل منهما اختام محلية .

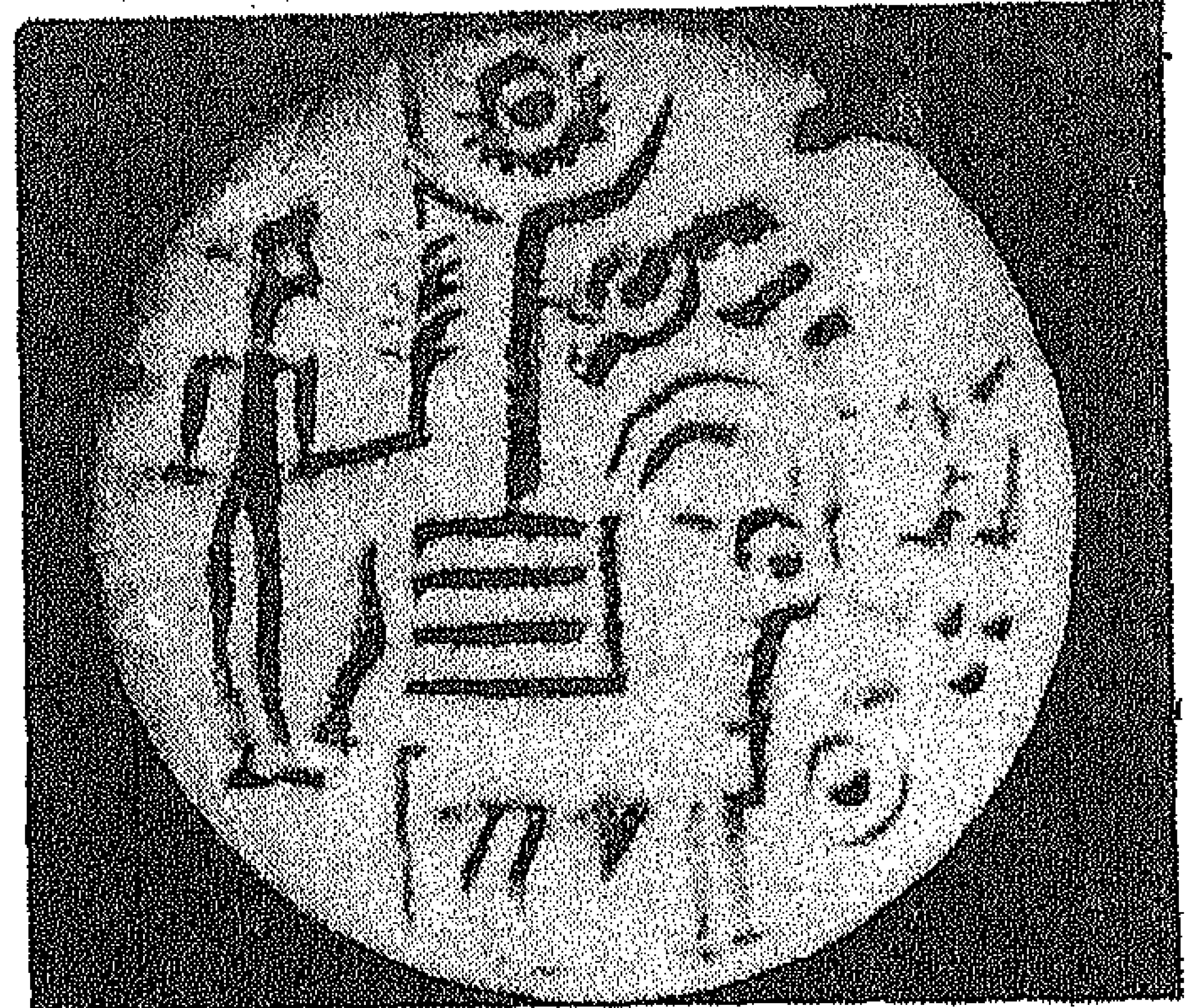


وكذلك على أساس ان الاختام الهندية هى اختام مربعة الشكل ، بينما الاختام فى العراق القديم اسطوانية الشكل .

وإذا استطعنا ان نفترض ان هذه الاختام المستديرة النادرة ، والتى وجدت فى الهند والعراق «أجنبية» بالنسبة لكل منهما ، فهل نستطيع ان نعتبرها اختاما «محلية» بالنسبة الى البحرين .

أليس من المحتمل ان تكون هذه الاختام المستديرة قد نقلت من البحرين الى الهند والعراق بواسطة تجارة دلمون ؟



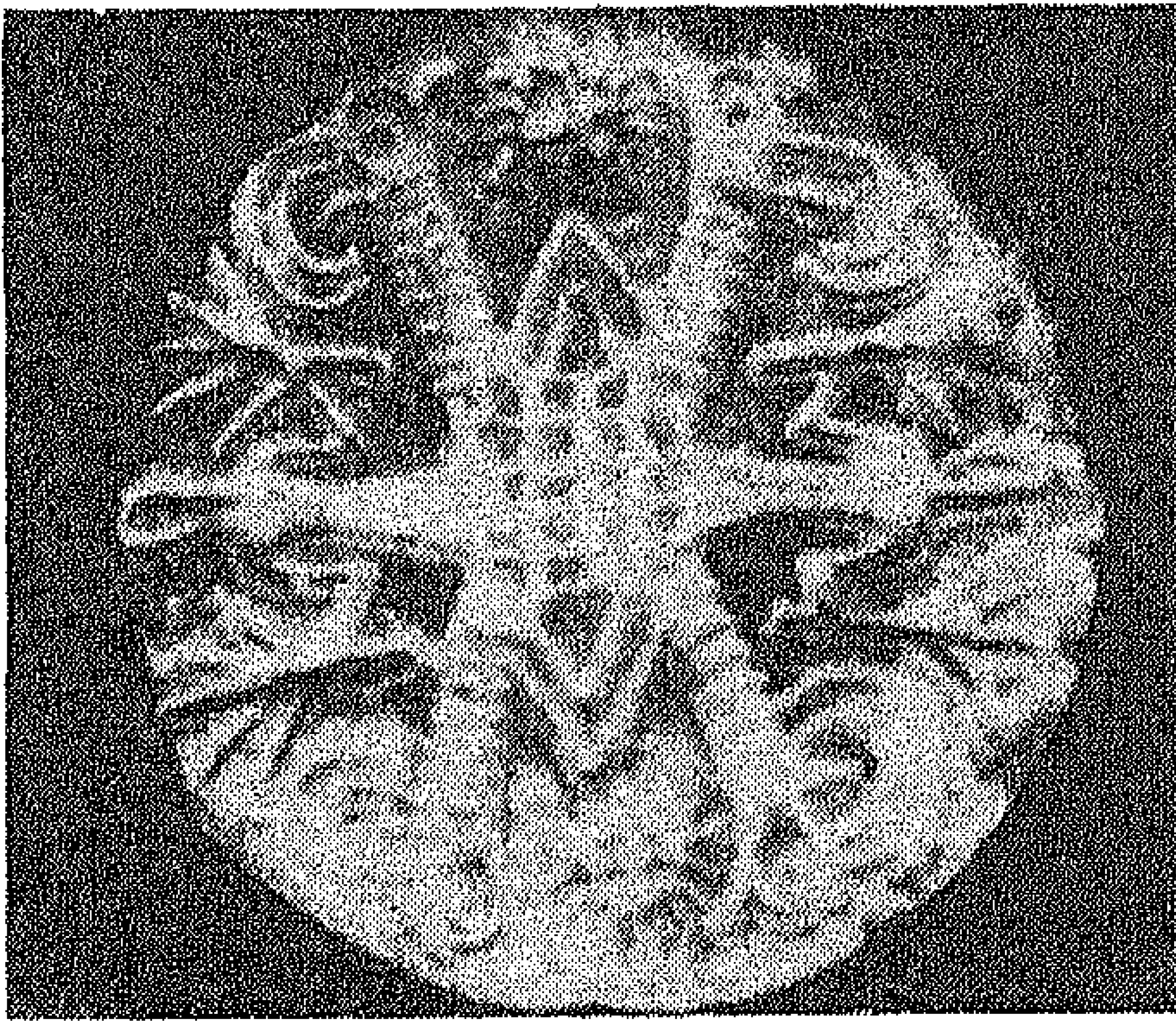


● نماذج من الأختام الدلمونية

الا يجوز ان تكون الاختام المستديرة الثلاثة عشر ، التى وجدت فى (أور) فى العراق والأختام المستديرة الثلاثة التي وجدت في الهند قد فقدت من تجار دلمون خلال إقامتهم في كل من الهند والعراق؟
خاصة وان العلاقات لم تكن مقطوعة بين هذه الحضارات .
ومما يزيد الموضوع أهمية من الناحية العلمية ، انه عثر مؤخرا فى البحرين على ختم مستدير لا توجد على ظهره أية نقوش هندية ، كما هو الحال فى الاختام الهندية المربعة .

كما ان ختمين من الاختام المستديرة ، التى عثر عليها فى الهند والمعروضة الآن فى المتحف البريطانى لا توجد عليهما أية نقوش هندية .
ويستطرد الكاتب جيوفري بيبي فى استنتاجاته فيقول :
وهكذا يكون لدينا ثلاثة لنماط من الاختام المستديرة وليس نمطان فقط

نمط واحد من الاختام المستديرة عليه نقوش هندية .
والنمط الثانى والثالث بدون نقوش او اشارات هندية . وهذه الانماط الثلاثة من الاختام المستديرة وجدت مثيلاتها فى مدينة (أور) بحوض الرافدين .
والاختام من النمط الأول والثانى وجدت فى الهند ، والاختام من النمط الثانى والثالث وجدت فى البحرين .





● نماذج من الأختام الدلمونية

والآن هل نستطيع ان نستنتج ان النمط الثالث من الاختام المستديرة ، يعتبر ختما محليا بالنسبة للبحرين ؟

وهل نستطيع ان نطلق على هذا النمط من الاختام المستديرة «اختام دلمون» . وحتى الاختام ذات النمط الثانى والمعدومة النقوش الهندية ، هل نستطيع ان نعتبرها قد جلبت الى البحرين من الخارج؟ أم هي الاخرى محلية بالنسبة للبحرين خاصة وانه لايوجد ثمة اختلاف فى الشكل بين كلا النمطين الأول والثاني، سوى النقوش الهندية على النمط الثاني.

اما هل نستطيع ان نستنتج بأن هذين النمطين من الاختام المستديرة هما اختام دلمونية لعهدين تجاريين مختلفين مر بهما الاقتصاد في دلمون؟

(ولقد كانت حضارة دلمون هى الحضارة الوحيدة التى استخدمت اختاما دائرية ، ومعظمها منحوتة على جانب واحد ، بينما توجد على الجانب الآخر ثلاثة خطوط ، وبجانبها أربع نقاط داخل دوائر)[1] .

وعلى أية حال هذه مجرد افتراضات واستنتاجات تحتاج الى مزيد من البحث والدراسة والعناية من قبل علماء الآثار .

ومن الأدوات التى عثر عليها أيضا توابيت فخارية كبيرة ، يعتقد المنقبون بانها تخص الفترة التى صاحبت الغزو الآشوري لدلمون ، أى حوالى سنة ٦٥٠ قبل الميلاد ، كما عثر أيضا على أوعية وأطباق مغطاة ، تحوي بداخلها هياكل لثعابين وقطع من فخار ، كما عثر على سيف مصنوع من الحديد يبلغ طوله ٧٥ سم . والمرجح ان هذه التوابيت الفخارية تستعمل لوضع الميت بداخلها ثم تدفن ومعها الميت فى القبر .

وتجدر الاشارة هنا ، الى ان احدث اثر تم اكتشافه حتى الوقت الحاضر ، ووجد عليه اسم دلمون يرجع تاريخه الى عام ٥٤٤ قبل الميلاد[1] ومنذ هذا التاريخ لم يعد اسم دلمون مستعملا فقد طواه النسيان بعد ذلك .

---

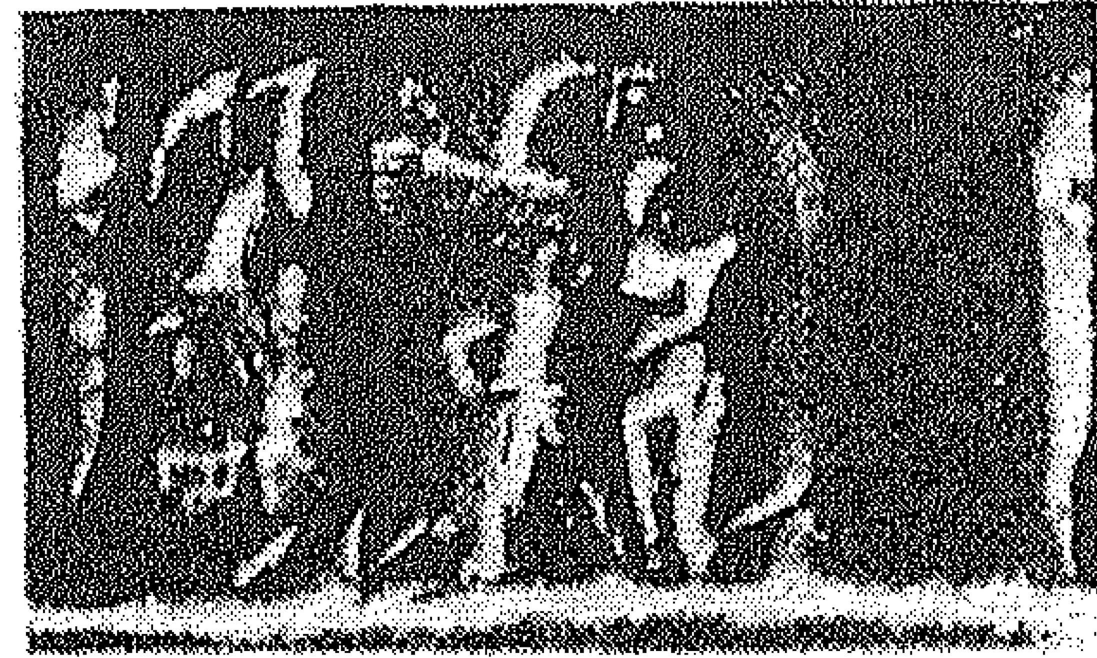
١ ـ التنقيبات الأثرية فى جزيرة فيلكا ، ص ١٤١ .

٢ ـ LOOKNG FOR DILMUN, JEOFFREY BIBBEY. PAGE 122

وفى العهد السلوقى وصلت البحرين الى درجة بعيدة من الدقة والمهارة فى الفنون التشكيلية ، فقد عاصرت هذه الفترة وفود تيارات ثقافية مختلفة من الخارج .

ومن بين موجودات العهد السلوقي ، المقابر التي أطلق عليها المقابر السلوقية، والاوانى المصنوعة من الخزف والزجاج والنحاس والحديد والاصداف والعاج والقار والرخام ، كما كان من بين المكتشفات سكاكين وأساور وخرز وخواتم واقراط وخناجر صغيرة وأزرار ومشابك ، مصنوعة من العـاج وامواس للحلاقة وامشاط لتسريح الشعر .

الحقيقة التى لا يمكن انكارها بالنسبة لكل من يتتبع ما خلفه الانسان فى دلمون ، هى ان الانسان فى دلمون عاش حضارة متقدمة نسبيا بالنسبة لجيرانه ، فقد كان شعب دلمون شعبا تجاريا من الدرجة الاولى ، ساعده فى هذا موقع بلده الاستراتيجى ، بين حضارتين متقدمتين في كل من الهند والعراق، كما ساعدته وفرة المياه العذبة التي تحتاج اليها الرحلات البحرية الطويلة.





وبالنسبة للحياة الثقافية كان شعب دلمون شعبا واعيا ومتفتحا على مختلف التيارات الثقافية ، تشهد بهذا جميع مخلفاته الأثرية من معابد وأدوات معيشية .

وقد عاش هذا الشعب حياة يومية مترفة تشبع احتياجاته المادية والمعنوية ، فاخترع فكرة الخلود ، والحياة الثانية بعد الموت ، حتى يضمن بذلك استمرارية وجوده وبقائه ،

واختصارا ، كان انسان دلمون الخالدة ، انسانا متحضرا .

العيون والآبار الطبيعية في البحرين

ان بلدا زراعيا منذ القدم كالبحرين ، يقتضى بالتالى القول بحتمية وفرة العيون الطبيعية والآبار بها . ويحدثنا التاريخ على ان البحرين اشتهرت على مر العصور بمياهها العذبة ، المنتشرة بكثرة فى أراضيها ، وكذلك فى البحر المحيط بها .

ولقد تحدث الرحالة الأجانب والمؤرخون فأفاضوا فى ذكر هذه العيون الطبيعية وعلى سبيال المثال يذكر الرحالة والعالم الأثري NIEBUHR فى الجزء الثانى من كتابه TRAVLES THROUGH ARABIA [1] الفقرة التالية عن مياه البحرين

(وقد أكد لي اناس عديدون ، ان على مسافة قليلة من الشاطىء ، وعلى عمق قامتين ، يوجد نبع لمياه صافية ، وان الصيادين فى الغالب يأخذون من هذا النبع ماء الشرب ، بالقفز الى قعر البحر وملء القرب) .

كما يذكر المؤرخ أمين الريحانى فى كتابه ، ملوك العرب[2] مايلى :

(وهناك فى البحرين ينابيع من المياه العذبة هى من عجائب الطبيعة . ينابيع فى وسط البحر تحت المياه المالحة . ومنها ما هى قريبة من الساحل . وفى البحرين نحو (٢٥) نبعا مشهورا ، يبعد بعضها نحو عشرين ميلا عن البر ، ويعلوها البحر من الثلاثة الى السبعة ابواع مياه عذبة تحت المياه المالحة تفور من الارض على الدوام) .

ويؤكد الكاتب الفرنسى J.J.BERREBY بأن المياه العذبة الفوارة فى أعماق الخليج العربى هى من أعجب مظاهر الطبيعة النادرة فى العالم[3] ، ويقدر أحد الكتاب السياسيين عدد هذه العيون الطبيعية بمائتي نبع فى البر والبحر[4] ، ويعيش الصيادون على هذه المياه الحلوة التى تتفجر فى اعماق البحر[5] .

وفى عام ١٩٥٣ اجرى أول مسح رسمى على هذه العيون الطبيعية فى البحرين ، ولقد وضعت اللجنة التى كلفت بالقيام بهذا المسح تقريرا عن هذه العيون الطبيعية وعن عددها.

وجاء فى التقرير ان عددها فى البحرين يبلغ (١٥٥) عينا طبيعية ، وتختلف هذه العيون من حيث السعة والعمق[6].

---

(١) TRAVELS THROUGH ARABIA — VOL. 2,M, NIEBUHR. PAGE 152

(٢) أمين الريحانى ، ملوك العرب ، الجزء الثانى ، ص ٢٢١ .

(٣) LE GOLFE PERSIQUE, J. BERREBY. PAGE 145.

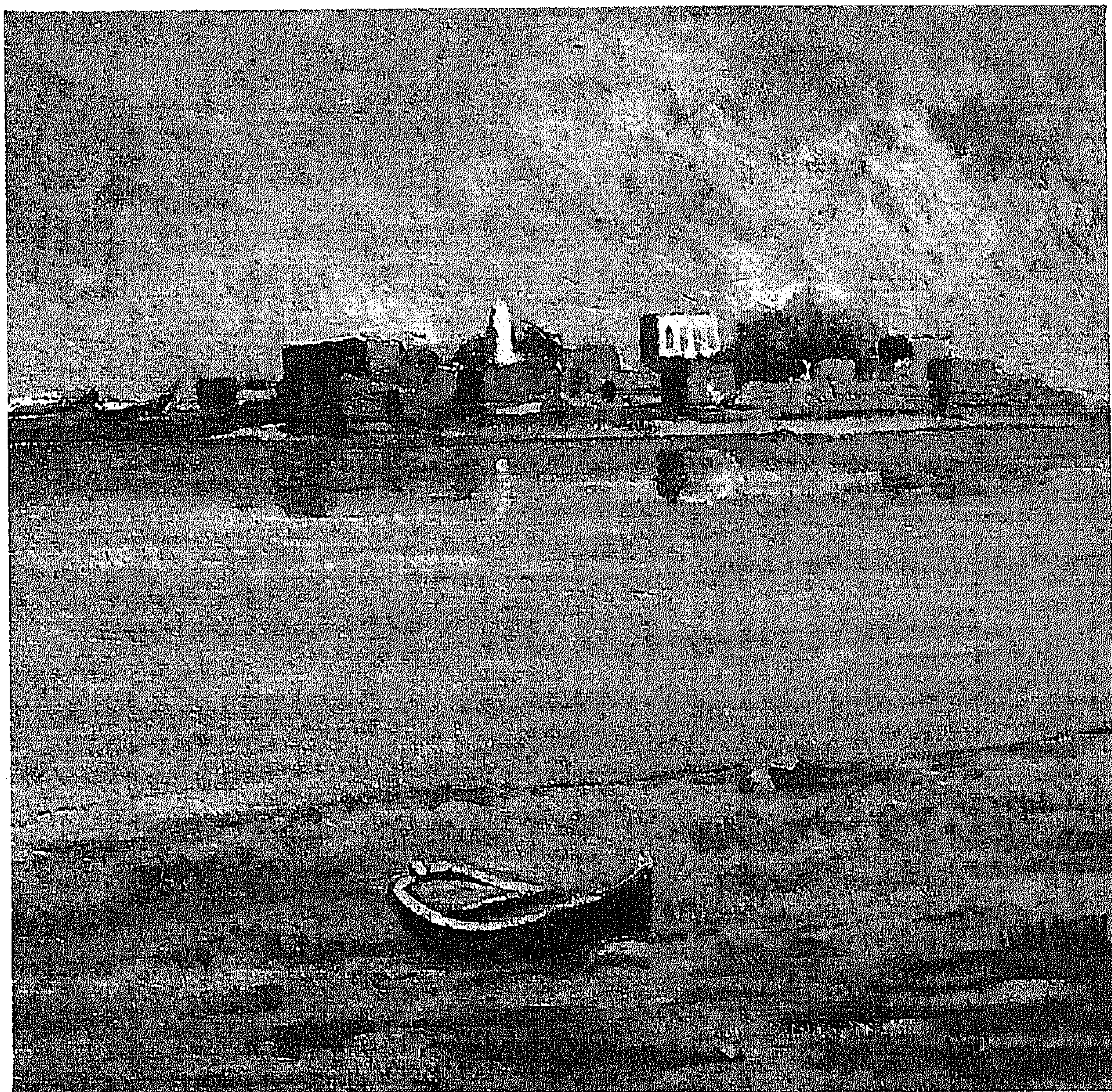
(٤) THE BAHRAIN ISLANDS. ABBAS FAROUGHY,PAGE 141

(٥) THE BAHRAIN ISLANDS. ABBAS FAROUGHY, PAGE 152

(٦) جريدة صدى الاسبوع ، العدد ٤٩ ، السنة الاولى .

ويطلق الناس فى البحرين على هذه العيون ، تسميات قد تبدو لاول وهلة انها تسميات أعجمية أو عامية ، ولكنها فى الواقع تسميات عربية أصيلة ، وربما يكون السبب فى الالتباس ، ندرة استعمالها وتداولها فى الوقت الحاضر .

فهناك على سبيل المثال تسميات مثل «جوجب» و«ساب» و«دردور» .
فالچوچب كلمة عربية فصحى تعنى عين البئر .
الساب تعنى السقاء .
والدردور موضع فى البحر يجيش ماؤه فيخاف فيه الغرق .



عين عذارى :

يسميها بعض الكتاب «ليدو البحرين»[1] وذلك تشبيها لها بالبحيرة المكشوفة التى تحيط بها المستنقعات ، وتعتبر عين عذارى من اكبر العيون الطبيعية فى البحرين من حيث الاتساع والعمق ، والاعتقاد الشائع عن تاريخها لدى الناس ، انها حفرت على ايام حكم الامويين ، أى عندما كانت البحرين تابعة للخلافة الاموية ، ولكن لم يقع فى ايدينا من المصادر التاريخية ما يعزز هذا الاعتقاد .

وتحاول الاسطورة كما يحدث دائما عند فقدان الدليل المادى المكتوب ، ان تربط بين وجود هذه العين وبين شخصيات خرافية .

تقول الاسطورة الشعبية :

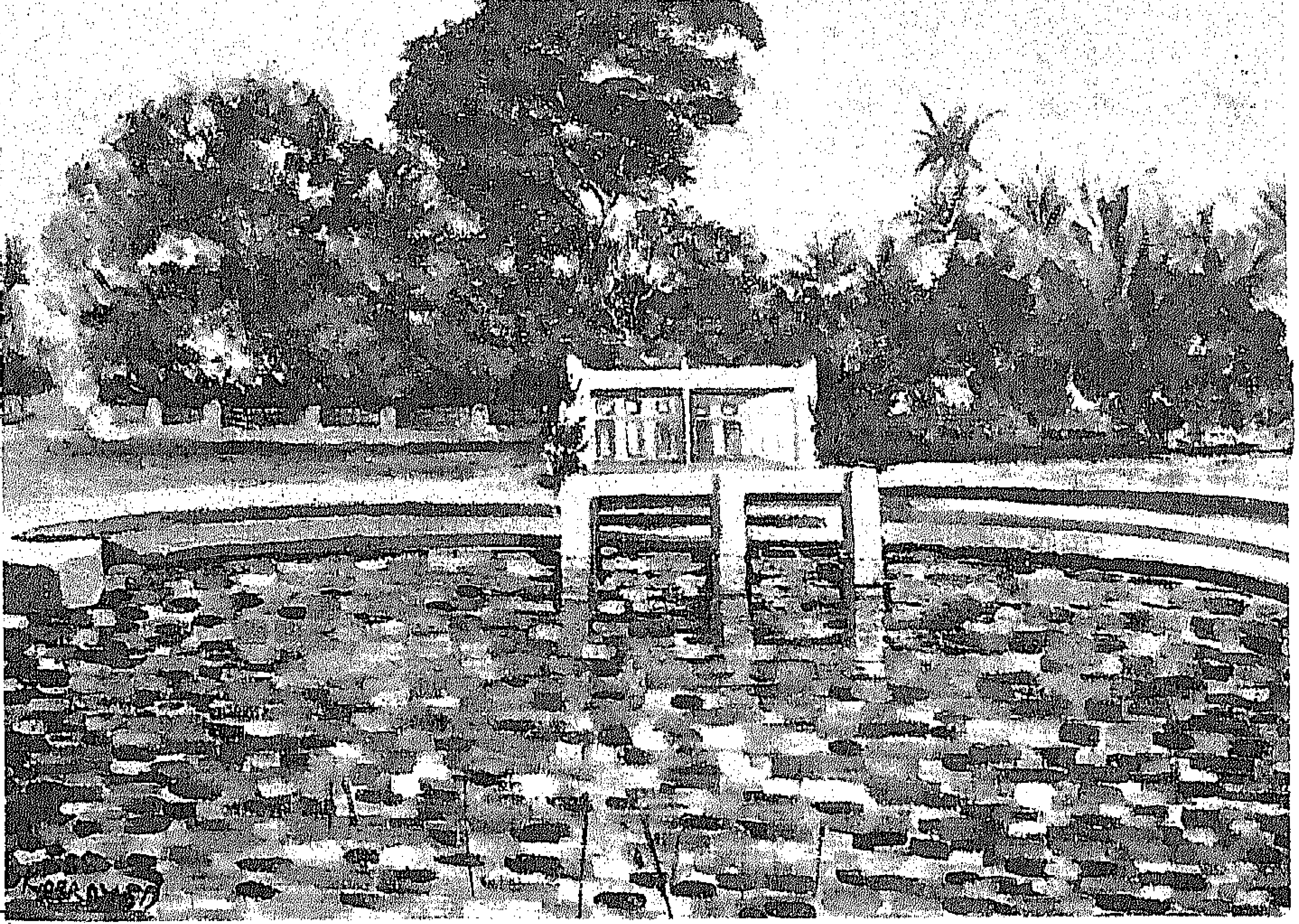
انه فى قديم الزمان كانت هناك بنت جميلة جدا ، بل هى فى الحقيقة جميلة جميلات عذارى البحرين .

وفى صبيحة أحد الايام خرجت هذه الجميلة العذراء مع مربيتها للنزهة فى الخلاء ، وبينما هما تتمشيان انشقت الارض فجأة عن فارس جميل الطلعة يمتطي جوادا بلون الفجر ، وحاول هذا الفارس ان يراودها عن نفسها فأبت عليه ذلك ، واخبرته انه لا يجوز لها ان تقدم على شيء من هذا القبيل ، فهى مخطوبة لأخيها ، ولكن الفارس الجميل لم يصدقها وطلب ان تضرب الأرض بقدمها، وسيتفجر الماء من تحت قدميها إن كانت صادقة، فلما فعلت ما أمرها به الفارس الجميل، انشقت الأرض واندفع الماء من قلبها غزيرا فياضا.

ومن هذا اليوم تقول الاسطورة سميت هذه العين بعين عذارى نسبة الى الفتاة الجميلة العذراء ، ولا يفصل هذه العين الطبيعية عن البحر ، (هذا طبعا قبل انشاء منتزه عذارى) الا شريط ساحلى ضيق يكفى بالكاد لمرور سيارة واحدة فقط ، وليس من المستبعد ان تكون هذه العين واحدةمن مئات الينابيع العذبة التى كانت تنبع من قاع البحر حول جزيرة البحرين ، وبفعل الزمن زحفت اليها اليابسة .

---

(١) WELCOME TO BAHRAIN, J.H. BELGRAVE, PAGE 123



● لوحة فنية تمثل (عين عذاري)

وتعتبر عين عذاري من أجمل معالم البحرين الحديثة ، خاصة بعد أن قامت الحكومة بتنظيفها وبنائها من جديد ، كما أقيم بها مسجد ومطعم ومقهى ، وتحيط الاشجار الجميلة بهذه العين ومرافقها ، وزينت بمصابيح كهربائية للسياحة فيها فى الامسيات .

وعين عذارى اليوم بعض من مشروع سياحى كبير يقدم التسلية البريئة للصغير والكبير .

وقد كتب عنها (دورانت) فى نهاية القرن الماضى فاشار الى ان الاسماك والسلاحف تمرح كما تشاء فى مياهها الغزيزة .

وهذه العين تعتبر من نعم الله على اهالى البحرين سواء فى الصيف او فى الشتاء ، فمياهها باردة فى الصيف ودافئة فى الشتاء . وقد ذكر تشارلس بلجريف (ان رجال الشرطة كانوا يذهبون مرة كل أسبوع فى الصيف فى ناقلات للاستحمام فى عذارى) .

وللحقيقة فإن عين عذارى هى من أجل العيون الطبيعية فى الخليج ولا ينتقص من قدرهاإلا ذلك المثل الشعبى الذى يقول :

عين عذارى ، تسقى البعيد وتخلى القريب .

والمقصود بهذا المثل ان هذه العين لا تستفيد من مياهها البساتين والحقول المجاورة بقدر ما تستفيده منها البساتين البعيدة ، وذلك بسبب وقوعها فى منطقة مرتفعة نسبيا .

عين قصارى :

وهذه العين ، هى الاخرى من أجل العيون الطبيعية فى البحرين ، وتحف بها الاشجار والزهور من كل جانب وصوب ، وهى قريبة من العاصمة المنامة ، ومن السهل الوصول إليها سيرا على الاقدام ، ويجلب جمال منظرها خاصة عند الأصيل ، السواح واهالى القرى المجاورة وكذلك منظر الاسماك الكثيرة ، التى تعيش على المياه الحلوة والتى يبلغ طولها قدما ونصف القدم بعض الاحيان . ومن الممكن ان تكون هذه العين مصيفا مهما ، لو نظفت ونظمت والحقت بها بعض المرافق الضرورية كالشاليهات والمقاهى ...

هذا ما قلناه عن عين قصارى فى الطبعة الاولى من هذا الكتاب . اما اليوم فهذه العين ليس لها وجود بالمرة ، فقد طمروها ... فوا أسفى ...

عين أم الشعوم :

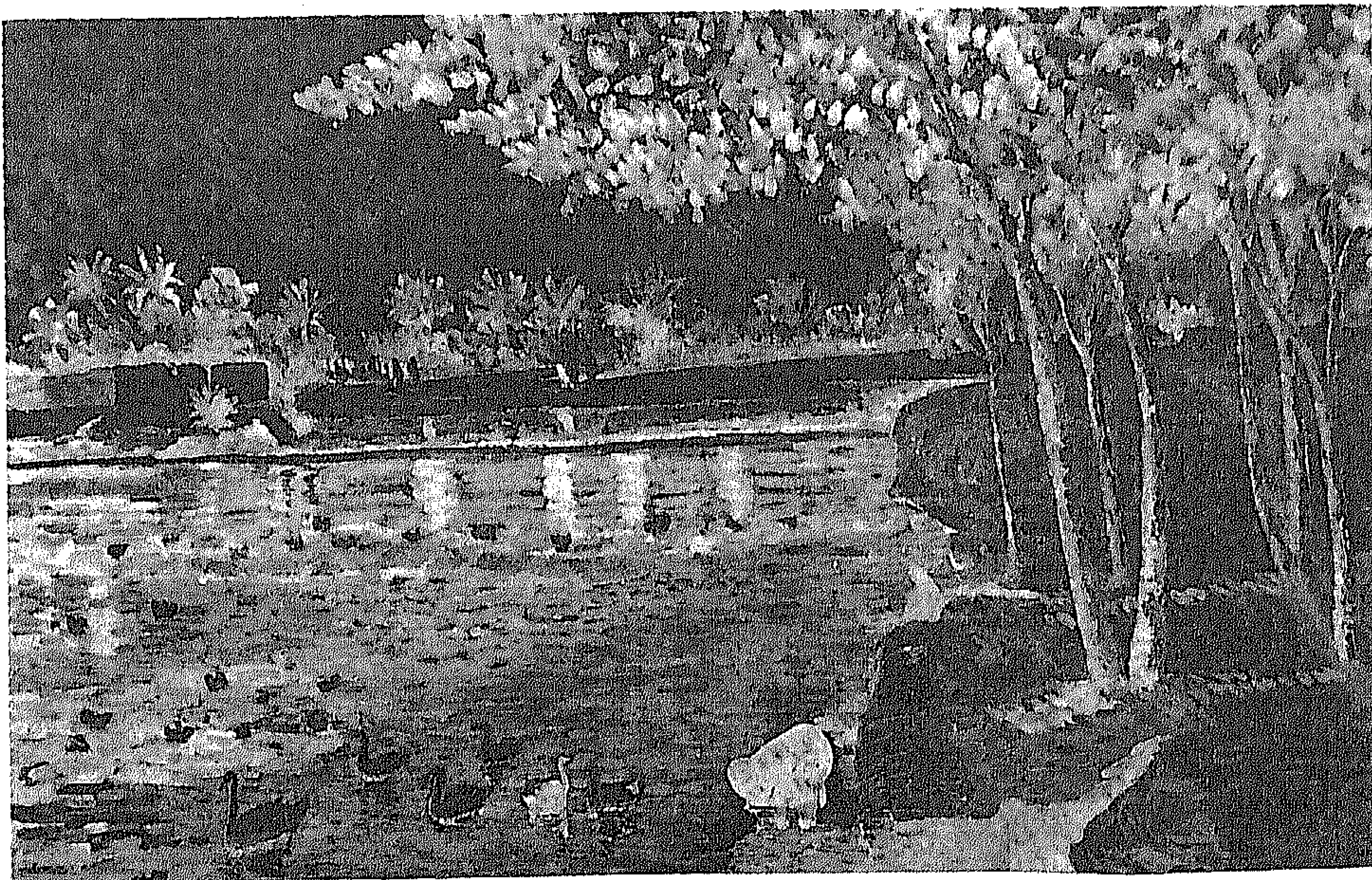
وتقع هذه العين الطبيعية فى قرية الماحوز ، جنوبى المنامة ، فى منطقة زراعية ، وقد كانت المنطقة التى تقع بها هذه العين قبل مدة مصيفا لكثير من الناس فى أشهر الصيف ، وذلك بسبب قربها من العاصمة المنامة . ولقد أهملت فى الفترة الاخيرة بشكل منقطع النظير ، وزحفت عليها المبانى الجديدة بعد ان ازيلت ـ للأسف ـ البساتين التى تحيط بها والتى كانت بمثابة جزء من الحزام الاخضر بالنسبة للمنامة .

ويقال الآن ان هناك مشروعا لدى البلدية لتخطيط هذه المنطقة وتنظيف هذه العين وجعلها منتزها عاما .

ساب أبوزيدان :

تقع عين أبو زيدان فى قرية البلاد القديم ، ويعلو هذه العين مسجد للصلاة .
وتتميز عين أبوزيدان عن غيرها من العيون الطبيعية فى البحرين من ناحيتين :
ان مياهها تندفع بقوة ، حتى انه من الصعب جدا الوصول الى منبعها .
والناحية الثانية انها مكان تؤدى فيها النذور .

وقد كانت حتى وقت قريب تغص كل يوم بالمستحمين وأصحاب النذور من أغلب مناطق البحرين ، ولكن مكانتها هذه قلت كثيرا فى الوقت الراهن ، وهذا راجع الى انتشار التعليم ووعي الاهالى ولزحف منازل السكن عليها .



وهناك عيون أخرى كثيرة من أهمها :

عين الرحى فى قرية سترة ، وعين المهزة فى سترة أيضا ، وعين واديان فى قرية واديان، وعين الحكيم على الساحل الشرقى محاذية البحر مقابل جزيرة النبيه صالح ، وعين الخضرة وعين السفاحية فى جزيرة النبيه صالح ، وعين الكرايم وعين السيد وعين الحمسة فى قرية توبلى ، وعين الحنينية فى الرفاع .

ومن أشهر (الجواجب) الحلوة ، التى تنبع من أعماق البحر ، جوجب (أبوماهر) بالقرب من جزيرة المحرق ، وجوجب (أم السوالي) فى الجنوب من الحد .

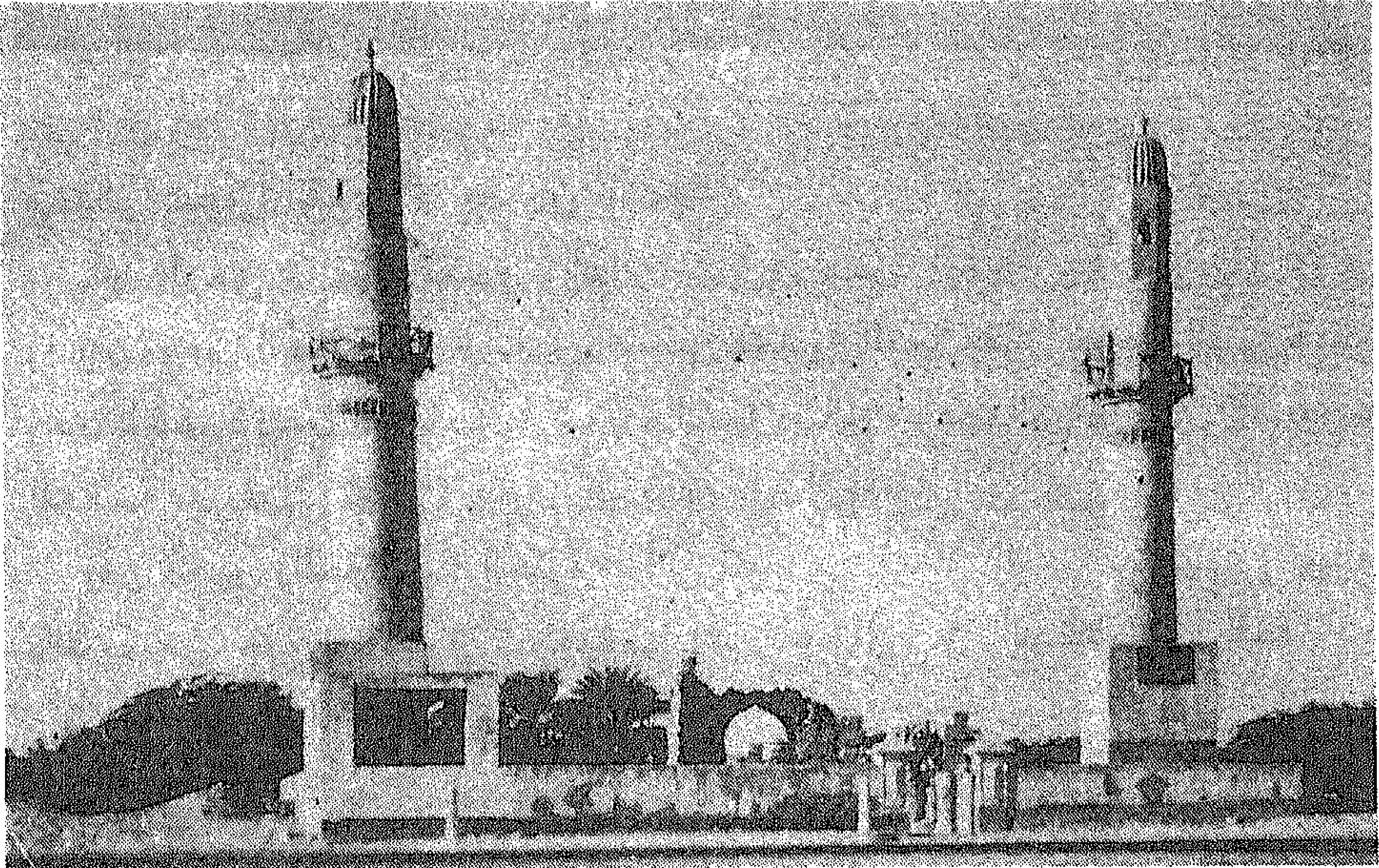
ثالثا : الفنون التشكيلية فى البحرين :

مسجد الخميس :

يعتبر مسجد الخميس ذو المنارتين ، اقدم بناء اسلامى ، لا فى البحرين فحسب بل فى جميع اقطار الخليج العربى كله[1] ، ويرجع اغلب المؤرخين تاريخ بنائه الى القرن الرابع من الهجرة على وجه التقريب .

ولقد اختلف المؤرخون والكتاب فى تحديد اسم الخليفة الذى امر بانشائه فذكر البعض انه بنى من قبل الخليفة الاموى عمرو بن عبدالعزيز فى عام ٦٩٢ ميلادية ، وهذا يتفق مع التقرير الذى اعدته بعثة اليونسكو ، حيث لاحظت وجود ابراج دائرية فى زوايا الجدران المحيطة بالمسجد ، وهى من الانماط المعروفة فى القرنين ما بين السابع والتاسع . واشار آخرون انه شيد فى ايام الخليفة عبدالملك بن مروان[2] .

ومهما يكن من امر الخليفة الذى قام او امر ببنائه وسواء كان الخليفة عمرو بن عبدالعزيز او عبدالملك بن مروان ، يرى المنقبون وعلماء الآثار ان هذا المسجد تهدم وبنى من جديد اكثر من مرة ، ويؤكدون بأن الجزء الباقى من حجر القبلة ، لم يكن جزءا من المسجد القائم فى الوقت الحاضر ، وانما هو من بقايا المسجد القديم .



● مسجد الخميس

١) WELCOME TO BAHRAIN, J.H. BELGRAVE, PAGE 66 .

٢) الخطيب علي بن الحسين الهاشمى ، ديوان ابوالبحر الخطى ، ص٨ .

ويعرض متحف البحرين ثلاثة من جسور خشبية تخص المسجد القديم ، (اما الاعمدة التى كان يعرضها المتحف فقد اختفت جميعها مع اثنين من هذه الاعمدة وقد كانت معروضة حتى عام ١٩٦٥)[١].

اما بقية البناء فيرجع تاريخه الى القرن الحادى عشر الميلادى[٢] . ويزعم بعض الكتاب السياسيين بأن هذا المسجد يعتبر اثرا من آثار النفوذ الايرانى فى البحرين[٣] . والحقيقة اننا لاندرى ماهية الشواهد والادلة التى تسند هذا الزعم ، فلا يوجد ثمة دليل مادى واحد على مثل هذا الزعم ، فجميع النقوش والكتابات التى عثر عليها فى هذا المسجد ذى المنارتين عربية كوفية مؤكدة .

ومن الجدير بالذكر ان المنقبين عثروا مؤخرا تحت بناء هذا المسجد على انقاض ابنية وقبور قديمة يرجع تاريخها الى الفترة الاسلامية .

كما عثروا ايضا على حجر توجد به نقوش وكتابات ، يرجع تاريخ تأسيس هذا المسجد الى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، على يد شخص يدعى ابوسنان محمد بن الفضل عبدالله ، وابوسنان هذا هو ثالث حاكم من عائلة العيونيين ، التى حكمت البحرين فى نهاية القرن الحادى عشر ، بعد ان قام القائد البحرانى ابوالبهلول حوالى (١٠٥٨) على رأس انتفاضة شعبية كان الهدف منها طرد القرامطة الذين اخضعوا البحرين لحكمهم لمدة تزيد عن القرن ، واسسوا ما يسمى «الجمهورية العربية الاشتراكية» وانتزعوا الحجر الاسود من مكانه فى مكة[٤].

ويعتقد المنقبون بأن بناء هذا المسجد اعيد اكثر من مرة ، ولكن الثابت لديهم انه اعيد بناؤه فى سنة ١٣٣٩ ميلادية ، وفى هذا العام بنيت المنارتان اللتان مازالتا باقيتين حتى وقتنا الحاضر . كما اعيد بناؤه فى القرن الخامس عشر الميلادى .

---

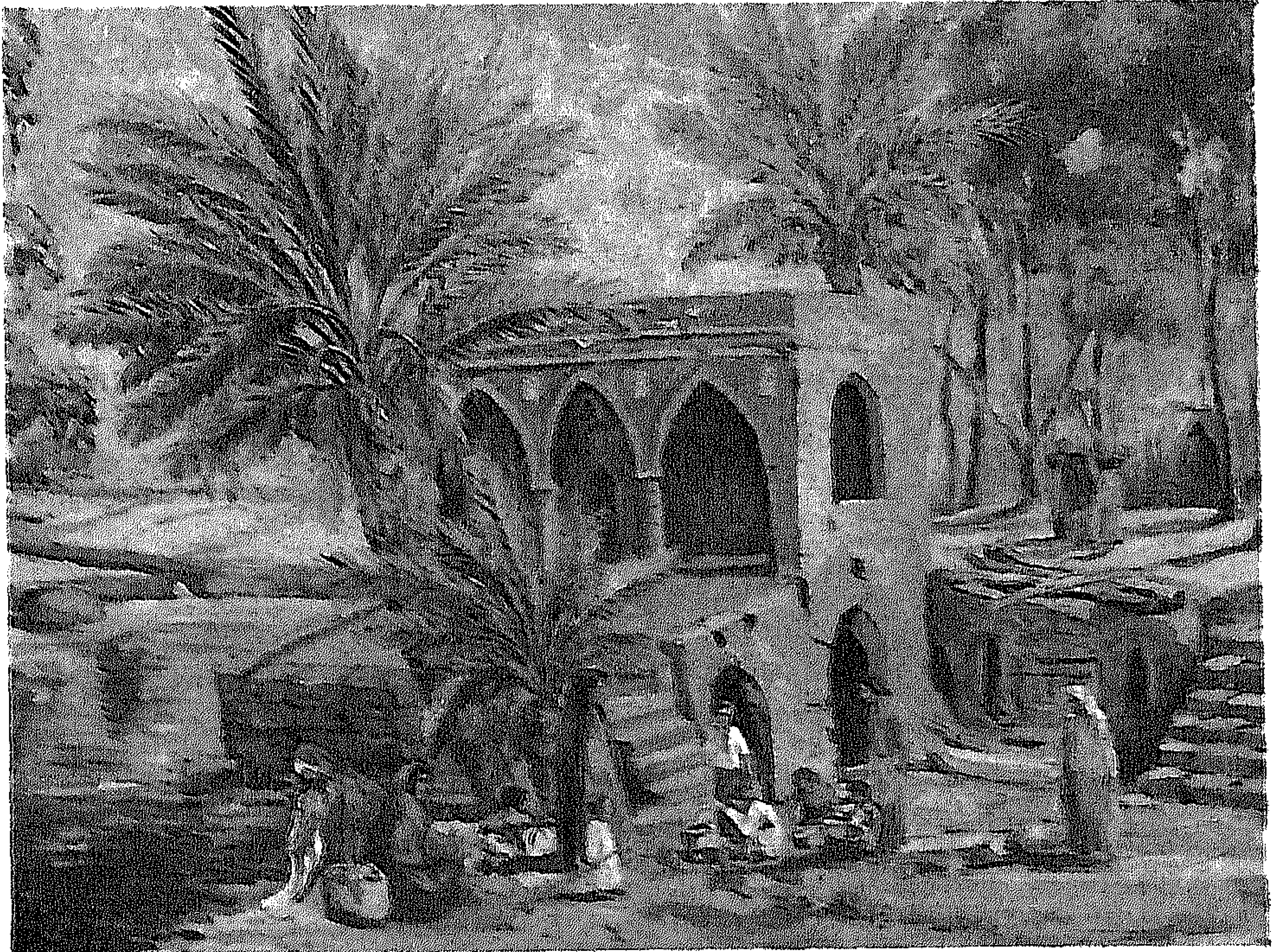
(١) انجلا كلارك ، جزر البحرين ، ترجمة الدكتور محمد الخزاعى ، ص٢٥٤ .
(٢) اثار البحرين ، من منشورات قسم الآثار فى وزارة التربية والتعليم ، ص٩ .
(٣) THE BAHRAIN ISLAND, ABBAS FAROUGHY, PAGE 21 .
(٤) انظر تاريخ القرامطة على الخصوص فى كتاب «من تاريخ الحركات الفركية فى الاسلام» بندلى جوزى .

وقد جاءتنا معظم المعلومات المتعلقة بهذا المسجد عن طريق وثائق منقوشة على الحجر ، ولكنها للاسف اختفت الآن ولم يبق منها الا الصور ، التى قام بتصويرها قبل الحرب العالمية الاولى المستشرق الالمانى ايرنست دييز ، نراها منشورة فى الكتب التاريخية ونتحسر عليها كلما دخلنا متحف الآثار التابع لوزارة التربية والتعليم (سابقا) ورأينا مكانها خاويا .

ويذكر المؤرخون ان هذا المسجد ، كان فيما مضى بالاضافة الى كونه مكانا للعبادة ساحة للدرس والمناظرة بين العلماء ورواد الادب ، تبوأت فيه البحرين مركزا مرموقا ورائدا فى الفقه والادب فى العالم الاسلامى .

وقد كانت المنطقة التى يقع فيها هذا المسجد ، وهى بلاد القديم عاصمة للبحرين ، قبل ان يجعل البرتغاليون الذين قدموا البحرين فى عام ١٥٢٢ من مدينة المنامة عاصمة لها .

ويتألف المسجد من الوجهة المعمارية ، من ثلاثة اروقة وهذه الاروقة تحيط بفناء المسجد الرئيسى ، وهى مقامة على اعمدة اسطوانية تشبه الرحى ، يبلغ ارتفاعها قدما وقطرها قدمين ، والجدير بالملاحظة ان حائط القبلة يتكون من اعمدة مزدوجة ، على خلاف الحائط الشرقى من المسجد الذى يتكون من اعمدة فردية .



اما سقف المسجد فيقوم على دعائم معمولة من الخشب ، ويبلغ ارتفاع هذه الدعائم ثلاثة عشر قدما ، وقد كانت النقوش والكتابات موجودة بكثرة فى هذا المسجد ، ولم يبق ـ للاسف ـ من هذه النقوش الحجرية ، الا اربعة احجار ثبتت عليها كتابة كوفية ومزخرفة بنقوش كوفية جميلة .

ولحسن الحظ انه لاتزال توجد بعض قطع منقوشة تخص هذا المسجد فى متحف البحرين .



● مسجد الخميس

مسجد الرفيع :

يعتبر مسجد الرفيع مثالا رفيعا لفن العمارة الاسلامى المحلى القديم ، ويبدو ذلك من وجود بعض ملامح الاسلوب العباسى فى الهندسة المعمارية ، ويقع هذا المسجد فى قرية بلاد القديم وبالقرب من ساب ابوزيدان ومسجد الخميس .

وهذا المسجد مبنى على تلة مرتفعة من الرمال ، ولعل تسمية هذا المسجد بالمسجد الرفيع جاءت بسبب ارتفاع هذه التلة التى يقع عليها هذا المسجد ، وليس بسبب ارتفاع المسجد ذاته ، ويوجد مسبح ملحق بالمسجد ، وهى العادة المتبعة فى التصميم المعمارى للمساجد فى البحرين فى الزمن القديم .

وعلى حجر القبلة توجد كتابات كوفية ، يعتقد المؤرخون بأنها معاصرة للكتابات الكوفية على منارتى مسجد الخميس وحجر قبلته .

قلعة البحرين :

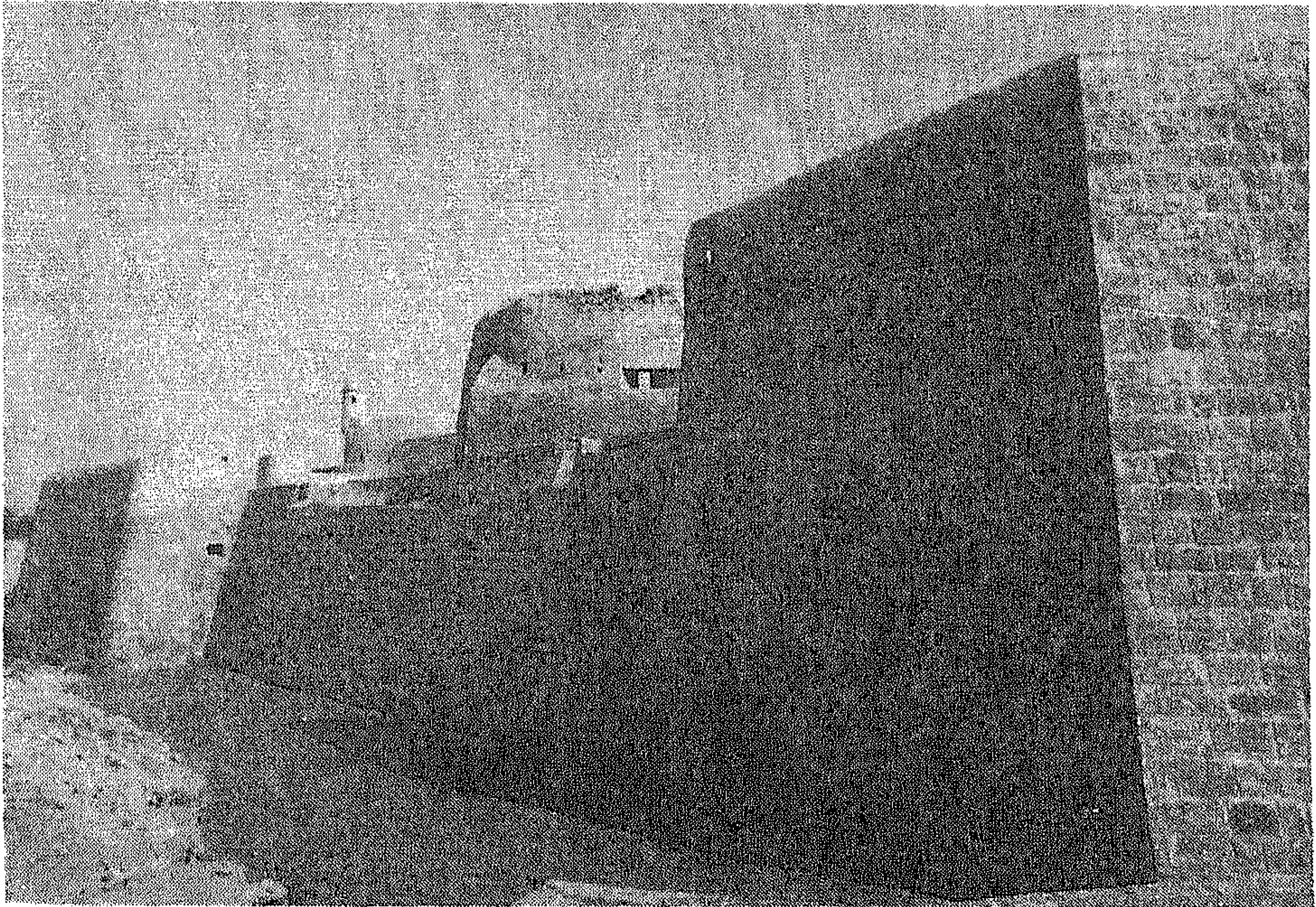
تقع هذه القلعة بالقرب من قلعة البرتغال ، على الساحل الشمالى لجزيرة البحرين ، واذا اردنا الدقة فى اقصى الطرف الغربى من الخليج الصغير المواجه لمدينة المنامة من الجهة البحرية . وهى مبنية ، كما يقول المنقبون ، على بقايا وانقاض المدن الدلمونية القديمة التى كانت قائمة وتم الكشف عنها بعد ذلك .

وظلت هذه القلعة مطمورة ، وبالتالى مجهولة ولم يحدثنا عنها كُتَّاب التاريخ الذين طالما اطنبوا وتحدثوا عن فلان وعلان من فلتات التاريخ .

حتى جاءت البعثة الدنماركية وحاولت ان ترفع بعض الاقنعة عن مجاهل هذه القلعة ثم جاءت من بعدها البعثة الفرنسية بين العامين ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ وحاولت بدورها ان ، تكشف بقية الخمارات التى مازالت تبرقع وجه هذه القلعة ، فاستطاعت الكشف عن سور القلعة الشمالى واحدى القاعات الشمالية وبرج القلعة الشرقى .

ولقد استعمل الملاط والحجر الجيرى كمواد اساسية فى بناء هذه القلعة .

واذا ما حاولنا معرفة بعض الامور المعمارية لهذه القلعة ، فسوف نجد ان لهذه القلعة بابين ، احدهما اخذ مكانه فى البرج الشمالى ، وهو باب مموه ، اقيم ليسهل على سكان القلعة الهرب حين يداهمها الاعداء بالهجوم .



● قلعة البحرين

اما الباب الآخر ، وهو الباب الرئيسى فيوجد فى جهة الغرب .
كما وتوجد بالاضافة الى هذين البابين ، فتحات ضيقة بينهما تستخدم للدفاع .
ولقد استرعى انتباه البعثة الفرنسية عدم وجود اية اسلحة بالقلعة ، بالرغم من ان القلعة قد اعدت اصلا لكى تكون حصنا عسكريا يقى البلاد من الهجمات العسكرية الاجنبية .

وترجح البعثة الفرنسية سبب عدم وجود اسلحة بداخل هذه القلعة الى انها استخدمت فى الفترات الاخيرة للاستعمالات المدنية فقط ، بعد ان زالت عنها صفتها العسكرية ، وكذلك الى ارتفاع نسبة الرطوبة والملوحة فى المنطقة التى لاتساعد على حفظ الادوات الحديدية والخشبية .
ومن نتائج التنقيبات التى اجريت عليها ، ان هذه القلعة قد هجرها قاطنوها المدنيون ، حيث وجدت مقابر قد تزيد عن (٢٥) قبرا ، احتوت على هياكل لرجال ونساء واطفال .

كما استنتجت البعثة الفرنسية بان سكان هذه القبور هم من المسلمين ، وذلك اعتمادا على الطريقة التى كانت عليها هياكل الموتى . فقد كانت جميع اجساد الموتى مسجاه على الجانب الايمن للميت ، بينما تتجه الرؤوس كلها الى جهة الشمال والوجوه الى ناحية الغرب .

ونبه احد العلماء الذى تصادف وجوده فى البحرين اثناء تواجد البعثة الفرنسية ، الى ان معظم الاطفال المدفونين فى القبور كانوا يشكون من اورام فى العظام .

الامر الجدير بالتسجيل ، هو ان البرتغاليين ، عندما قدموا الى البحرين وتثبتوا من المزايا العسكرية الاستراتيجية لقلعة البحرين ، قرروا اقامة قلعتهم التى عرفت بقلعة البرتغال على اساسات قلعة البحرين ، وكان ذلك فى عام ١٥٢٢ .

فقد قاموا بترميم القلعة وتوسعتها ، وحفروا حولها خندقا جافا يبلغ عرضه (٣٠) قدما ليصد الغارات ، وقد استفاد منها البرتغاليون لفترة لاتقل عن (٨٠) عاما ، هى فترة حكمهم للبحرين .

قلعة عراد :

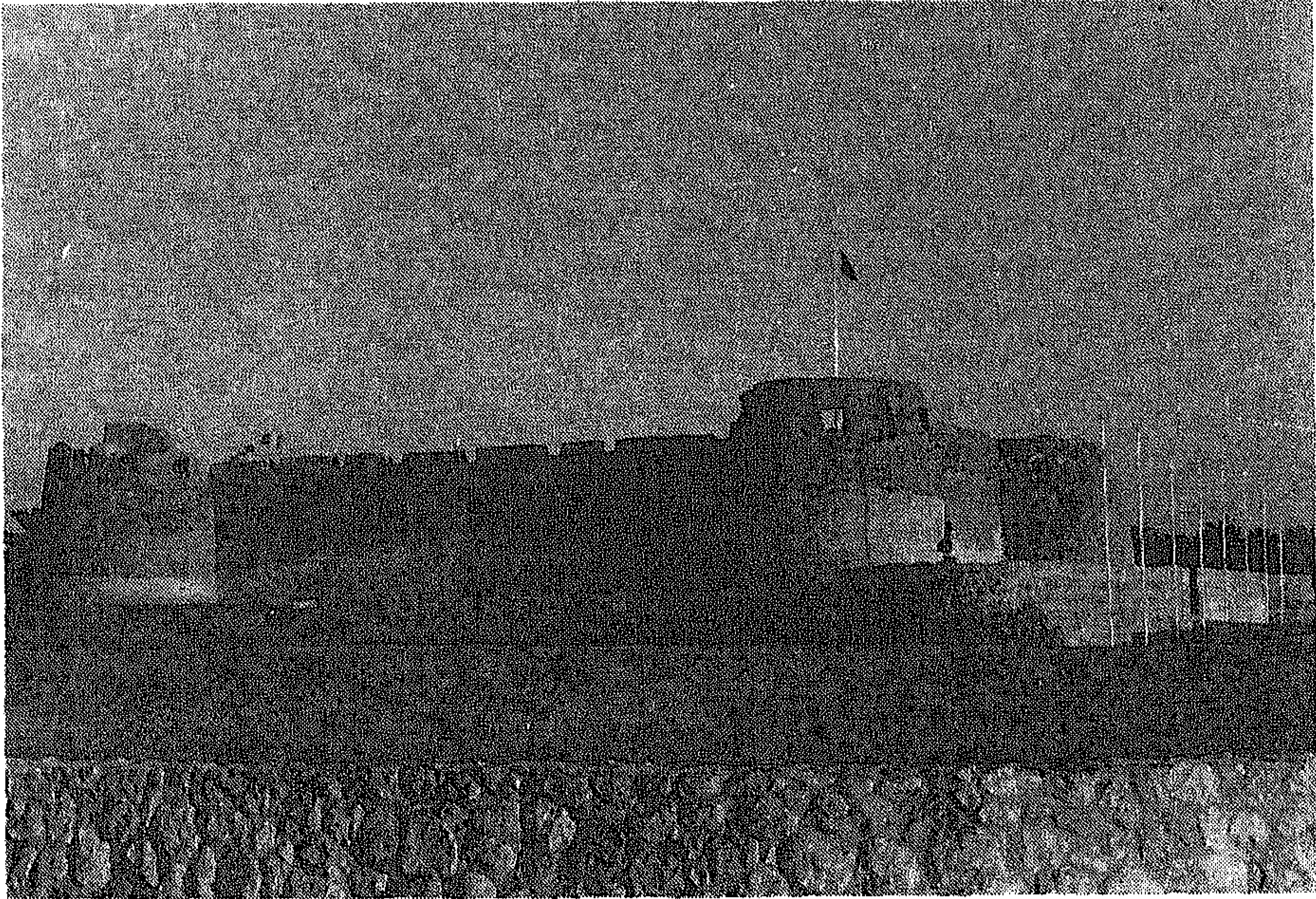
تقع هذه القلعة فى قرية عراد بجزيرة المحرق ، وربما يكون اسم عراد هذا هو الاسم القديم لجزيرة المحرق (ارادوس) ، عندما كان الفينيقيون من سكان البحرين ، وقبل رحيلهم من (تايلوس) البحرين الى بلاد الشام .

كان الاعتقاد السائد قبل ان تقوم الدكتورة مونيك كيرفان والبعثة الفرنسية بالحفريات التى اجرتها على موقع قلعة عراد ، بان العمانيين هم الذين اختاروا هذا الموقع الاستراتيجى وهم الذين شيدوا هذه القلعة ابان حكمهم للبحرين عام ١٨٠٠ .

لكن بعد الحفريات اتضح ان القلعة الحالية بنيت على انقاض حصن برتغالى قديم خاصة اذا نحن اخذنا فى الاعتبار الطريقة التى اعتادها البرتغاليون فى بناء قلاعهم . فالخندق الجاف الذى يحيط هذه القلعة والذى هو طبق الاصل من الخندق الذى يحيط قلعة البرتغال القريبة من قلعة البحرين ، هو اسلوب معمارى اشتهر به البرتغاليون .

ويعتقد المنقبون بوجود بئر للمياه تتوسط فناء القلعة ، وذلك لانحدار أرضية القلعة ، وبوجود ابراج للدفاع فى زواياها .

وقد قامت وزارة الاعلام باجراء ترميمات وصيانة لهذه القلعة حتى أصبحت الآن مَعْلماً من معالم السياحة في البحرين.



● قلعة عراد

الفصل الثاني

الحرف والصناعات التقليدية فى البحرين

الفصل الثانى
الحرف و الصناعات التقليدية فى البحرين

لن نتعرض فى هذا الفصل من هذا البحث للصناعات والحرف القديمة ، التى كانت تزاول فى دلمون القديمة ولكنها اندثرت فى الوقت الحاضر ، كاقامة المدافن والمقابر بالشكل الذى كان موجودا فى دلمون القديمة ، او انشاء المعابد والمذابح المقدسة ، او تجسيد التماثيل وصك الاختام التجارية والتى ماعادت توجد فى عصرنا الحاضر ، والتى سبق ان تحدثنا عنها فى الصفحات السابقة .

وانما سنتتبع ونتقصى هنا الحرف والصناعات التى كانت موجودة فى ذلك الوقت القديم ، وبقيت تمارس حتى يومنا هذا ، كصناعة الفخار ، وصناعة النسيج ، والتطريز والملاحة وصيد اللؤلؤ وغيرها من الصناعات الاخرى التى يطلق عليها تسمية الصناعات التقليدية .

كما واننا لن نتعرض ايضا للصناعات الحديثة التى لم تعرفها دلمون كصناعة الزيت والالمونيوم والكيماويات وغيرها من الصناعات الحديثة .



وتجدر الاشارة هنا ، الى ان معظم الصناعات الخفيفة او اليدوية التى كانت تمارس ومازالت حتى الآن ، هى صناعات ظلت تمارس دون انقطاع منذ زمن بعيد ، واقدم وثيقة استطعنا العثور عليها تشير وتعدد هذه الحرف ، هى القصائد الشعرية لشاعر البحرين والقطيف ابوالبحر جعفر بن محمد الخطى ، الذى عاصر القرن العاشر والحادى عشر الهجرى .

وهذه هى بعض القصائد التى تعدد تلك الحرف :

او فاتخذ لك سندانا ومطرقة ... واعمل متى شئت سكينا ومسمارا
او فاتخذ لك منشارا ومقشرة ... وكن كنوح نبى الله نجارا
او صايغا تسبك العقيان تبرز من ... ابريزه للنسا صفا ودينارا
او فاتخذ لك مزمارا ودربكه ... وعش لك الخير طبالا وزمارا
او كن فديتك صفارا فليس على ... علياك بأس اذا اصبحت صفارا
او كن كصاحبك الادنى ابا حسن ... اعنى عليا فتى عمران زرارا
او فاتبع بن مهنا فى بزازته ... او فامش خلف فتى شنصوه قصارا
او عالج الاتن من ادوائهن وكن ... شروا خميس ابن خضاموه بيطارا
او فاقتلع من رشا الطين متخذا ... منه الجرار وعش فى الخط جرارا
او فاقتن الاتن واحمل فوقها حطبا ... فخير شىء اذا اصبحت حمارا
وان سمعت مقالى فامض متكلا ... على الهك فى الابوام بحارا
او قيما فى بيوت الله تسمعنا ... اذانك العذب آصالا واسحارا
او منشدا مدح خير الناس حيدرة ... او قارئا فى نواحى السوق اخبار

الى آخر القصيدة ...

وقال ايضا فى وصف حلاق :

وحالق اصبح فى ... فن الحلاق واحدا
له يد الطف من ... مر النسيم باردا
تنم من تمسه ... ولا تهب راقدا
ودعته رأسى وو ... جهى قائما وقاعدا
فنال من هذا وذا ... نازلا وصاعدا
فرد رأسا ناقصا ... ورد وجها زايدا

اننا لو دققنا النظر فى القصيدتين السابقتين ، وتفحصنا تعدد المهن والحرف التى اشار اليها الشاعر ، ووصفه الدقيق لمهنة الحلاق ، لما خامرنا الشك فى ان هاتين القصيدتين قد نظمتا هذه الايام ، وكأن الاربعمائة عام التى مضت والتى تفصلنا عن تاريخ نظمها قد تقلصت ، ولم تعد هناك مساحة زمنية تفصلنا عن روح الشاعر الا ايام معدودات .

الملاحة وصيد اللؤلؤ :

ليس من المغالاة فى شىء اذا قلنا انه لايوجد شعب من الشعوب او امة من الامم ارتبط مصيرها بالبحر كما ارتبط به مصير الانسان فى البحرين ، فمنذ آلاف السنين وانسان هذه الجزيرة يركب البحر ويغوص فى اعماقه ، فلا عجب او استغراب ان يضفى البحر ملامحه على طباعنا وامزجتنا وتفكيرنا واخلاقنا .

فلقد اثرى البحر تراثنا الشعبى .

فله صغنا الاغانى ووضعنا الالحان .

وعنه اخذنا عاداتنا ونظم حياتنا .

ومنه ورثنا امثالنا وازجالنا وحكاياتنا .

منذ مولد اقدم الحضارات التى عرفها الانسان .

ان سجلات بلاد وادى الرافدين تحفل بكتابات تشير الى العلاقات التجارية الوثيقة التى تربط دلمون بالعراق القديم .

فأقدم وثيقة تاريخية تشير الى مثل هذه العلاقات التجارية ، هى وثيقة الملك (اورناشا) ملك (لاجاش) فى عام ٢٥٢٠ قبل الميلاد ، وتذكر هذه الوثيقة ان «إلّى جلبت سفن دلمون الاخشاب من البلاد الاجنبية كجزية» .

ونص آخر وثائقى يقول فيه الملك (سرجون الاكادى) حول سنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد ان سفنا من دلمون ترسو فى عاصمته .

وهناك وثيقة اخرى يرجع تاريخها الى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد ، تذكر ان بعثة من تجار العراق ارسلت الى «دلمون لشراء النحاس من هنا» . فقد كانت دلمون مركزا لتجميعه ثم تصديره بعد ذلك للخارج .

ووثيقة اخرى يرجع تاريخها الى ذات الفترة السابقة ، تتهم تاجرا من دلمون بعدم براءة ذمته ، وتعتبر الوثيقة ان مثل هذا الفعل ، عمل نادر بين تجار دلمون المعروفين بنزاهتهم فى التجارة .

ان الصناعة البحرية التى صدرها الفينيقيون الى روما وبلدان حوض البحر الابيض المتوسط كانوا قد استوردوها بدورهم من دلمون[1] عندما كانوا فى وقت من الاوقات من سكانها قبل ان ينزحوا منها الى سواحل البحر الابيض .

ان الاختام التى عثر عليها المنقبون فى كل من اور ودلمون والهند ، تدل دلالة واضحة على مدى تطور التجارة الدولية فى البحرين منذ اقدم العصور . ولاشك ان اسطولها البحرى يؤهلها بأن تقوم بهذا الدور الاقتصادى[2] ، وقد كانت صناعة السفن فى البحرين مزدهرة حتى بداية هذا القرن ، ومنذ مطلع هذا القرن بدأت اهمية هذه الصناعة تتناقص ، نظرا لمنافسة السفن الاوروبية الحديثة من جهة ، وللانهيار المريع الذى حدث لتجارة اللؤلؤ من جهة اخرى ، ولكن بقايا هذه الصناعة مازالت موجودة فى «النعيم» شرق المنامة وفى رأس رمان وفى المحرق .

وهناك تسميات كثيرة لوحدات الاسطول التجارى ، وتختلف هذه التسمية تبعا لحجم وشكل السفينة . ومن هذه القطع البحرية نذكر على سبيل المثال[3] :ـ

١ ـ البوم :ـ

وجمع البوم ابوام ، وهو اكبر قطعة بحرية شراعية فى الاسطول البحرى التجارى ، ونظرا لكبر حجمه واتساعه فهو يستعمل للغوص ولنقل البضائع والحاجيات الى المناطق البعيدة ، كالهند وعدن وافريقيا والبصرة ، وهو افضل السفن القديمة للابحار فى المياه العميقة .

ويتراوح طول البوم بين ١٥٠ و١٢٠ قدما ، وعرضه بين ٣٠ و١٨ قدما ، وارتفاعه ٤٠ و٣٠ قدما ، اما حمولته فما بين ٧٥٠ و٣٠٠ طنا .

ان موقع البحرين الفريد بين بلاد حوض الرافدين وحوض السند وافريقيا ، جعل منها مرفأ مهما ورئيسيا ونشطا فى العلاقات التجارية الدولية بين حضارات اقطار العالم القديم .

وقد عاشت البحرين طوال تاريخها الانسانى قصة الصراع بين القوى الكبرى لفرض النفوذ والسيطرة والاستيلاء عليها بالقوة ، اذا دعت الحاجة الى استخدامها لتكون موطىء قدم للانطلاق ، بسبب موقعها الاستراتيجى الهام بين الشرق والغرب

---

١) SHIPS OF YESTERDY, LIZETTE M.EDHOL, PAGE 25 .

٢) احمد مصطفى ابوحاكمة ، تاريخ شرق الجزيرة العربية ، ص٢٠٩ ، ترجمة محمد امين عبدالله .

٣) راجع على وجه الخصوص مؤلف الملاحة فى الخليج العربى لمؤلفه عيسى احمد النشمى ، ص١١٣ ـ ١٢٠

٢ ـ البغلة :ـ

ولعل اسمها مشتق من البغل ، وهى ايضا من السفن الشراعية الكبيرة ، ويقال ان تصميمها مقتبس من السفن البرتغالية ، ومقاسات هذا النوع من السفن هى ذات مقاسات البوم ، الا ان حمولتها تقل عن حمولة البوم ، فهى لاتزيد فى غالب الاحيان عن ٤٠٠ طن ، وتستعمل لنقل البضائع والاسفار الطويلة .

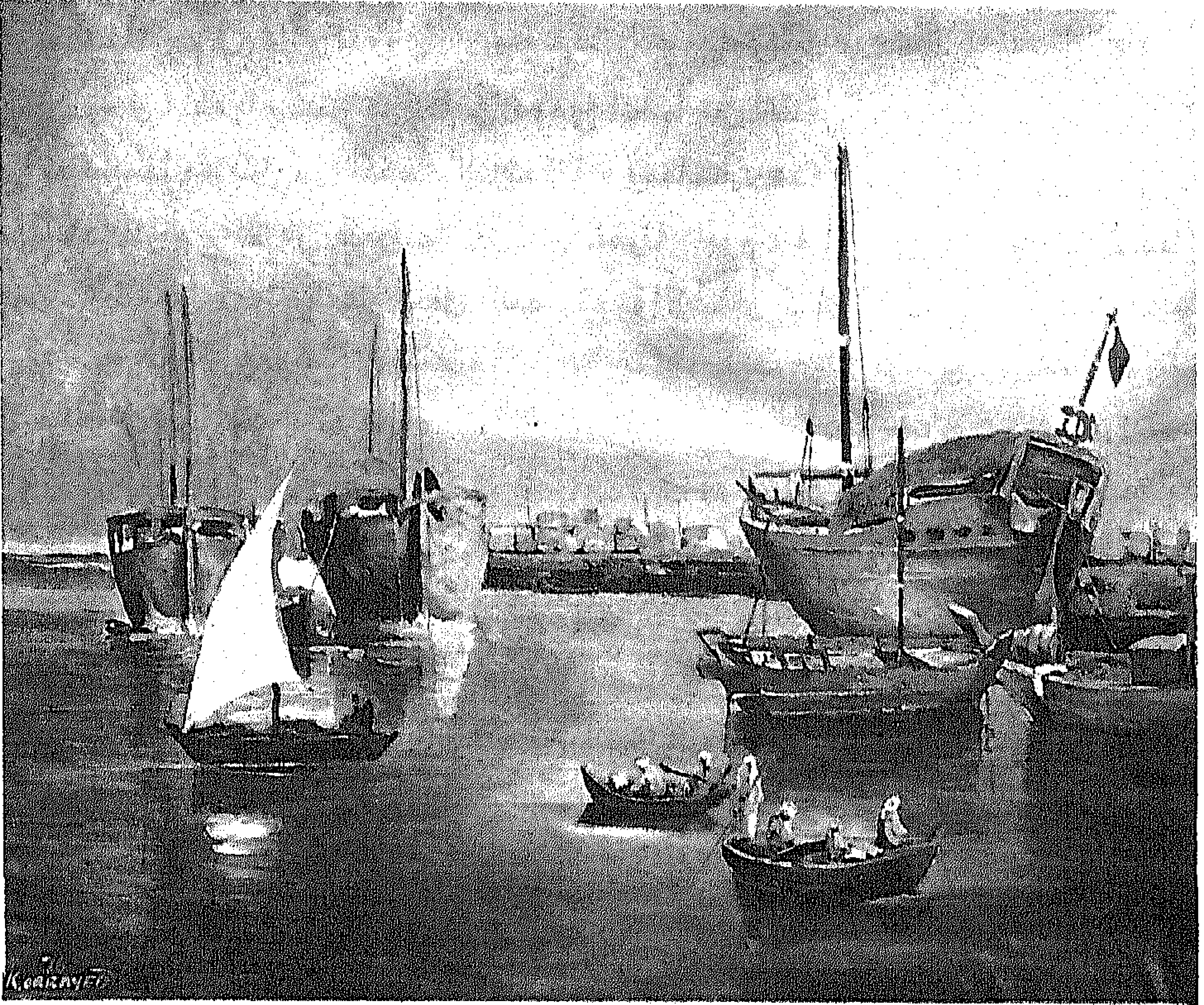
٣ ـ الشوعى :ـ

وهو مركب لايستعمل الا فى الغوص ، وهو اصغر حجما من البوم والبغلة ، فاقصى طوله ٦٠ قدما واقصى عرضه ٢٠ قدما واقصى حمولته ٧٥ طنا .

٤ ـ السنبوك :ـ

وأصل هذا النوع من السفن من اليمن ، وهو يقارب البوم والبغلة فى الحجم والحمولة ، ويستعمل ايضا للسفرات البعيدة والغوص .





٥ ـ الجالبوت :ـ

وهو ايضا وسيلة من وسائل نقل البضائع ، ولكنه لايستعمل فى المسافات البعيدة المدى ، وهو شائع الاستعمال بين موانى الخليج العربى ، ويبلغ اقصى طوله ١٠٠ قدم واقصى عرضه ٢٠ قدما وحمولته لاتزيد عن ٧٠ طنا .

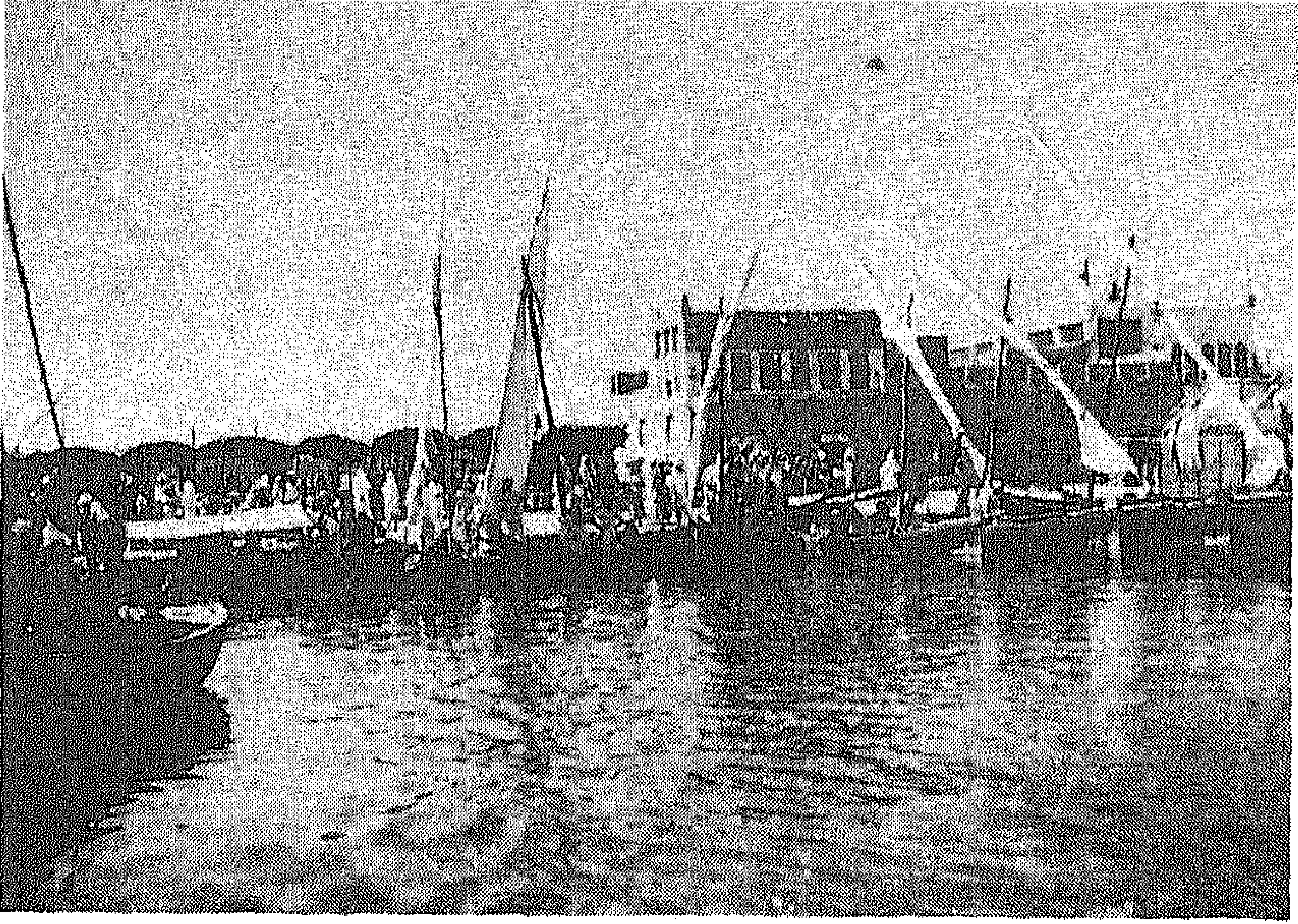
وهناك نوع آخر من (الجوالبيت) يستعمل فى الرحلات البحرية ، او فى تنقلات الطواشين فى موسم الغوص ويكون فى العادة اصغر من جالبوت نقل البضائع .

وكما تختلف تسميات القطع البحرية فان لكل جزء فى السفينة تسمية خاصة ايضا . ومن هذه التسميات نورد مايلى :ـ

١ ـ البيص وهو اساس السفينة او عمودها الفقرى وتتفرع منه جميع الواح السفينة التى تشكل هيكلها الاساسى .

٢ ـ الصدر وهو مقدمة السفينة ، ويسمى احيانا السدر .

٣ ـ التفر وهو مؤخرة السفينة ، والتسمية عربية اصلها (تفار) ويقال فى الامثال (اللى يقعد على التفر يصبر على الراش)



● العبرات

٤ ـ الكمر وهو لوح سميك يوضع فى منتصف هيكل السفينة ليساعد فى التحكم فى هيكلها .
٥ ـ الداعومة وتوضع فى اعلى البيص من الامام ، وذلك حتى تحفظ صدر السفينة من الاصطدام .
٦ ـ القيطان وهو لوح يوضع فى اعلى الكمر .
٧ ـ المنظرة وهو لوح يتوسط القيطان والكمر .
٨ ـ التريج وهو حافة السفينة من الجانبين ، ويقال فى الامثال (اذا طبعت دوس على التريج) .
٩ ـ القائم وهو لوح يوضع بشكل عمودى فى الجزء الخلفى من السفينة .
١٠ ـ الخيشة والتعراضة وهى اضلاع خشبية بارزة في مؤخرة السفينة وتستعمل لربط العلم وحبال الشراع وسند الصدر .

الى آخر بقية اسماء اجزاء السفينة الداخلية وعنبرها[1] .

---

١) راجع على وجه الخصوص مؤلف عيسى القطامى ، دليل المختار فى علم البحار ، ص٢٢٨ ـ ٢٣٢ .

كيفية صيد اللؤلؤ :

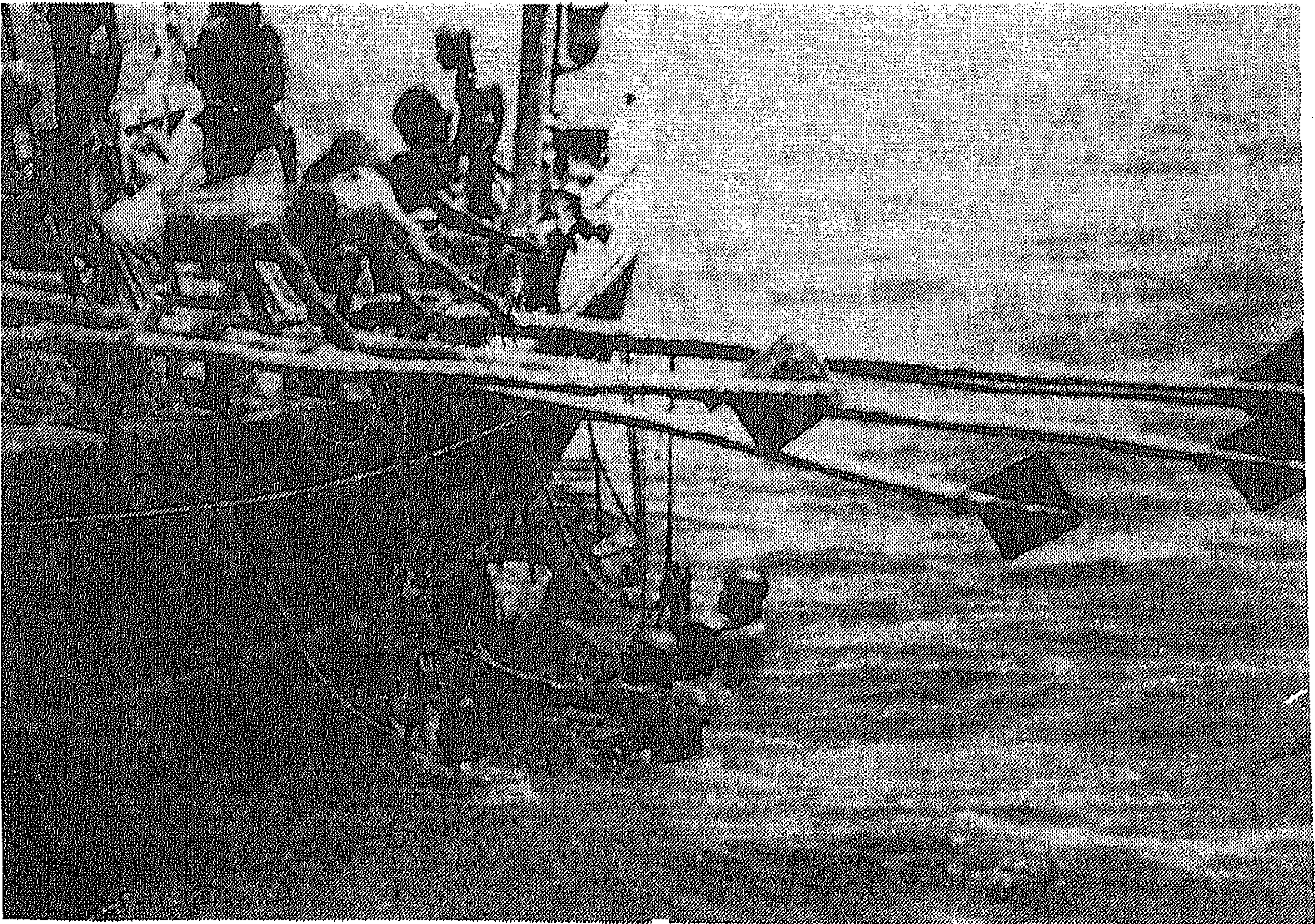
تعتبر صناعة اللؤلؤ من اقدم الصناعات التى عرفها الانسان فى البحرين .

وترجع اقدم الكتابات عن لؤلؤ البحرين الى (٢٠٠٠) سنة قبل الميلاد فى مدينة (اور) عاصمة الآشوريين ، فقد كان الملوك الآشوريين يتكلمون عن «عيون السمك» التى تأتيهم من بلاد دلمون . كما تتحدث ايضا سجلات الفينيقيين عن لؤلؤ تايلوس منذ اكثر من ١٠٠٠ عام قبل الميلاد .

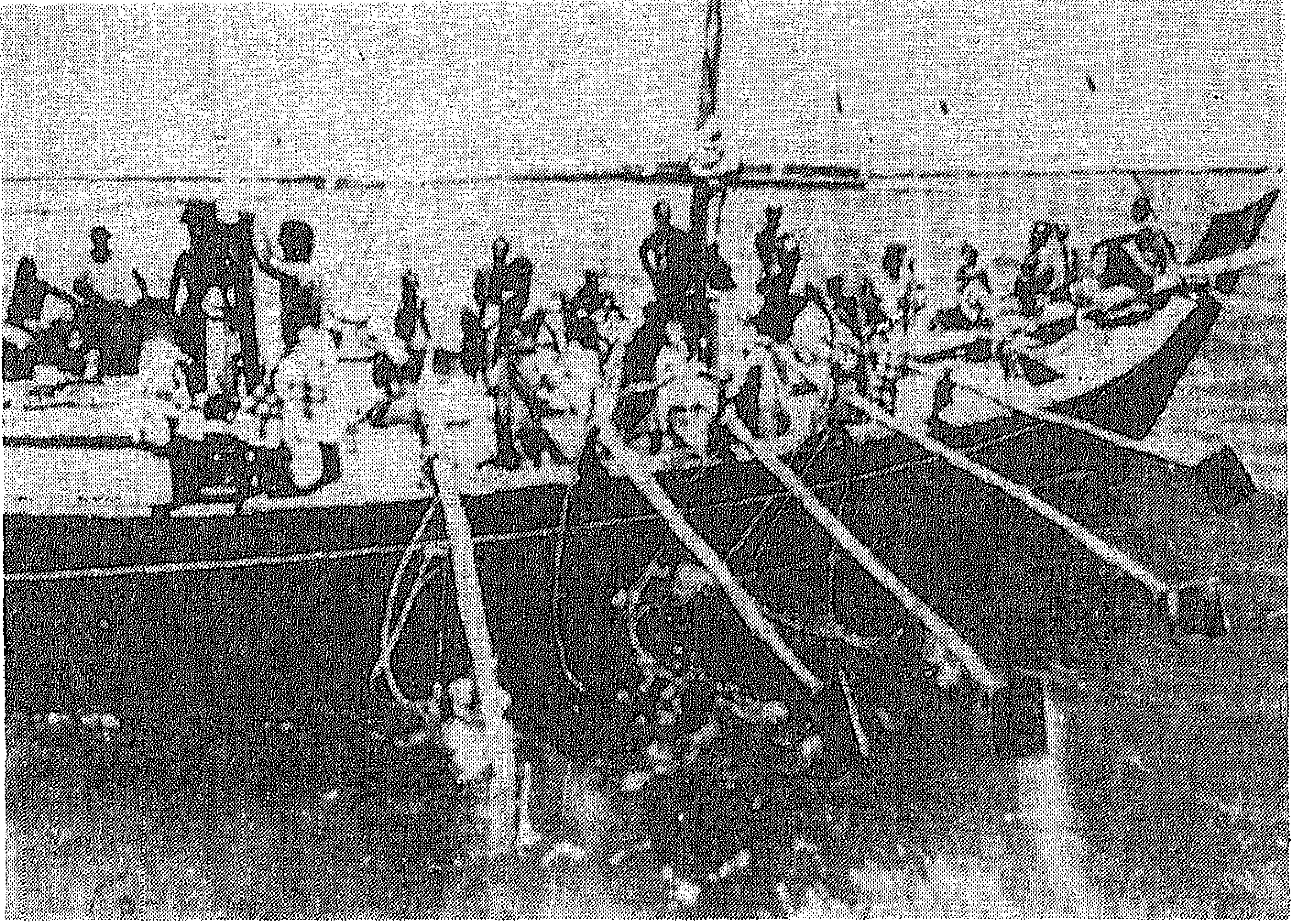
وقد نوه كثير من الرحالة العرب منذ القرن الخامس عشر الميلادى بشهرة لؤلؤ البحرين[1] وامتدحوا جودته امثال الادريسى ، وابوالفدا ، وياقوت ، وابن بطوطة والكندى والدينورى . ويعتبر ماكتبه ابو الريحان البيرونى فى كتابه (الجماهر فى معرفة الجواهر) من اشمل الكتابات عن اللؤلؤ ، فقد ذكر اسماء اللآلىء وصفاتها عند اللغويين والجوهرين ، واثمانها واصلاح فواسدها ، وبعض الاخبار والاشعار المتعلقة باللؤلؤ .

كذلك تحدث عنه الرحالة البرتغالى «دوبرات بربوسا» قال :

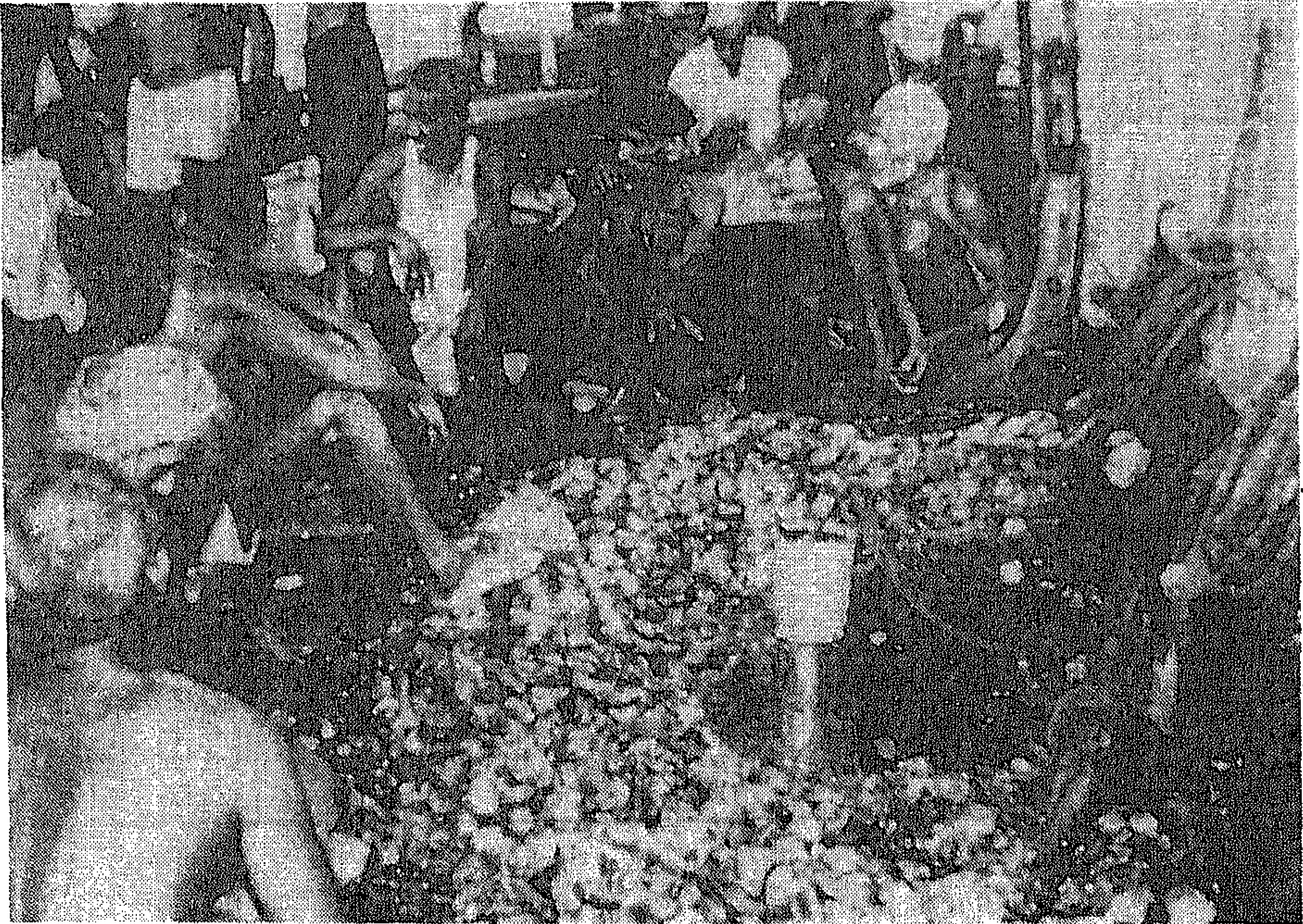
تزرع البحرين من حولها حقولا من اللؤلؤ ، وفيها كثير من اللؤلؤ الجيد ، وان تجار الجزيرة انفسهم هم الذين يصيدونه ويبيعونه ويحصلون منه على اموالا طائلة .



● رحلة الغوص على اللؤلؤ



● الغواصون على ظهر السفينة



● بداية عملية فلق المحار

وقبل أن تقع البحرين تحت النفوذ البرتغالى ، زار البحرين «الدون البوكيرك» حاكم الهند ، وهاله ما رآه من هذه الثروة الهائلة من اللؤلؤ ، وكتب الى ملك البرتغال عنه ، وارسل له كثيرا من هدايا لؤلؤ البحرين .

وفى عام ١٥٨٣ زار كذلك التاجر الانجليزى «رالف فتش» جزيرة هرمز فى مدخل الخليج العربى ورأى لؤلؤ البحرين واعتبرها اجود لآلىء العالم على الاطلاق . كما نجد فى مؤلف يعقوب سركيس «مباحث عراقية» الجزء الاول ، وصفا كاملا لاشكال لؤلؤ البحرين وانواعها واسمائها واوزانها واثمانها .

والاعتقاد السائد عند الناس عن كيفية تكون اللؤلؤ فى المحار ذكره ابوشهاب احمد بن يوسف التيفاشى فى مخطوطه (ازهار الافكار فى جواهر الاحجار) مايلى :
(وذكر ارسطا طاليس فى كتابه فى الاحجار ان البحر المحيط بالعالم الذى هو فى ظلمات مقيمة يلحق آخره اول البحر المسلوك ، وان الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى او قيانوس فى اوقات فصل الشتاء فيهيج هيجانا شديدا ، فيطلبه الصدف الذى يكون فيه الدر فى وقت ريح الشتاء ، فاذا هاجت الرياح والامواج من ذلك البحر المحيط كان لامواج رشاش فيتلقمه الصدف الكائن فى البحر الذى يسلكه الناس ، كما يلتقم الرحم النطفة من منى الذكر ، فتصير تلك النطفة من ذلك الماء فى اللحم المركب فى الصدف، فلا يزال الصدف يعمد الى الموضع الساكن من ماء البحر فيفتح فمه ويستقبل بذلك الماء الذى مثل النطفة رياح الهواء وحر الشمس عند طلوعها وغروبها ، ولايتعرض لها فى وسط النهار لشدة حر الشمس وهيجان البخارات التى تهيج من العالم ، والغبار الذى تهيجه الرياح ، فاذا انعقدت الدرة وصلبت وصارت جسدا مستويا هبط الصدف الى قعر البحر فانغرس هناك فى قعر البحر . ويضرب بعروق فيتشعب منه مثل الشجرة ، ويصير نباتا بعد ان كان حيوانا ذا نفس وروح وفعل متحرك فيقطع مثل الثمرة النضيجة اذا قطعت من الشجرة . وذكر ارسطا طاليس ان الدرة ان تركت حتى يطول مكثها تغيرت وتنمرت وفسدت كالثمرة اذا بقيت فى الشجرة لم تقطف فى زمنها ذهبت نضارتها وطيب طعمها)[1] .

---

١) ابوالحسن علي بن الحسين المسعودى ، مروج الذهب ، ج١ ص١٠٩ .

كما اشار اليه زكريا القزوينى فى كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) .

قال : (ان الرياح وقت الربيع تحمل الى بحر فارس الرشاشات فى محل الصدف كما يلقم الرحم المنى ، فربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتنعقد درا كبيرا ، وربما تقع رشاشات صغيرة فتنعقد منه اجزاء صغار من الدر)[٢] .

وقد رد الشيخ النبهانى على القزوينى بقوله (ان هذا الامر لاصحة له ، ولا عبرة بما نقله بعض المؤرخين : فانهم قالوا ايضا ان الارض على قرن ثور وذلك الثور على ظهر سمكة وغير ذلك من خرافات العوام او من اكاذيب الاسرائيليين)[٣] .

والحقيقة ان حيوان المحارة عندما يحتاج الى الغذاء ، يقوم بفتح المحارة وفى اللحظة التى تتفتح فيها ، يصادف ان تدخل فى جوف المحارة حبة صغيرة من الرمل ، ويقوم حيوان المحارة بافراز سوائله ، ويغطى بها حبة الرمل الصغيرة ليحمى بها جسمه من هذا الجسم الغريب[٤] .

وتتحدد قيمة اللؤلؤ تبعا لعدة مواصفات ، منها اللمعان والحجم والشكل واللون والملمس .

ويعتبر اللون الاسود من الالوان النادرة من بين بقية الوان اللآلىء الاخرى[٥] .

ومن اشهر مغاصات اللؤلؤ فى البحرين وعلى سبيل المثال ، هيرات شتيه ، وابو الجعل ، وابوصور ، وابوالخرب ، وابولثامة ، وابوحليفة ، والمعترض .

وهذه الهيرات تتراوح فى العمق ، ولكن اعمقها لاتزيد عن اربعين مترا ، ولاتضع تشريعات صيد اللؤلؤ فى البحرين اية قيود قانونية على عملية الصيد ، اللهم الا فى حالة جمعة باستخدام الآلات الميكانيكية[٦] .

---

١) نقلا عن كتاب الغوص على اللؤلؤ فى المصادر العربية القديمة لمؤلفه عبدالله يوسف الغنيم ، ص٣٤ .
٢) القزوينى ، عجائب المخلوقات ، ص١٩٩ ـ ٢٠٠ ج ٢ .
٣) الشيخ محمد النبهانى ، التحفة النبهانية ، ص٢٤ .
٤) WELCOME TO BAHRAIN .J. BELGRAVE, PAGE 45 .
٥) HATEM, PAGE 77 L' EMPIRE DES PERLES ET DES PIERRES PRECIEUSES SIMON .
٦) PERSONAL COLUMN, SIR CHARLES BELGRAVE, PAGE 49 .

لقد كانت تجارة اللؤلؤ فى القرن التاسع عشر تجارة رابحة ، تدر كثيرا من الارباح على اصحاب هذه التجارة ، ويكفى تدليلا على رواج هذه التجارة نظرة سريعة على المعلومات التالية :ـ

فى عام ١٨٣٣ كان دخل اللؤلؤ ما تعادل قيمته (٢٤٠ر٠٠٠) جنية استرلينى ، وفى عام ١٨٣٥ ارتفع الى مايعادل (٤٠٠ر٠٠٠) حنيه استرلينى ، وفى عام ١٨٩٦ بلغ (٢٠٣ر٩٤١) جنيه استرلينى[١] .

وفى عام ١٨٢١ ابحرت الى صيد اللؤلؤ ما يزيد على ٥٠٠ سفينة ، يعمل فى خدمتها مايزيد على عشرين الف رجل[٢] .

ثم انخفض هذا الرقم انخفاضا مريعا فى عام ١٩٤٨ فلم يخرج الى الصيد ، الا ٨٣ سفينة يعمل على ظهرها الفا رجل[٣] ثم استمر الهبوط فى التدرج ، حتى وصل الرقم الى ١٢ سفينة و٤٥٠ رجلا فى عام ١٩٥٤ .

وحتى شهر نوفمبر ١٩٥٥ خرجت للبحر ست سفن لا غير .

ومنذ هذا التاريخ ليس لدينا احصاء عن عدد السفن التى تخرج للغوص ولا عن عدد الرجال .

وليس انتشار صناعة اللؤلؤ الاصطناعى هو السبب الاوحد فى التدهور المخيف لهذه الصناعة العتيدة ، ولكن من الممكن القول ان عدم الاعتناء بحقول اللؤلؤ وبطريقة تكاثره ادى بشكل ملحوظ الى المساهمة فى التدهور[٤] . هذا بالاضافة الى اكتشاف البترول فى معظم بلدان الخليج .

وليست اية سفينة تصلح لرحلات الغوص وانما هناك سفن معينة ، تشترط فيها مقاييس ومواصفات خاصة لكى تكون صالحة لرحلات الغوص الشاقة ، ومن هذه السفن البتيل والبغلة والسمبوك والشوعى والجالبوت والبوم والكوتيه والبانوش والهورى .

وبعض هذه الاسماء ليس عربيا كالبوم والجالبوت والبانوش والهورى .

وفى رحلة الغوص لكل عضو تسمية خاصة ، وغالبا ما تتحدد هذه التسمية تبعا لنوع الوظيفة او العمل الذى يساهم به هذا العضو فى رحلة الغوص .

ومن هذه التسميات نذكر على سبيل المثال لا الحصر :ـ

---

١) PERSONAL COLUMN, SIR CHARLES BELGRAVE, PAGE 47 .
٢) WELCOME TO BAHRAIN, J.H. BELGRAVE, PAGE 48 .
٣) PERSONAL COLUMN, SIR CHARLES, BELGRAVE, PAGE 42 .
٤) WELCOME TO BAHRAIN, J.H. BELGRAVE, PAGE 48 .

١ ـ النوخذا :ـ

هو ربان السفينة والرجل الاول فيها ، وهو المسئول عن كل صغيرة وكبيرة فى الرحلة كلها ، ومن اهم مهامة توجيه وادارة شئون السفينة ، ويشترط فى النوخذا بالاضافة الى قدرته فى ادارة شئون الرحلة ، ان يكون على دراية تامة بمواقع الهيرات واسمائها ، وعلى معرفة بطبيعة البحار والانواء الجوية واتجاهات الرياح ، ومواسم سقوط الامطار وغيرها ، مما يتصل بطبيعة عمله كقائد لسفينة وخبير بمواقع المناطق التى يكثر فيها اللؤلؤ .

٢ ـ الغيص :ـ

والغيص هو الذى يتولى الغوص على اللؤلؤ الذى يغطس الى قاع البحر ليجمع المحار ، ويختلف عدد هؤلاء الغاصة فى السفينة الواحدة تبعا لاختلاف حجمها ، ويختلف الناس اختلافا كبيرا فى تقدير المدة التى يستطيع الغيص ان يبقى فيها تحت الماء ، الى درجة تختلط الحقيقة فيها بالخيال ، ولكن مهما قيل فانها لاتزيد عن الدقيقة والنصف بأية حال من الاحوال .

ويأخذ الغيص معه ادوات معينة تساعده فى اداء مهمته فى جمع المحار . ومن هذه الادوات مثلا :

(الفطام) وهو قطعة من العظم تشبه المشبك ، يضعها الغيص على انفه وهو فى طريقة فى الهبوط الى قعر البحر ، لكى يمنع ماء البحر من التسرب الى جوفه عن طريق الانف .

(الحجرة) وهى قطعة من الحجر او الرصاص تبلغ زنتها خمسة كيلوغرامات ، وهى تساعد الغيص بحكم ثقلها فى الاسراع به للنزول الى قاع البحر ، وبعد ان يصل الغيص الى ارض البحر يتخلص من هذه الحجرة حتى لاتعيق حركته ، وعندها يبادر السيب فى جرها الى السفينة لاستعمالها مرة اخرى .

(الديين) واصل هذه الكلمة (الدجين) وهو سلة قريبة الشبه بالشبكة ، ويضع الغيص فيها ما يجمعه من المحار ، ويعلقه الغيص فى رقبته ، ويربط بهذه السلة حبل رفيع يسمى (الجدا) ويكون طرفه الآخر فى يد السيب ، ويستخدم هذا الحبل فى جر الغيص من الماء بعد انهائه مهمته او عند احساسه بالخطر من حيوان سام او مفترس ، او فى حالة شعوره بالاختناق .

وعندها يقوم الغيص بهز حبل الجدا بقوة ، كاشارة منه للسيب بوجود خطر ما ، وما ان يقوم السيب باستلام هذه الاشارة من الغيص ، حتى يهم بسحبه من البحر .

(الخبط) وهو قفاز من جلد البقر يغطى الاصابع فقط .

٣ ـ السيب :ـ

وهو الشخص المكلف بانزال واخراج الغيص من قاع البحر ، سواء عند انتهاء (التبه) او عند شعور الغيص بالخطر ، ولدقة وخطورة الدور الذى يلعبه السيب فى حياة الغيص ، يقال ان روح الغيص فى يد السيب .

يشترط فى السيب ان يكون حاضر الذهن دائما ، وذلك حتى لايتعرض الغيص الى الاختناق والموت تحت الماء . وكان السيب يسمى المصفى على ايام الادريسى فى القرن السادس من الهجرة .

الرضيف :

واصل التسمية هى (رديف) اى مساعد ، ويمكن ان نعتبره سيبا او غيصا تحت التدريب ، وقد كانت بعض العائلات فى البحرين تقوم بارسال اولادها مع رحلة الغوص ، حتى يتعلموا مهنة الغوص ، وحتى يعتادوا البحر واهواله منذ صغرهم . والرضيف صبى لايزيد عمره عن اربعة عشر عاما ، والى جانب تدربه على اعمال السيوب او الغواصين يقوم ايضا بالاعمال الخفيفة على ظهر السفينة .

التباب :

تحتاج كل سفينة تبحر للغوص الى عدد من التبابين او التبابة ، لكى يقوموا بالاعمال البسيطة على ظهر السفينة كتقديم الماء والشاى والقهوة الى البحارة ، او غسل الاطباق والاوانى ، بعد الانتهاء من الاكل .

وتتراوح اعمار هؤلاء التبابين بين السابعة والعاشرة ، وليس لهؤلاء الاطفال اى نصيب من الارباح التى تحققها الرحلة ، كما هو الحال بالنسبة لطاقم السفينة ، كما ان ليس لهم اى اجر معلوم ، وكل ما يحصلون عليه من عوض مقابل ما يقدمونه من خدمات لطاقم السفينة ، هو بعض اللآلىء التى قد يعثرون عليها فى جوف حيوان المحارة اثناء تفتيشهم المحار المهمل او ما يتبرع لهم به النوخذا من محار . وهم بعد ذلك وحظهم .

النهام :

كما يمارس البدوى الحداء فى الصحراء ليبدد به السأم والملل عن القافلة فيقصر بذلك المسافات ، او كما يشدو الفلاح وهو يروح ويجيء بجازورته ليروى بها عطش الارض ، تحتاج كذلك كل سفينة الى عدد من النهامين يشنفون بالاغانى آذان البحارة ، فيبددون بذلك رتابة العمل ويخففون من قسوته .

وكما تتعدد وتتميز الالحان على اليابسة ، تتعدد كذلك الالحان التى يؤديها النهام فى البحر وتتميز .

ومن هذه الالحان البحرية :

النهم ، وهو لحن يؤدى خلال انشغال البحارة بعملهم طوال النهار .

اما بعد الانتهاء من العمل ، عند الغروب ، فيؤدى النهام لحن الخمارى ، وهو لون من الوان الغناء العاطفى الجميل ، يبعث الخدر فى الاجساد المتعبة ويشد الرجال الى ذكرياتهم التى خلفوها فى بيوت وازقة البحرين .

وعندما يأخذ كل بحار مرقده على ظهر السفينة استعدادا للنوم ، يرتفع اصوات النهام بغناء لحن الفجرى[1] .

موسم الغوص :

قبل ان يبدأ موسم الغوص من كل عام ، يقوم صاحب الرحلة او النوخذا بالاتفاق مع عدد من البحارة من غواصين وسيوب ورضفاء ، وعند تمام الاتفاق على القيام برحلة الموسم القادم ، يستلم البحارة من ممول الرحلة او نوخذاها الدفعة الاولى على الحساب تقتطع من الارباح التى قد تحققها رحلة الغوص ، وتسمى (التسقام) ، وعند قرب موعد الابحار ، تدفع الدفعة الثانية ، وتسمى (السلفية) ، اما الدفعة الثالثة فتسمى (الخرجية) .

وبعد انتهاء موسم الغوص ورجوع البحارة الى البحرين ، وبيع اللؤلؤ على التجار والطواويش تخصم الديون التى سبق ان استلمها كل بحارة من ممول الرحلة ، من حصته فى الارباح التى حققتها الرحلة .

---

١) الواقع ان الحان البحر متنوعة ، فهناك ايضا لحن «الزام» و«البريخة» و«اليامال» و«الهوسة» والفجرى ومنه البحرى والعدسانى والحدادى والمخولفى والحساوى وغيرها من الحان البحر .

ويكون توزيع الارباح حسب النسب التالية :ـ
يأخذ السيب سهم واحد ، اما الغيص فيأخذ سهمان ، اما النوخذا فيأخذ اسهم خمسة سيوب .

لقد عرف الاجداد بالتجربة منذ القدم ، بان حرارة الطقس تساعد على نمو اللؤلؤة وهى جنين فى جوف المحارة ، لهذا فان موسم الغوص يكون ما بين اول يوم من برج الجوزاء حتى نهاية برج السنبلة ، اى فى الفترة ما بين شهر مايو وشهر سبتمبر من كل عام .

ويسمى اول يوم من ايام موسم الغوص بيوم الركبة او الدشة ، ويعتبر هذا اليوم حدثا كبيرا فى البحرين ، فقبل ان يهل يوم الركبة بفترة طويلة والناس ، كل الناس ، ليس لهم من حديث الا الحديث عن يوم الركبة هذا .

فى هذا اليوم من كل عام يخرج الآلاف من الشيوخ والنساء والاطفال من المنامة والمحرق والحد ومن جميع القرى ، الى سواحل البحر فى (زفات) تتصارع فيها مختلف الاحاسيس والانفعالات . فالفرح يحتويه القلق ، والسعادة يعتصرها الالم والمرارة .

تخرج البحرين كلها ، لتودع الرجال الذين ودعوا الاهل والذكريات ، وخرجوا ليواجهوا المجهول فى اعماق البحار .
ولقد جرت العادة فيما مضى من سنين ، ان يحضر حاكم البحرين الى (السيف) ليودع الرجال ، ويعطى اشارة التحرك .

وما ان يبدأ الركب فى التحرك ، حتى تلمع فى العيون آلاف الآمال ، وتمور فى الصدور آلاف الآهات ، الآهات لفراق الحبيب زين الرجال ، والآمال بأن يكون الموسم موسم خير وبركة على الجميع .

وتبدأ (الخطفة) ، ويرتفع صوت النهام والبحارة بالغناء ، وتتردد نغمات الحانهم من بعيد وهم ينشدون :ـ

أيـة يـا مـال يـا سـلام　　هيـلي　　يـوه
يا سلام ربى سهل يا سلام　　هيـلي　　يـوه
سهل لنا يـاسلام هيبا لله　　هيـلي　　يـوه

وعندما تصل السفن الى مناطق (الهيرات) تبدأ فى التفرق ، وتتخذ كل سفينة مكانها المختار ، ثم يرمى البحار المرساة (الباورة) كى تثبت السفينة فى المكان الذى اختاره النوخذا .

وفى اللحظة التى تقف فيها السفينة ، يبدأ العمل ، ويتخذ كل فرد مكانه فى السفينة ، ويبدأ النوخذا فى توجيه تعليماته وارشاداته :

هات الحبال ياسيب . هات الحديد يا رضيف . هات الديين ياتباب . وهذا هو ذا الغيص وقد وضع (الفطام) فى انفه والحديد فى رجله و(الديين) فى عنقه ، ثم يمسك نفسه وقد حجب وجهه بكفيه ويصيح .. توكلنا على الله ! صوت موجة تتقلقل فتتكون حلقات ، فتكبر ، فتتفكك فتتلاشى . راح تحتها الغيص يبغى الجواهر فى المحار .

وهو حالما يصل الى القعر ، يفتح عينيه وينزع من رجله الحديد او الحجر ، فيرفعه السيب (بالزبيل)[1] الى السفينة . ومنهم من يلبس قفازا من جلد ثم يشرع يمشى على يديه ، ورجلاه مرفوعتان و(الجدا) بين ابهاميهما ، وهو يلتقط (الصدف) ويضعها فى (الزنبيل) .

فاذا ضاق درعه وامتلأ زنبيله جذب (الجدا) اى حبل (الزنبيل) فيصيح السيب : (نبر) بينما هو يسحب الحبل والغيص متمسك به . فاذا صار على وجه الماء نزع (الفطام) من انفه وتنفس ، ويأخذ السيب (الزنبيل) فيفرغه فى وسط السفينة ويدفعه اليه فيعود الى الغوص[2] .

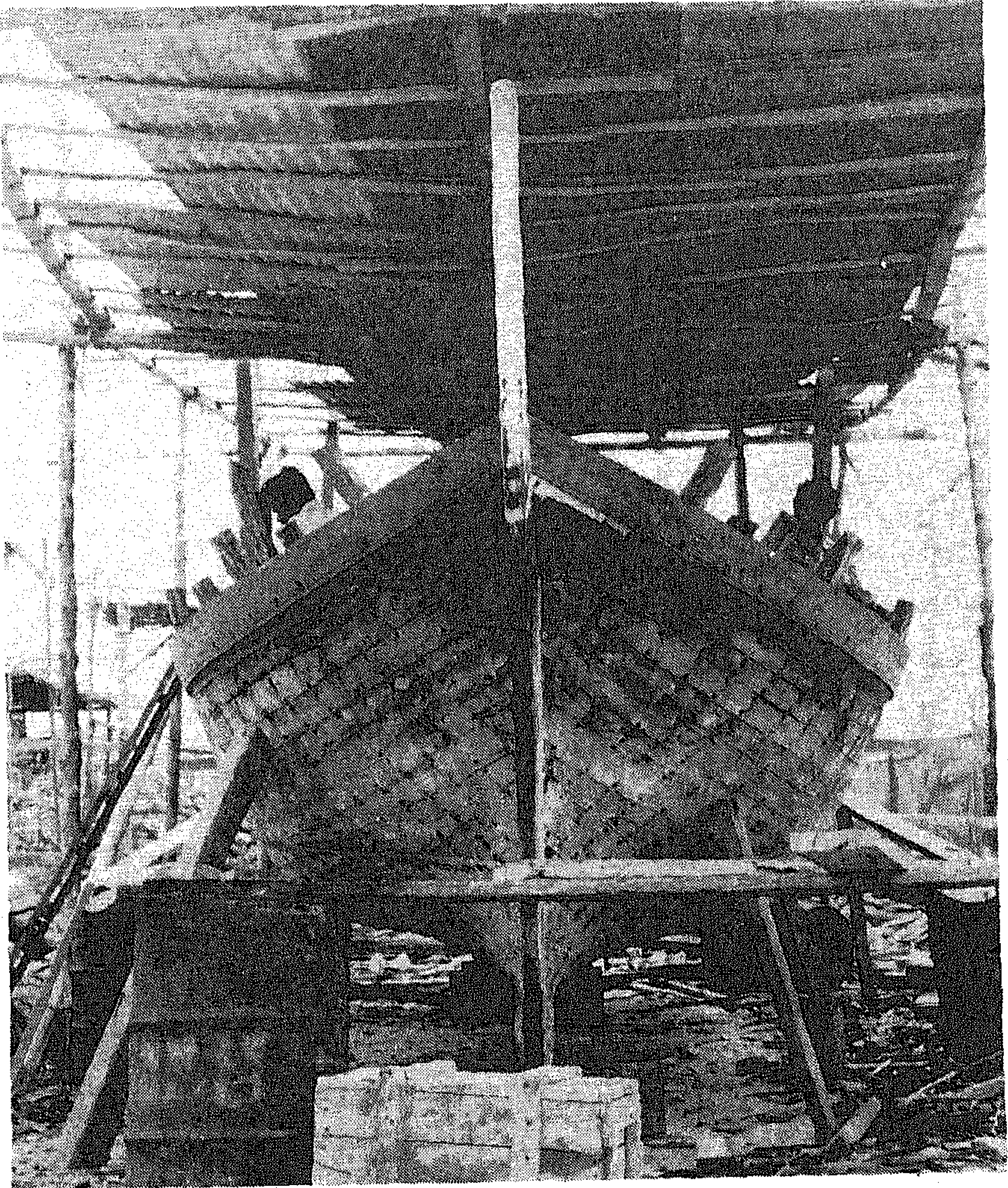
ويستمر الغواصون والسيوب فى هذا العمل من الصباح حتى غروب الشمس [3] ، ونظرا لضراوة هذا العمل وقسوته ، لابد للغيص ان يأخذ فترة من الراحة حتى يستعيد قوته ونشاطه ، وغالبا ما تكون فترة الراحة هذه بعد كل عشر تبات ، وقد يستطيع الغيص القوى ان يغوص اربعين تبة فى اليوم تقريبا .

ولو رجعنا الى الوصف الذى خطه الادريسى فى القرن السادس الهجرى للغوص فى الخليج العربى فى كتابه «نزهة المشتاق» وقرأنا الاوصاف الدقيقة لهذه المهنة ، لوجدنا انها اقرب لما تكون عليه الاوصاف حتى وقت قريب .

---

١) الزبيل : حبل مربوط به الحجر ومتصل بالسفينة .
٢) امين الريحانى : ملوك العرب ، الجزء الثانى ، ص٢١٧ ـ ٢١٨ .
٣) الشيخ النبهانى ، التحفة النبهانية ، ص١٧ .

يقول الادريسى : واهم جزر البحرين جزيرة اوال ، وهى على مسيرة خمسين مرحلة من بر الفرس واربع مراحل من بر العرب ، طولها ستة اميال فى عرض ستة اميال .. وحاضرة جزيرة اوال اسمها البحرين ، وهى مدينة عامرة .. وفى هذه الجزيرة يسكن غاصة اللؤلؤ فى المدينة التى يصل اليها تجار اللؤلؤ من جميع انحاء الارض ومعهم المال الوفير ، ويترقبون شهورا طوالا موسم الغوص . ويستأجر التجار الغاصة مقابل جعل معلوم يتفاوت مع جودة الصيد واعتقاد التجار بمهارة الغاصة . ويكون الغوص فى اغشت وشتبنر (أغسطس وسبتمبر) وقبل هذا اذا كانت المياه صافية.



● صناعة السفن في البحرين

ويصطحب كل تاجر الغواص الذى اكتراه ، وتخرج المراكب جماعة من الميناء فيما ينيف على مائتى «دونج» ، وهى فلك اكبر من الفلك العادى ، يقسم التجار سطحها الى خمس او ست «بلنجات» منفصلة ، ومع كل غواص رفيق مساعد اسمه المصفى له نصيب فى الكراء . ويخرج مع الغاصة اولاد حذاق يعرفون المواضع لان للاصداف مواضع تغشاها ، تذهب اليها وتخرج منها حسب الوقت وتعرفها .

فاذا خرج الغاصة من جزيرة اوال قادهم الدليل حتى اذا وصلوا الى المواضع المعلومة خلع الدليل ملابسه وغاص ونظر ، فاذا وجد المكان مناسبا خرج وامر بطى الشراع ورمى الاناجر ، وكذلك تفعل بقية الدوانج ، ويبدأ الغواصون فى العمل .

ويبلغ عمق قيعان الصيد من اثنين الى ثلاثة باعات . ويستر الغواص سؤته ويسد خياشيمه بالخلنجل ، وهو دهان من المومياء المذاب مع زيت السمسم ومعه سكين وكيس ، ويحمل حجرا وزنه اربعة قناطير او ما اشبه ، معلق بخيط رفيع متين ، وهو يلقى فى الماء من ناحية المركب ويمسك المصفى بهذا الخيط بينما يقف الغواص على الحجر ويمسك الحبل بيديه متأهبا للقفز فى البحر . ثم يترك المصفى الحبل فينزل الغواص والحجر سريعا الى قاع الماء ، وهو واقف على الحجر ممسك الحبل بيديه ، فاذا وصل الى القاع جلس وفتح عينيه وجمع عاجلا كل الاصداف حوله . فاذا ملأ الكيس انتهى عمله ، والا فانه يسعى قليلا دون ان يترك الحبل او الحجر ، فاذا تعب صعد الى سطح البحر ليتنفس ثم يغوص ثانيا . فاذا امتلأ الكيس جذب المصفى الحبل والكيس وافرغه فى البلنج وارسله ثانيا الى الغواص فى البحر ، ومادام الغواص يجد الاصداف فهو يستمر فى صيدها .

وبعد ساعتين يصعد الغواصون ويلبسون ملابسهم وينامون . ويأخذ المصفى فى فتح المحار بحضور التاجر الذى يجمع ما يخرجه ويسجله فى زمام . ويأكل الجميع قبيل الغروب ، وينامون طول الليل حتى يبدأ العمل فى اليوم التالى بعد الافطار . وهكذا طوال الموسم .

فاذا فرغوا من قاع انتقلوا الى غيره حتى ينتهى الموسم بنهاية شهرى اغشت وشتنبر ويعودوا الى اوال ومعهم اللآلىء محزومة فى اوطاب ، وعلى كل وطاب اسم صاحبه ، وعلامته ، وهو مغلوق ومختوم . وتسلم الاكياس الى الوالى بمجرد مغادرة السفن .

وتعلم حرفة الغوص فى فارس ، ويدفع للتمرن عليها بعض المال ، فان الغواص يتعلم كيف يتنفس من آذانه ، ويحدث فى بدء تعليمه ان تصاب الآذان بالتهاب حاد ويخرج منها صديد وتعالج بالعقاقير . وتدفع احسن الاجور للغواص الذى يبقى فى الماء اكثر من غيره ، وهم يعرفون بعضهم تحت الماء ، ولا يعتدون على حدود بعضهم البعض ، ولا يدعون التميز على غيرهم ، ولكنهم يتبارون فى نشاطهم(١) .

وتكلم ابن بطوطة عن الغوص فى الخليج العربى .

يقول ابن بطوطة :

(ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين فى خور راكد مثل الوادى العظيم ، فاذا كان شهر ابريل وشهر مايو تأتى اليه القوارب الكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ، ويجعل الغواص على وجهه إذاما اراد ان يغوص شيئاً يكسوه من عظم الغيلم ، وهى السلحفاة ويصنع من هذا العظم ايضا شيئا يشبه المقراض يشده على انفه ، ثم يربط حبلا فى وسطه ويغوص .

ويتفاوتون فى الصبر فى الماء فمنهم من يصبر الساعة والساعتين فيما دون ذلك ، فاذا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتا فى الرمل فيتلعه بيده، أو يقطعه بحديدة عنده معدة لذلك ويجعلها في مخلاة جلد مربوطة بعنقه ، فاذا ضاق نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل فيرفعه الى القارب ، فتؤخذ منه المخلاة ويفتح الصدف ، فيوجد فى اجوافها قطع لحم تقطع بحديدة ، فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر . فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسه ، والباقى يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب ، واكثرهم يكون له الدين على الغواصين ، فيأخذ الجوهر فى دينه او ما وجب له منه (٢) .

وحتى تكتمل الصورة عن حياة الغوص او حتى تقترب الصورة الى الواقع ، لابد ان نشير الى قطاع آخر من العاملين الذين يشملهم مجتمع الغوص ، وهم تجار اللؤلؤ او (الطواويش) الذين يطوفون بمراكبهم الصغيرة على سفن الغوص لشراء بعض كميات اللؤلؤ التى يرغب النوخذا فى بيعها قبل انتهاء الموسم ، ووصول السفن الى البر(٣) .

---

١) نقلت وصف الادريسى للغوص من كتاب الغوص على اللؤلؤ لعبدالله يوسف الغنيم ، الذى نقله بدوره من كتاب السندباد القديم للدكتور حسين فوزى ص١٤٦ ـ ١٤٩ .

(٢) تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ابن بطوطة ص٢٧٩ .

(٣) ينقسم الطواويش من حيث قدرتهم المالية الى ثلاث طبقات ، الاولى وهى التى تقوم برحلات غوص خاصة ، وتتعامل مع الاسواق الخارجية ، والثانية تشترى اللؤلؤ عن طريق قيامها برحلات بحرية لمصائد اللؤلؤ ، والثالثة وهى التى تشترى كميات متواضعة من البحارة العائدين فى نهاية موسم الغوص .



● تاجر لؤلؤ يعاين بضاعته

وهناك بعض الاعراف التى تحكم علاقة الطواشين وباعة اللؤلؤ على ظهر مركب الغوص اثناء عمليات فلق الاصداف ، او فى حالة تواجد طواش آخر على ظهر السفينة . ووجوب التزام الطواش بسرية الاسعار التى عرضها على النوخذا .

وهناك طائفة اخرى من رجال البحر ، مهمتها تزويد سفن الغوص بالمياه الحلوة خلال فترة الغوص ، ويطلق على هذه السفن (الراوية) ، والعادة انه عندما تحتاج سفينة الغوص الى الماء ، تقوم بتعليق قطعة من القماش فى احد الحبال ، وذلك كاشارة منها (للراوية) عن حاجتها الى الماء .

والاخطار التى يواجهها الغواصون لاتعد ولا تحصى ، فبالاضافة الى اصابتهم الحتمية بداء الرئتين (السل) واحتقانهما بسبب برودة الماء فى القاع والرعيف ، الا ان هم الغاصة الاكبر ، هو حيوان (الدول) .

ولكن ماهو الدول ؟

يقول الشيخ النبهانى (الدول حيوان هلامى لايهتدى فى سيره لجهة ، وانما تقذفه الامواج على وجه البحر ، وهو بحجم الكف او ربما اصغر ، مدور له خيوط طوال نحو ذراع فأطول ، كأنه حرير مشتبك . فاذا لامس هذا الحيوان جسم ابن آدم احرقه حرقا مبرحا ، وربما اعاب الموضع الذى لامسه ولو رفع هذا الحيوان عن الماء ، واصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماء ولم يبق له اثر[1] .

ومن الحيوانات البحرية السامة ايضا . حيوان (اللويتى) ، الذى اذا لامس الجسم احرقه ، وحيوان (الديك) ، الذى يحدث التهابا شديدا فى مكان الاصابة وتنجم عنه آلام مبرحة واحتقان واغماء[2] .

ومن الاسماك الخطرة ، سمك القرش (الجرجور) (GHARCHARIAS GLADIUS) عدو الانسان اللدود ، آكل لحوم البشر ، المشهور بشراهته ونهمه[3] .

وكذلك ذلك النوع من السمك ، المعروف (بابو سيف) (XY PHIAS GLADIUS) الذى يفتك بالغاصة فتكا . اما حيوان (الدقس) او القياطس ، فأغلبها غير مفترس ، اللهم ذلك النوع ، الذى يسمى (القيطس القاتل) فهو بحق وحش البحر الضارى ، الذى لا يرحم ابدا[4] .

---

١) الشيخ خليفة النبهانى ، تاريخ البحرين (ص٢٦) .
٢) الدكتور حسين فرج زين الدين ، الدكتور موسى باسيليوس ، مع الاسماك (ص١٠٦) .
٣) ذات المصدر (ص١٠) .
٤) الدكتور احمد حماد الحسينى ، هجرة الحيوان ص(٣٩) .

فاذا واتاهم الحظ ونجوا من شرور تلك الحيوانات الفتاكة ، فمازال خطر العواصف الجوية يحاصرهم من كل جانب ، ويروى الدكتور (بندركار) عن ذكرياته فيقول :ـ

(فى الساعة العاشرة مساء (١٩٢٥) كانت هناك كارثة فى الطريق ، ففى هذه الساعة المتأخرة تعرضت البحرين والمنطقة المحيطة بها لعاصفة مرعبة ، فاجأت مئات السفن التى كانت راسية فى المغاصات والتى كان الآلاف من العاملين عليها يرقدون فى سبات عميق بعد يوم عمل شاق دون ان يشعروا ببوادر العاصفة فى هذه الليلة المشئومة) .

(وفى الصباح التالى اسرع الآلاف من الرجال والنساء والاطفال الى الشاطىء وقد ارتفع صراخهم وبكاؤهم وهم يحدقون فى البحر فى ذهول دون ان يعرفوا شيئا عن مصير اقربائهم . وقد تلقيت (د. بندركار) تعليمات بالتوجه الى البحر لتقديم المساعدة الطبية وانقاذ من بقى على قيد الحياة . وقد وجدنا مئات السفن طافية فوق سطح الماء ولكننا لم نجد اثرا للضحايا سوى شخصين تعلقا بحطام احدى السفن ، وقد توفى احدهما من التعب قبل ان نصل الى الميناء . وقد بلغ عدد الغرقى حسب التقديرات المعتدلة خمسة آلاف شخص . وقد ظل مكتب البرقيات مشغولا لمدة اسبوع دون توقف فى ارسال واستلام الرسائل من والى اقارب العمال الاجانب)(١) .

وهكذا يستمر هؤلاء الرجال مدة اربعة شهور على هذا المنوال ، يتعب البحر وهم لا يتعبون ، ويمل الصبر وهم لا يملون ، معزولين عن العالم ، مخلفين وراءهم بيوتا انهكها الشوق خاوية من الرجال ، لاتقع اعينهم الا على البحر والسماء ، تجمد اطرافهم برودة قاع البحر العميق ، وتكوى جلودهم شمس اغسطس الشديدة الحرارة ، يعيشون على التافه من الطعام ، حتى لايؤثر الشبع فى قدرتهم على الغطس ، يتعرضون فى كل لحظة الى خطر مهاجمة الاسماك المتوحشة القاتلة مثل الدول وابوسيف والجرجور . ولا يفكرون الا فى كيفية تأدية ديون التسقام والسلفة التى تحاصرهم ولا يجدون منها فكاكا .

---

(١) مقال بعنوان دكتور بندركار (٣٠) عاما فى البحرين ، جريدة «اخبار الخليج» الصادرة فى ١٥ ابريل ١٩٨٨ .

هذا هو قدرهم ، ولنا بعد هذا ان نتصور حالتهم الاجتماعية والنفسية والصحية[1] .

ولايجافى الواقع ، ولايجانب الحقيقة القول انه لايوجد او لايمكن ان يوجد عمل فى الدنيا كلها ، اكثر قسوة وابلغ قهرا من صيد اللؤلؤ فى الخليج العربى[2] فمهنة الغوص بالنسبة للغواصين والسيوب هى العبودية سواء بسواء .

وبعد مضى مايقارب الاربعة اشهر على الركبة ، جرت العادة ان يعلن حاكم البحرين انتهاء موسم الغوص ، ويبدأ البحارة فى الاستعداد للعودة ، العودة للاحبة .

ويرتفع صوت النهام بالغناء خلال البريخة ، اى عند رفع المرساة من قاع البحر عائدا الى البر ، كما كان يفعل قبل اشهر وهو يرفعها متجها للمجهول :

شلنا واتكلنا على الله ربى عليك اتكالى
عزيت يامن لك الملك كريم وتعلم بحالى
علمت فى سود الليالى بالوذ بك يا محمد
باشكى لك عما جرى لى مسكين وانا مسكين

ويعرف هذا اليوم بيوم (القفال) .

وعلى البر يكون هذا اليوم اشبه ما يكون بايام الاعياد ، حيث تتزين النسوة وتتعطر ، ويلبس الاطفال اجمل مالديهم من ملابس ، ويحمل الرجال الطبول والدفوف ويسيرون زرافات ، متجهين صوب (السيف) يستقبلون الرجال المولودين من جديد ، القادمين من المجهول .

وعندما يصلون الى البحرين ، ويلتم الشمل ثانية ، تدب الحياة من جديد وتنشط حركة البيع والشراء وتعود النهاية لتلتحم بالبداية .

وبعد العودة ، يجتمع كل يوم تجار اللؤلؤ من ممولين لرحلة الغوص ومن طواويش ، ومن نواخذة في المحلات التجارية (العمارات) والمقاهي ، يتناقشون ويتحادثون عن اللؤلؤ وعن العروض وعن الاسعار .

---

١) راجع الدراسة القيمة التى وضعها صديقى المرحوم الدكتور علي تقى عن الغوص فى اطروحته التى حصل عليها درجة الدكتوراة من بارس L' EVOLUTTON DE LA , SOCIATE DU BAHREIN

٢) THE ARAB OF THE DESERT, H.R.P. DICKSON, PAGE 485 .

ولايمثل استهلاك اللؤلؤ المحلى ، الا نسبة بسيطة لاتكاد تذكر من الناحية الاقتصادية فاغلب الكميات المصادة تأخذ طريقها الى الهند لتخريمها وسبكها .

ومن وكر الذكريات بومبي ، تذهب ثانية الى اوروبا ، وبالذات الى باريس عاصمة فرنسا ، التى تعتبر اكبر سوق تجارية لتسويق اللؤلؤ .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاخيرة وارتفعت صفارات الانذار تملأ الدنيا طنينا ، وتعذرت طرق المواصلات ، واصبحت غير آمنة ، اضطر التجار ان يبقوا كميات هائلة من اللؤلؤ فى البحرين ، ولما كان ترك اللؤلؤ الطبيعى هكذا بدون تخريم ، يعرض اللؤلؤة للكسر من الداخل ، لذا فكر بعض تجار اللؤلؤ فى استقدام خبير من الهند ، ليقوم بعملية التخريم وسبك العقود .

ومع الزمن تطورت عملية تنظيم العقود وسبكها ، فبعد ان كانت عقود اللؤلؤ تتألف من خيط واحد فقط ، تطورت فاصبحت تتألف من خيطين ثم من ثلاثة واحيانا من اربعة خيوط ، واستطاع هذا الخبير الهندى ، ان يستعين بالذهب ليشكل عقودا ذات اشكال جذابة من اللؤلؤ والذهب ، كالعقد الذى يتوسطه السيفان السعوديان المتقاطعان ، او العقد الذى يمثل النخلة التى تتدلى منها سعفتان ذهبيتان رقيقتان .

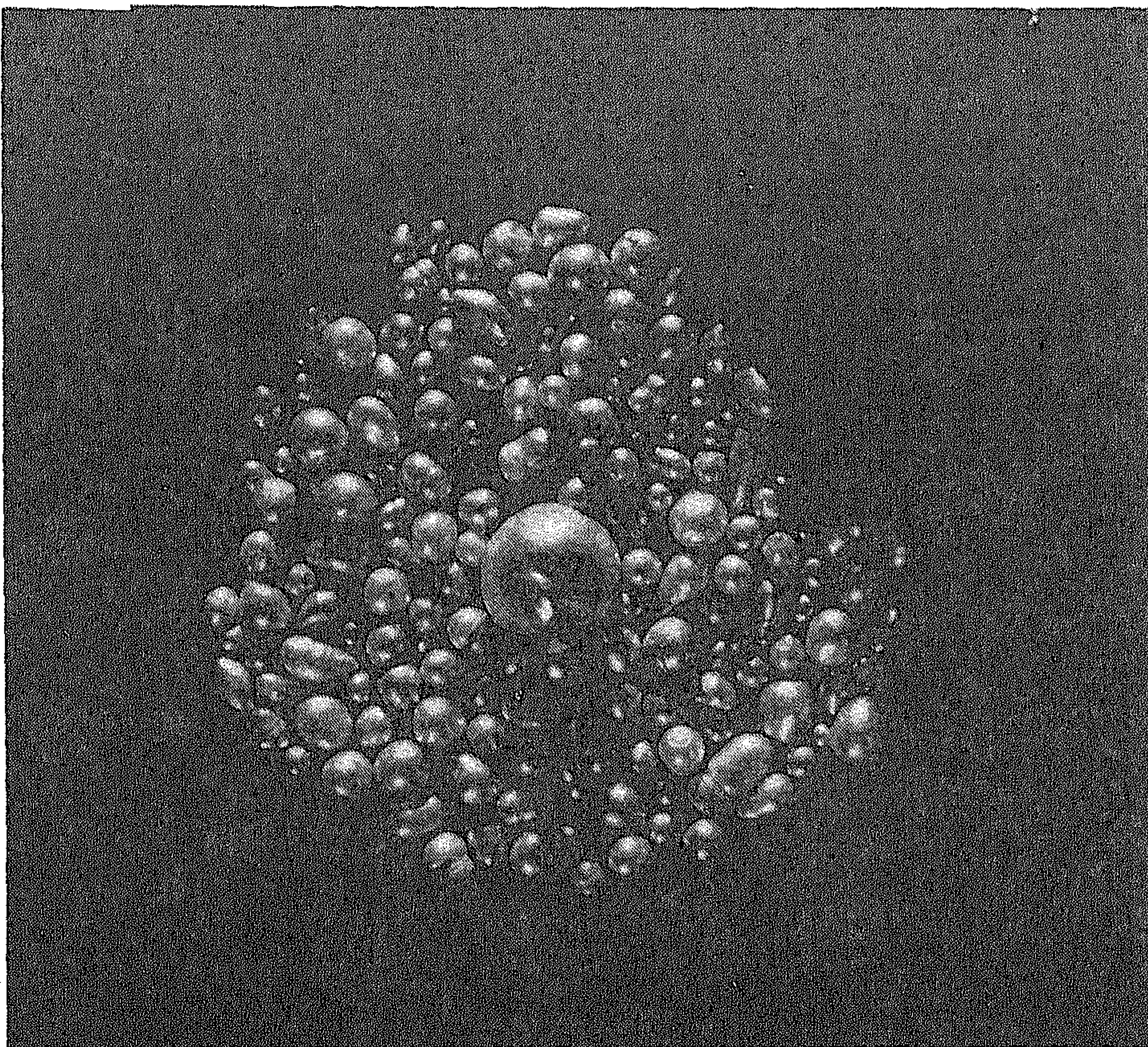
وبعد ان اصبحت تجارة سبك وتنظيم العقود وبيعها ، عملية تجارية مربحة ، خاصة بعد اتساع اسواق بيعها ووصولها الى المملكة العربية السعودية ، والامارات العربية المتحدة الاخرى حضر الى البحرين اكثر من خبير هندى مختص فى رصف اللؤلؤ ونظمه ، حتى وصل عدد خيوط العقد الواحد ، اكثر من عشرين خيطا يستعمل الحرير الطبيعى فى (فتلها) .

انواع اللؤلؤ :

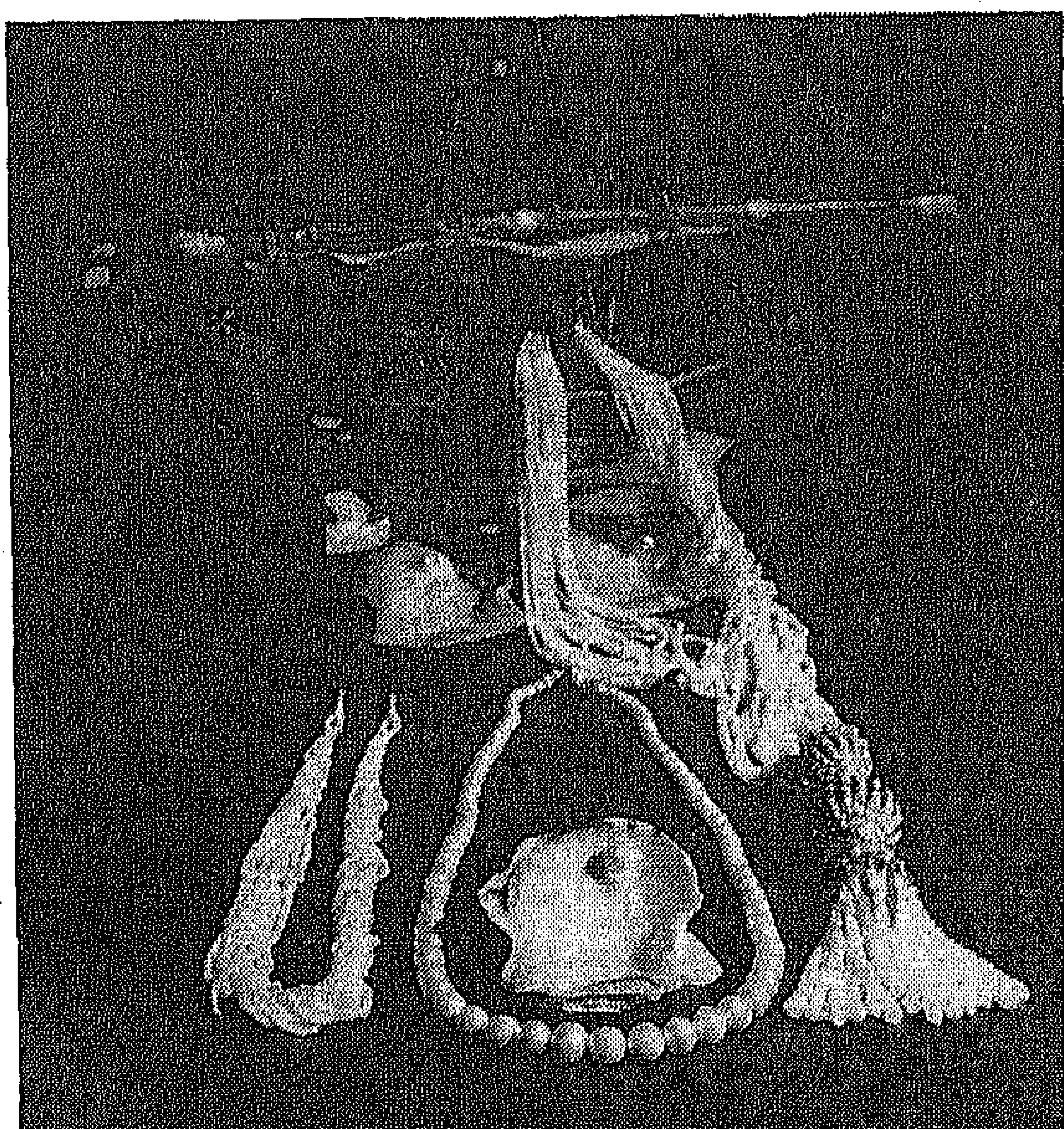
يمكن القول بصفة عامة ، بان هناك نوعين من المحار ، الذى يحتمل ان يحتوى على اللؤلؤ ، والنوعين هم المحارة العالقة والمحارة الحرة ، والعالقة هى تلك المحارة التى بداخلها لؤلؤة لاصقة فى صدفة المحارة ، ومن الصعب استخراجها بدون كسر المحارة .

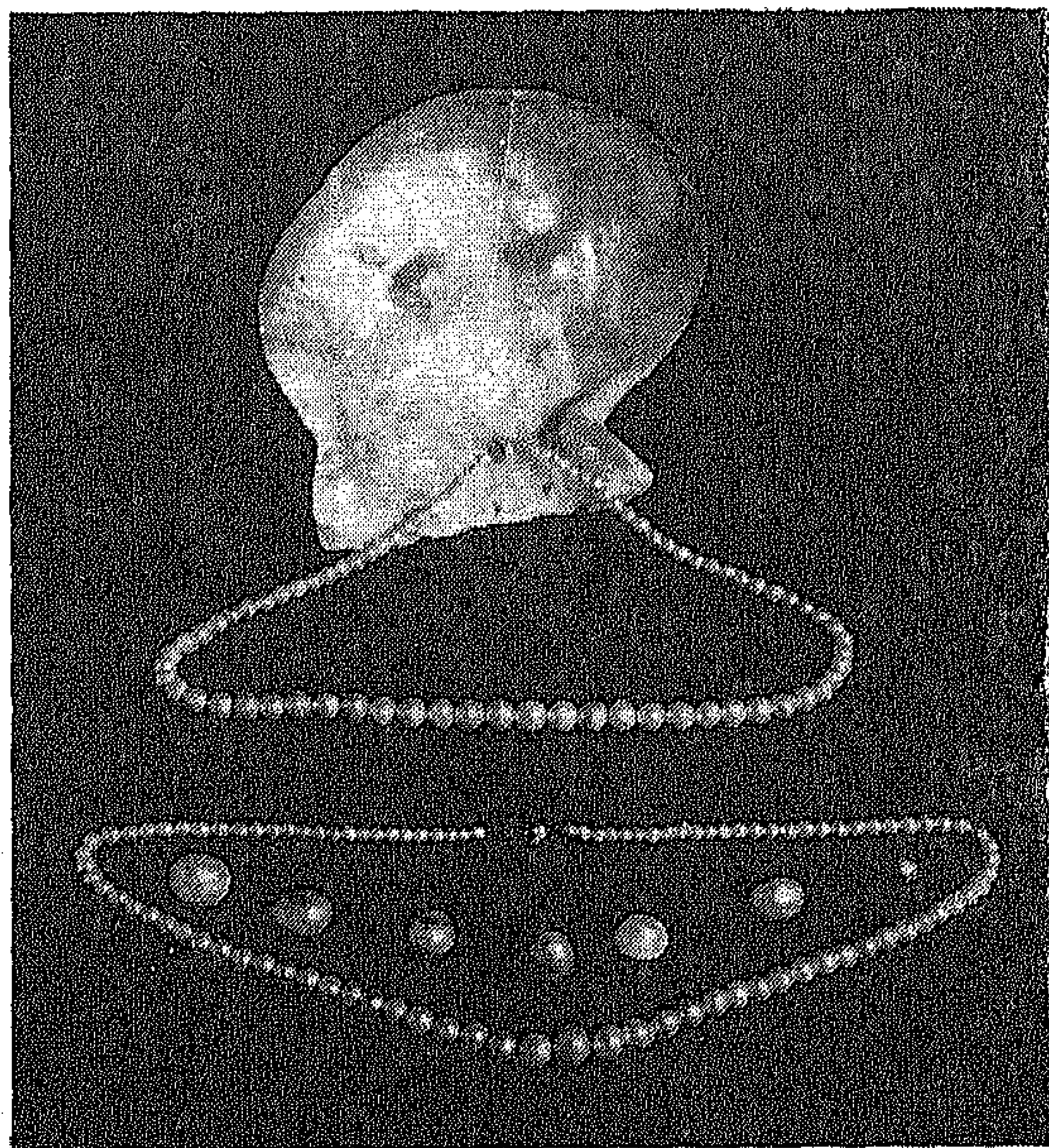
اما المحارة الحرة ، فهى المحارة التى بها لؤلؤة ولكن لؤلؤتها تكون مخبأة فى جوف حيوان المحارة .

وليست انواع اللؤلؤ كلها فى مستوى واحد . فهناك النادر كاللؤلؤ الاسود والابيض المشرب بحمرة اذا كانت استدارتهما كاملة مثلا ، وهناك اللؤلؤ الغالى كالجيوان .



● أنواع من اللؤلؤ البحريني





ويتحدد ثمن اللؤلؤ بالنظر الى عدة عوامل ، منها اللمعان والحجم والشكل واللون والصفاء والبهاء ورطوبة الملمس .

وما اذا كانت اللؤلؤة رأسا او بطنا او ذيلا او سحتيتا .

ولهذا فان تجار اللؤلؤ يعمدون إذا ما أرادوا تجميل اللؤلؤ فيضعونها في مخلوط مركب من الهيدروجين ببروكسيد مع محلول الايتر ثم يعرضون حبات اللؤلؤ بعد اخراجها من هذا الخليط الى ضوء الشمس لعدة ايام ، وذلك من اجل اعطائها لونا براقا متجانسا وحتى يكون العقد متناسقا من ناحية اللون .

ويمكن تقسيم اللؤلؤ من حيث النوع الى :ـ

الجيوان :

وهى تلك اللؤلؤة الاصيلة الغالية الثمن ، الكبيرة الحجم ، الكروية الشكل ، الجميلة المظهر ، ذات اللون الابيض الناصع المشوب باللون الوردى الفاتح ، اللؤلؤة ذات البريق المنبعث من مركزها ، وهذا النوع من اللؤلؤ هو اجود الانواع .

اليكة :

وهذا النوع من اللؤلؤ لايعتمد فى اصالته وجودته على كونه كروى الشكل ، وانما المقياس بالنسبة اليه هو لونه الزاهى الآخاذ الذى يخطف البصر من اول وهلة

وهذا النوع يأتى بعد الجيوان فى الجودة .

ومن هذا النوع عدة اسماء منها ، عدسى وطبلى .

القولوه :

وهو يأتى فى الترتيب بعد الجيوان واليكة من حيث الجودة والاصالة

البدلة :

يميل بعض الانواع منه الى الزرقة ، او الاحمرار .

الخشرة :

هى والسحتيت من أرادأ انواع اللؤلؤ .

ومن حيث الحجم الى :

الدانة :

هى اكبر الانواع ، وهى هدف لجميع الغواصين ومطمح كل نساء الدنيا ، لجمالها ولارتفاع ثمنها . وكم اخذت من ارواح ، وكم من قصص وحكايات نسجت عليها .

الحصباة :

تأتى بعد الدانة من حيث الحجم .

البطن :

هى اصغر من الحصباة واكبر من (الذيل)

الناعم :

وهو اللؤلؤة ذات الحجم الصغير ، وهى ايضا على اربعة انواع ، الجيوان ، واليكة والقولوه ، والبدلة .

اما اصغر الانواع فيه «البوكة» .

واللؤلؤ الطبيعى له اوزانه الخاصة به ، وهى اوزان معقدة يصعب حتى على اصحاب الاختصاص معرفتها .

فهناك مثل المثقال والرتى والجو والدوكرة والبدام والمزور .

والرتى جزء من اربعة وعشرين جزءا من المثقال ، والرتى الواحد يعادل نصف جو وسبع دوكرات ، والجو يعادل مائة دوكرة ، والدوكرة مائة بدام ، والبدام ، مائة مزور (كوم فجج) !!

اللؤلؤ الإصطناعي :

فى مجال الحديث عن اللؤلؤ الإصطناعي ، يجب بداية وقبل كل شىء التفرقة بينه وبين اللؤلؤ المزروع ، وذلك لأن اللآلىء التى تتكون بإتباع طريقة زراعة اللؤلؤ لاتختلف إطلاقا عن اللالىء الطبيعية ، التى تتكون بفعل الطبيعة وبدون تدخل الإنسان .

ويمكن القول أن اليابانيين هم أول الشعوب التى عرفت ماهية الأسباب والظروف التى تؤدى إلى تكّون اللؤلؤ داخل حيوان المحار ، ونتيجة لذلك عملت على إستغلال هذه الظاهرة ، وحصلت من ورائها على أرباح لاتقدر .

والواقع أن اللؤلؤ المزروع ، لايختلف فى شىء عن اللؤلؤ الطبيعي ، كل ما فى الأمر ، أن القائمين على صناعة اللؤلؤ المزروع ، لا يعتمدون على الصدفة أو الحظ وحدهما ، لكي يدفعا بحبة الرمل أو الأجسام الغريبة للدخول فى جوف المحارة ، بل يعمدون هم أنفسهم إلى أحداث هذه الظاهرة الطبيعية عن طريق إستخدام الأساليب الصناعية .

وتتبع فى صناعة اللؤلؤ المزروع العمليات التالية :

يجمع المحار الصغير الذى لايزال فى طور التكوين فى أماكن مخصصة لتربيته ، ويطلق على هذه الأماكن (مزارع اللؤلؤ) .

بعد أن يجمع المحار ويربي تجرى عليه عمليات جراحية غاية فى الدقة ، وذلك لإدخال الأجسام الغريبة فى جسم حيوان المحارة ، ثم يخيطون مكان الجراحة ، وتترك بعد ذلك المحارة لتنمو وتكبر ، ويشترط فى القائمين بهذه العمليات الجراحية أن يكونوا فى منتهى المهارة ، لأن أى خطأ بسيط يؤدي إلى موت حيوان المحارة ، وبالتالى إلى فشل العملية .

بعد إجراء هذه العملية الجراحية ، ينقل المحار إلى أماكن خاصة تتوفر فيها ذات الظروف الطبيعية اللازمة لتكون المحار الطبيعي ، أى نفس الظروف الطبيعية التى تتوافر فى (الهيرات) ، كدرجة الحرارة ونسبة الملوحة والضوء ونوعية الغذاء وقوة التيارات المائية .

بعد إدخال الأجسام الغريبة فى جوف المحار ، يبدأ حيوان المحار فى إفراز المادة اللؤلؤية حول هذه الأجسام ، لحماية نفسه والدفاع عنها ، وبمرور الوقت تتكون اللؤلؤة من هذه المواد التى أفرزها الحيوان .

هذه هى الخطوات أو الخطوط الرئيسية التى تتم على أساسها صناعة اللؤلؤ المزروع ، أما التفاصيل فما زالت مجهولة ، لايعلمها إلا العلماء ورجال المال فى اليابان ، وهذه التفاصيل تعتبر بالنسبة لليابان من الأسرار القومية[1] .

أما اللؤلؤ الإصطناعي ، فبالرغم من تشابهه من حيث الشكل مع اللؤلؤ الطبيعى ، ومن هذه الفروق أن قشور اللؤلؤ الإصطناعى ، تذوب فى محلول (الإسيتون) أو (خلات الأميل) ، كما أنها قابلة للإشتعال ، بعكس الحال بالنسبة للؤلؤ الطبيعى ، بالإضافة إلى ذلك نجد أن اللؤلؤ الطبيعي يذوب فى الأحماض ، ولا تحدث هذه الظاهرة بالنسبة للؤلؤ الإصطناعى .

---

(١) علم الحيوان العام ، ألفته نخبة من أساتذة الجامعات فى مصر ص ٦٢٢ .

إن إرتفاع أثمان اللؤلؤ الطبيعي ، هو الذى دفع العالم الفرنسى (جاكوين) في منتصف القرن السابع عشر ، إلى البحث عن بديل إصطناعي للؤلؤ الطبيعي ، حتى يكون فى متناول أصحاب الدخل المحدود .

فقد إستطاع هذا العالم بعد عدة تجارب أجراها العثور على المادة البراقة التى يتميز بها اللؤلؤ الطبيعى من الأسماك الصغيرة التى تعيش على المياه العذبة ، واستخرج من هذه المادة البراقة محلولا ، ثم طلى به كرات صغيرة من الشمع ، وكانت النتيجة مدهشة ، فقد حصل على كرات لؤلؤية صغيرة قريبة الشبه من حبات اللؤلؤ الطبيعي .

وبعد (جاكوين) إكتشف العلماء ، ان هذه المادة البراقة ، لم تكن سوى مادة (الجوانين) الموجودة داخل جسد السمكة فى شكل بلورات .

ولا تصلح مادة (الجوانين) لإنتاج اللؤلؤ الإصطناعي ، إلا إذا كانت فى حالة بلورة ، ويطلق عليها وهي فى تلك الحالة (روح اللؤلؤ) .

وتعمل حبة اللؤلؤ الإصطناعي من كرات زجاجية ، مجوفة أو مصمتة ، وتطلى الكرة الزجاجية المجوفة من الداخل فقط ، بمخلوط روح اللؤلؤ والجيلانين والجوانين ، أما الكرة الزجاجية المصمتة فتطلى من الخارج فقط ، بروح اللؤلؤ ومادة (السليولويد)[1] .

أمثلة لأمثال بحرية[2]

إن كانك بارح[3] أنا صالح .
اللي ماله صدر[4] ماله تفر[5] .

---

(١) الدكتور محمد رشادم الطوبي ، ألوان من أحياء البحر ، ص ٤٧ .

(٢) راجع على الخصوص كتاب (أمثال البحرين الشعبية ، النظرية والتطبيق ، لصلاح علي المدنى ـ الصفحات ٢٥٩ ـ ٢٩٩) .

(٣) البارح رياح موسمية تهب فى بداية الصيف الذى يصادف نهاية موسم الغوص ، وتستمر هذه الرياح ما يقارب الأربعين يوما ، وتسبب هياج البحر ، وللبارح عدة أسماء منها بارح الثريا ، وبارح الجوزاء ، والبارح الكبير ، وبارح السرايات .

(٤) صدر : هناك تعبيران ، أحدهما ميل صدر وهو مقدمة السفينة ، صدر، وهي عبارة عن سطحة في مقدمة السفينة تحميها من الأمواج التى تنكسر عليها ، وتعود ثانية إلى البحر .

(٥) أو ميل تفر وهي مؤخرة السفينة ، والكلمة عربية الأصل .

أما طلع[١] وإلا طبع[٢] .
أقول له يوش[٣] يقول دامن[٤] .
الحق[٥] وطبع .
البار[٦] على البيوار[٧] .
إذا طبعت دوس[٨] على تريجها[٩] .
ما يطوف[١٠] قال إنسع[١١] .
راسه في الجمة[١٢] ويقول هدوني[١٣]
يوم ما غرقنا في بحر ستين ، مانغرق في بحر ستة .
خله[١٤] على يوشه .
البحر سلطان ، وكل در له بندر[١٥] .
قبيل[١٦] وماشي[١٧]

---

(١) طلع : والمقصود هنا سلم أو خرج سالما من البحر .
(٢) طبع : أى غرق : وسنة الطبعة ، هي السنة التي حدثت فيها الطبعة الكبيرة التى توافق شهر سبتمبر من عام ١٩٢٥ . وهي سنة يؤرخ بها .
(٣) يوش : أو الجوش والكلمة عربية بمعنى الصدر . ولكن المقصود هنا هو الحبل المثبت فى طرف شراع السفينة عند مؤخرة السفينة . كما أن اليوش إصطلاح يطلق على نوع من الريح التى تكون مناسبة للشراع . أو تطلق على الرياح المفاجئة .
(٤) دامن : أحد أطراف الشراع .
(٥) الحق : إتبع ، إلحقنا بمعنى إتبعنا إن كان هذا بإمكانك .
(٦) البار : كلمة أعجمية بمعنى القوة .
(٧) البيوار : هو حبل يستعمل لرفع الشراع وتثبيت الدقل ، ويكون الإعتماد عليه أساسيا فى حالة هبوب الرياح عندما يكون أغلب الثقل والضغط عليه .
(٨) داس : وطأة بقدمه .
(٩) التريج : هو إحدى حافتي السفينة .
(١٠) يطوف : يمر .
(١١) نسع : وسع له الطريق أو إترك له فسحة لكي يمر .
(١٢) الجمة : مياه البحر عندما تتسرب إلى داخل السفينة وفي اللغة هي البئر غزيرة المياه .
(١٣) هدوني : إتركوني . وحزة الهدة هي ساعة أو وقت الإنصراف من المعلم .
(١٤) خله : إتركه ودعه في شأنه ، ولا تتدخل فى أموره .
(١٥) بندر : الكلمة أعجمية تعني الميناء أو المرفىء ومرسى السفن .
(١٦) قبيل : تصغير مقابل أو معاكس ، والمقصود هنا قابلة .
(١٧) ماشي : سائر ، ولكن المقصود هنا ليس السير العادي ، وإنما السير الراكض .

اصبر والحجر[١] توديك[٢] .
اللي يطلب العالي يصبر على الراش[٣] .
قطرة على قطرة تصير غدير .
صامت شتيه[٤] على ما بها .
الشيص[٥] فى الغبة[٦] حلو .
البحر سبعة والعتاد[٧] سبعة .
المجاوش[٨] ولا العباط[٩] .
وين[١٠] ما أمسي أرسي .
يغني المرافق[١١] .
إذا صكت[١٢] الحلقة لبطان[١٣] ، قال يمه[١٤] الحقيني .

---

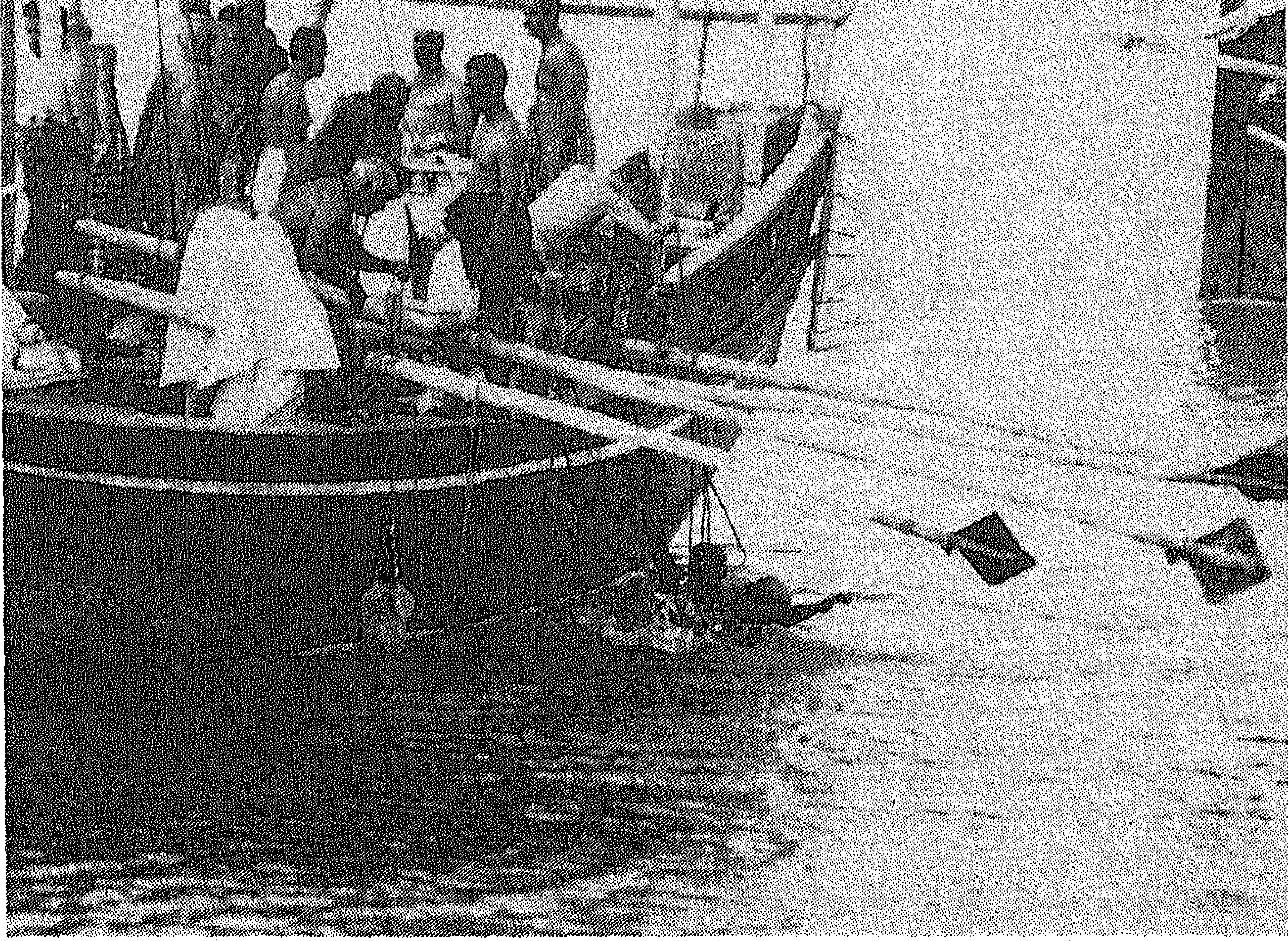
(١) الحجر : أو الحجرة وهي عبارة عن قطعة من الحجر أو الرصاص ، يربطها الغيص في أحد رجليه لكي تسرع إنزاله إلى المواقع العميقة فى البحر ، ولاتستعمل الحجرة بالطبع في الهيرات الضحلة أو الطفيحة .
(٢) توديك : تأخذك وتوصلك إلى ماتريد ، أى الحجر ، ودي الشيء نقله من هذا المكان إلى مكان آخر .
(٣) الراش : هو رذاذ ماء البحر ، والرش في اللغة هو المطر القليل والجمع رشاش ويقال طشان ، والطش والرش تعبير معروف متداول .
(٤) شتيه : إسم لأحد هيرات البحر ، مشهورة بكثرة محار اللؤلؤ .
(٥) الشيص : نوع من البلح الرديء اليابس بسبب عدم تلقيح النخلة ، وهو ثمرة النخلة المهجورة .
(٦) الغبة : هو أعمق المواقع فى البحر حيث يختفي القاع ولا يبين . وفي الغبة لاتظهر الأشياء بوضوح بسبب عمقها وعدم دخول أشعة الشمس .
(٧) العتاد : هو الحبل الذى يشد فى مقدم السفينة فى خشبة الهلب عندما ترسو السفينة .
(٨) المجاوش : إصطلاح بحري ، ويستعمل إذا كانت الريح تأتي من الجهة المواتية حيث يقوم النواخذا بتغيير إتجاه المركب مرة على اليمين ومرة على اليسار حسب الوضع .
(٩) العباط : التعطيل عن العمل أو البطالة بتعبير هذه الأيام .
(١٠) وين : أين .
(١١) المرافق : البحار أو الغواص الذى يترك مركبه الأصلى لسبب من الأسباب ويلتحق بمركب آخر ، خلال رحلة السفر أو الغوص .
(١٢) صكت : ضاقت أو أغلقت أو أحيانا وصلت ، ويقال صك الباب أي أغلقه .
(١٣) البطان : حزام من الحبال .
(١٤) يمه : هذه الكلمة مركبة من كلمتين ، يا ومه ، والياء هي ياء المنادي ، ومه تعني أمي ، ومن تركيب الكلمتين إلى كلمة واحدة أصبحت ياأمي .

كط[1] الخيط وعلى الله الصيد .
ويش[2] لك بالبحر وأهواله ورزق الله على السيف[3] .
حماله[4] على السطحه[5] .
لايغرك[6] شراعه ، تراه[7] سماري[8] .
ماخذنا[9] بشراع وميداف[10] .
يجاوش[11] بخصفة[12] .
يحيس[13] العاجبة[14] .
يمشي فى بحر باع[15] ويدلخ[16] فى بحر عشرة
خلايصي[17] مايتكلم .

---

(١) كط : أو قط بمعنى أرمي .
(٢) ويش : أى شيء وهي هنا تعني ماذا ؟
(٣) السيف : هو ساحل البحر وجمعها أسياف ، والكلمة عربية .
(٤) حماله : مايحمله معه أو متاعه وأشياؤه ، وما يكنه فى صدره .
(٥) السطحه : المقصود هنا سطح أو ظهر السفينة .
(٦) لايغرك : لايخدعك ، وإغتر بالشيء أى خدع به .
(٧) تراه : تأتي بمعنى إذن فأعلم أو فليكن فى علمك ، مثل قولك (ترا تونه جايين) .
(٨) سماري : جريان السفينة أو غيرها من الأشياء على غير قصد . أو عندما يجرفها التيار .
(٩) ماخذنا : هنا تعني مسيطر ومهيمن علينا .
(١٠) ميداف : مجداف والكلمة عربية فصيحة .
(١١) يجاوش : هو إمالة شراع السفينة ذات اليمين وذات الشمال ، مع إتجاه الريح المناسبة لوجهة السفينة .
(١٢) خصفة : قطعة من حصير قديم بالي . وفى اللغة الخصفة هى الجلة التى تعمل من خوص النخل للتمر . وجمعها خصف وخصاف .
(١٣) يحيس : يلف الحبال أو يفتلها .
(١٤) العاجبة : حبل المرساة أو الباورة .
(١٥) باع : مقياس يعادل ستة أقدام ، وهو بالضبط المسافة الواقعة بين أطراف اليدين ، ويستعمل هذا المقياس لمعرفة عمق البحر .
(١٦) يدلخ : يعكر الماء بالطين فى حالة المشي فى البحر ، مدلخ أى عكر . وفى اللغة دلخ تعني مشية غير طبيعية كمن ينوء بحمل ثقيل .
(١٧) خلايصي : خلايص وتعني بحار .

كسوة[١] منجي[٢] .
دفعة[٣] مردى[٤] والهوا شرقي .
يغطسك[٥] في البحر ويطلعك[٦] يابس .
وأخذوا كلاطتي[٧] وسموني[٨] نوخذا[٩]



● رحلة الغوص على اللؤلؤ

---

(١) كسوة : كساء ، والمقصود بها هنا شراع السفينة .
(٢) منجي : نوع من أنواع السفن الهندية .
(٣) دفعة : شربة مردى أو ضربة مجداف على صفحة ماء البحر .
(٤) مردى : القصبة التي تستعمل لدفع المراكب حين تكون فى المياه الضحلة ، وغالبا ماتستورد هذه القصبة من شرق أفريقيا ومن الهند .
(٥) يغطسك : يدفع بك أسفل سطح البحر ، ويقال أحيانا أخرى يطمسك .
(٦) يطلعك : يخرجك من البحر .
(٧) كلاطه : هي قلاطة وهي عبارة عن مستحقات البحر .
(٨) سموني : أطلقوا عليّ إسم .
(٩) نواخذ : ربان السفينة والمسئول عن رحلة الغوص أو السفر .

من الحكايات الشعبية :

بعد أن ينهي البحارة عشاءهم ، المكون في أغلب الأحوال من المحمر والسمك المشوي ، مع الدهن العداني يبدأ القصاص فى سرد القصص عليهم ، يقول القصاص :

ياعاشقين النبي صلوا عليه .

فيرد المستمعون :

صلوا وسلم عليه .

يقول القصاص :

كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان ، إمرأة يقال لها (أم صالح) وعندها ولد كسلان وعاجز عجز ومن كثرة كسله مايكش الذبان من على وجهه ، يعني بالعربي الفصيح تمبل . وكانت أمه تسأل الإحسان من الجيران وتطعم ولدها الكسلان مما تجود به أنفسهم ، ويأكل وهو نائم على جنبه من الكسل . وعجزت الأم من هذه الحالة وهي تسأل وتطعم الولد الكسلان ، حتى جاءتها فكرة فى يوم من الأيام أن تودي ولدها إلى وادي التنابلة وتستريح من أذاه .

فلما أصبح الصباح قالت أم صالح : ياإبني أبغي أوديك إلى وادي التنابلة ، وإلا روح إشتغل وريحني وألا شتقول يا ولدى . فقال صالح أنا أجوف إنك تودينى وتستريحي أحسن ، فأنا ما مني فايدة ولا عايدة ومالي علاج .

فأخذته أمه إلى زعيم التنابلة وقالت له : يارئيس أريد أن أعلم إبني مهنة التنابلة ، فقال لها سمعا وطاعة .

فنادى رئيس التنابلة صالح وقال له أجلس ، فجلس صالح بدون تفكير تحت إحدى أشجار النخيل فى وادي التنابلة ، وبينما هو جالس سقطت رطبة على برطمه ، فصرخ صالح وقال لرئيس التنابلة أنقذونى أنقذوني أرجوكم أن تدفعوا الرطبة إلى حلقي .

فصاحت جميع التنابلة ، صالح دارس التنبلة من زمان ولا له مكان عندنا .

وقام رئيس التنابلة وأعطاه شهادة التخرج بدرجة تنبل من الدرجة الأولى ، فأخذ صالح الشهادة وأخذ يهيم فى الشوارع .

فلما دارت السنة جهز أهل البلد أنفسهم لحج بيت الله الحرام ، فتوجهت أم صالح إلى كبير الحملة وقالت : يا أبو محمد طالبة منك أنك تأخذ وياك ولدي صالح صبي ، ربما يجعل الله على أيدك خير للولد .

فقال كبير الحجاج لأم صالح : على هذا الخشم ويا هلا ويا مرحبا يا أم صالح وإعتبري صالح ولد من أولادي وأنا ممنون يجي ويانا . فذهب صالح إلى بيت امعزبه في الديوان وإشترى الحزام والنعال والعصى وأخذ يستعد للحج ، فلما تكامل الحجاج وأرادوا التوجه قال صالح لأمه سامحينى يا أمي إذا شفتي مني تقصير وأدعي لي فى صلاتك لأن دعوة الأم مستجابة .

ولا نطول عليكم السالفة . سار الحجاج في الصحراء ونقص عليهم الماي وأصابهم عطش شديد . وهم فى الطريق رأوا بير ماي فأنزلوا الدلو فى الجليب فلما أرادوا جره لم يستطيعوا إخراجه .

فقال كبير الحملة من فيكم يقدر ينزل الجليب ويفك شربكة الدلو ، فقال صالح أنا ياعم ، فنزل صالح إلى البير فرأى رؤيا عجيبة غريبة ، شاف رجال من أحسن الرجال جالس فى البير وعلى يمينه إمرأة سمرة وعلى شماله بنت تهبل وتميل وتخلي القلب خاشع وذليل ، فتعجب صالح وقال : سلام عليكم ياحضرة السادة ، فقالوا وعليكم السلام ياغلام ، فقال له الرجل شلذى نزلك يا ولد فى البير .

فقال صالح ياسيدى نحن جماعة حجاج ، وقاصدين بيت الله الحرام وخلص علينا الماي مثل ماتشوف فوردنا هذا البير المبارك ونحن ضيوف عندكم .

فقال السيد طيب ، أي أحسن عندك ، هذي البنت الجميلة وإلا هالعبدة .
فقال صالح ، الحق أن أطيب الزاد ما تهوى النفس .
فقال له السيد إسقي ياإبني فسقت الأباعر وشربت الناس وإستأنست ، وأمر صاحب الحملة أن يذبحوا الذباح ويعملوا الغذاء . فلما أراد صالح أن يخرج من البير ، قال له الرجل : مهلا ياغلام فقال صالح مرحبا ياعم ، فنهض الرجل وغاب دقيقة ثم رجع وبيده ورقة ملفوفة ناولها صالح وقال له خذ هذه هدية مني .

فقال صالح شكرا ياعم ومسكها بيده وبعد أن خرج من البير أخذ جميع الحجاج يستبشرون فيه ويقولون إبشر بالهدية . وأصبح صالح من هذا اليوم معروفا بالشجاعة . فحط صالح المال والرقية فى خرْج وأمَّنهم كبير الحملة ، ثم واصلوا السير حتى صادفوا جماعة متوجهة إلى بلدة صالح فأعطاهم صالح الخرج وطلب منهم أن يوصلوه إلى أمه .

فلما وصلوا لمدينة صالح سلموا الخرج والرقية إلى أم صالح ، ففرحت فرحا كثيرا وعرفت بأن إبنها صار شجاعا ، ودارت على بيوت الجيران واحدا واحدا وأخبرتهم بما أرسله لها صالح من هدايا وما أعطاه الله أياه من هبة ريح .

وفى يوم من الأيام فتحت أم صالح الخرج فوجدت فيه ألف دينار وحمدت الله كثيرا على ما أعطاه إبنها لها من خير وعز وجاه . وفتحت الرقية فوجدتها محشية لؤلؤا ومرجانا . فحطت الخير على البركة واشترت لها قطعة أرض وأرسلت على مهندس وطلبت منه أن يهندس لها أجمل قصر وعلى أحدث طراز وإشترت العبيد .

هذا ما كان من أمر أم صالح ، أما من أمر صالح فإنه أكمل الحج وزار مكة والمدينة وكروا راجعين إلى البلد .

وقبل أن يصل صالح إلى طلايع البلد أرسلت أم صالح العبيد والخدم لملاقاته واستقباله ، فتعجب وقال أكيد هذي طنازة ، فقال العبيد ، طنازة ؟! إستغفر الله ياعم صالح نحن عبيدك وخدمك ، فقال صالح ياسبحان الله ، هل صحيح أنا عندي عبيد وخدم ، إن هذا من فضل ربي . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، الحمدلله أنه جعلني شجاع وغني بعدما كنت تمبل وكسلان .

ولما وصل صالح إلى أمه قبل يديها وإستقامت الأفراح ثلاثة أيام ، الذباح يذبح ، والطباخ يطبخ ، والنفاخ ينفخ . وخلصت السالفة .

أمثله لأغاني بحرية شعبية :

الاغانى الشعبية البحرية نوعان :

نوع يغني فى البحر ، أي أثناء موسم الغوص ويؤدي خلال قيام البحارة والغاصة بأعمالهم ، كغنائهم عند تشوين السفينة أو عند رفع الأناجر من البحر أو عند رفع الأشرعة أو عند التجديف أو خلال عملية فلق المحار ، أو قبل ذهابهم فى سبات عميق بعد يوم عمل طويل .

وهذه أغنية أخرى تغني مع عملية التجديف :

كثر صلاتي وبادي
على شفيع العبادى
وشفاعتك يا محمد
يوم الحشر يا سنادي
يوم الحشر ياشفيعي
ذخري وغاية مرادي
ياغايتي ياهل الدين
حنا ضعاف مساكين
مولاي نظرتك بالعين
توفي ديون علينا
توفي ديون ثقالي
الاوله والتوالي
الاولة أول اللّه
والثانية عبادة اللّه
والثالثة سل السفينة
يجلط على سيف لأول
لو سيف لول غدر بي
غدر بناس كثيرة

والنوع الثاني يغني على البر ولكنه يغني أيضا بمناسبة الغوص ، كأغاني النساء والفتيات على سيف البحر خلال غياب أزواجهن وأحبائهن في البحر أو كالأغاني التى تغني خلال فترة (العباط)[1] بعد إنتهاء موسم الغوص فى الدور المنتشرة فى المحرق والبديع .

وفيما يلي نماذج لأغنيات بحرية من كلا النوعين :
الأبيات التالية تغني عند رفع الشراع :

يااللّه يااللّه يااللّه
يااللّه يااللّه يااللّه
من يوم رجعوا عمامي
جفت عيوني منامى
عطشان والقلب ظامي
من شافني قال لحول[2]
لحول ياوليد مفتاح
يا مواصل البيض بالشاخ[3]
لخضر سباني بدله
عقلي وروحي فدا له

---

(١) العباط : التعطل عن العمل أو البطالة الموسمية .
(٢) لاحول ولا قوة إلا باللّه .
(٣) الشاخ : هو الفضة والكلمة أصلها هندى (جاك) .

والكلمات التالية لزهيرتين يهدهد بهما النهام عواطف البحارة :

ريم وصف لي بطرد حجومها[١] لاله[٢]
مفهومة الجيل بالمبسم سطـر لاله[٣]
بـروس وجناتهـا من الحسن لاله[٤]
عفيا بحجاجير[٥] فوق متونها تنباع[٦]
حرقت ضميري وخلت دمعتي تنباع[٧]
سايلت أنا يامليح هذا الحسن ينباع[٨]
قـالـت نبيعـه ، لكـن مثلكم لالـه

آه على آه وآه على من قربته هملت[٩] ماه
واه على آه على من علته من صديجه
وآه على آه على من طز[١٠] عينه بيمناه
وآه على آه وآه على آه ، وآه أو وآه
مركب غرامي أصفقه موج الأبحـار
سمـر[١١] ولا له بنـدر[١٢] يلتجي له
مكره على الفركه وأنـا مصيبوب[١٣]

---

(١) حجومها : المقصود حجم النهد .
(٢) لاله : تلألأ .
(٣) لاله : لؤلؤ .
(٤) لاله : سراج .
(٥) حجاجير : ضفائر .
(٦) تنباع : تتموج .
(٧) تنباع : ينبع .
(٨) ينباع : يباع .
(٩) هملت : فاضت العيون بالدموع لدرجة يصعب التحكم في إيقافها .
(١٠) طز : دفع بأصبعه إلى عينه بقوة فاحمرت وسالت منها الدموع .
(١١) سمر : في لسان العرب للأمام العلامة ابن منظور أن المسيرية هي ضرب من السفن وسمر السفينة أرسلها ، وأورد الجوهري أن عمر (رضى الله عنه) قال في حديثه عن الأمة :
مايقرر رجل أنه كان يطاطىء رأسه ، إلا الحق به ولدها فمن شاء فليمسكها ومن شاء فليسمرها .
(١٢) بندر : هو الميناء أو الثغر أو مرسي السفن . وأصل الكلمة فارسي .
(١٣) مصيوب : مصاب من فراق حبيب لم يزل بعد غرا صغيرا لا تجارب له ولا خبرة .

ومن أمثلة لحن الفجري الذى يغني في الدور المقطوعات التالية :

أولا :

غـر سلب عقـلي ونحـل حـالي
يوم الثلاثا سرت أنا طـراش[١]
وعند سيفه البدعة هوى بالي[٢]
جنى عـويـد في يـد النجـار[٣]
يضرب بجـدومـه ولا يـاوي[٤]

ثانيـاً :

يالورد نوحي يأهل الهوى عزوه[٥]
شخص معذب روحي ياناس من
بـاشتكـي لـه
بيت الحلو موح الموح ورويحته ترد
الروح
وآنة بهواكم مطروح آنه عالفركَه
ما أكوى
بيته في فيّ الخوخه أسمر ولابس
يوخه[٦]
جانك تبي هالشيخه حمل وشيل
وبايه[٧]

ثالثاً :

لك دان ولي دان ، اللّه لك دان
ولي دان[٨]
يـاعيـونـي لـك واويـلاه
حنا بنات البدو وازين حنانه[٩]
لي شافنه لحضري قام يتمنانه
تفاح ما ناكله ، رمـان يسلينه
إن شاللّه ناكله ، حلو يسلينه[١٠]

---

(١) طراش : من طرش أي أرسل وطرش هنا مرسول أو مبتعث .
(٢) سيفه : أو سيف وهو ساحل البحر ، والبدعة إسم قرية على الساحل .
(٣) جني : كأني ، وعويد تصغير عود . يقصد أن جسمه قد نحل وهزل من كثرة الهجر .
(٤) جدومه : قدومه ، وهي أداة يستعملها النجار لفلق الألواح .
(٥) عزوه : نسب أو إنتساب والمقصود جعلت لنواحي جاها لديكم ، يتحتم عليكم أن تراعوه .
(٦) جوخ : نوع من أنواع الأقمشة ، لماعه حلوة الملمس ، وكان يضرب به المثل من ناحية جماله .
(٧) تبي : تريد أو (تبغى) والمقصود هنا ان كنت تقصد الزواج من هذه الشيخة أي البنت الحلوة الجميلة .
(٨) دان : يقال دان أو دانة فالمعنى واحد . وهذه ترد كثير في الأغاني الخليجية ، ياليل دان ، والدانة هي اللؤلؤة الكبيرة الغالية الثمن ، وهي تسمية لكثير من النساء نطراً لجمالها الأخاذ .
(٩) حنّانة : حناؤنا ، والحنا مسحوق لأوراق نبات طيب الرائحة ، وهو من مواد التجميل للنساء لما له من لون أحمر جميل . وتتفنّن النساء في طريقة إستعماله في أرجلهن وأكفهن حيث يقمن بعمل نقوش وزخارف عليها ، يعتقدن أنها تخلب لب الرحال .
(١٠) إنشاللّه : إن شاء اللّه .

رابعاً :

ودعتكم بالسلامة ياضوي عيني
وخلافكم ما غمض جفني على عيني[1]
وأعدتني بالوعد ليمن حفت عيني
ظليت ياسيدي جسم بليا روح
جد فر مني العقل ، وظل الجسم مطروح
كل العرب هودت ، وأنا شجي الروح[2]
يانور عيني مثل ما راعيك ، راعيني

خامساً :

كوكب سعودي سقط يا أهل الجميل وهوى
والهم بحشاي محرمني نسيم الهوى
والقلب من عقبكم عيا يطيق الهوى[3]
من حيث ظعن اللي أوده شال فرقاهم
يشبه شعاع الشمس من نور فرقاهم
فارقت ناس عليّ صعب فرقاهم
وعاشرت ناس مالي في هواهم هوى

مثالان لأغاني النساء والفتيات :

يرحني[4] لفطام[5].. ياخوي واخشمي[6].. يرحني لفطام
بحور لظلام.. والحير[7] ودتني.[8] بحور الظلام
ليت من جل وياه..جل الغضى..ياليت من جل وياه
باسمع[9] حجاياه..باقعد على الفنه[10].. وباسمع حجاياه
باغوص ويناه..لي غوصوه الهير[11]..باغوص وياه
باير[12] وياه..في يرة[13] الميداف[14]..باير وياه

---

(١) خلافكم : لفظة من ألفاظ البدو ، لها عدة معانٍ حسب الإستعمال ، وهنا يعني وراءكم أو بعدكم .
(٢) هودت : نامت أو هدأت حركتها .
(٣) عيا : رفض ولم يستجب .
(٤) يرحني : جرحني .
(٥) الفطام : قطعة من العظام تشبه المشبك يضعها الغواص على أنفه لتمنع تسرب مياه البحر إلى الأنف .
(٦) خشمي : أنفي .
(٧) الحير : الحجر .
(٨) ودتني : أخذتني إلى أو جرتني .
(٩) باسمع : الباء بمعنى سوف ، والكلمة باسمع تعني سوف اسمع .
(١٠) الفنه : سطح في مؤخرة السفينة يخصص لجلوس النواخذا ، وتعتبر الفنه من الأمكنة الخاصة التي لايجرؤ احد من الغاصة الجلوس عليها بدون إستئذان من النواخذ .
(١١) الهير : مفرد الهيرات ، وهي المغاصات التى تتواجد فيها المحار المحتوى على اللؤلؤ ، والكلمة فارسية بمعنى المغطس ، ومن أشهر هيرات اللؤلؤ في البحرين ، هيرات شتيه ، وأبو الجعل ، وأبو صور ، وأبو خراب ، والمعترض وكثير غيرها .
(١٢) باير : حرف الباء بمعنى سوف .
(١٣) ير : بمعنى جر فتصبح سوف اجر .
(١٤) الميداف : وهو المجداف . وتختلف احجام واشكال المجاديف باختلاف احجام السفن .

وأيضاً :

لاتصلب عليهم يا نوخذاهم لاتصلب عليهم
غصب عليهم ترى البحر بارد غصب عليهم
قصتٍ أيديهم ترى حبال الغوص قصتٍ أيديهم
طي الحصيري ياذا الشهر باطويك طي الحصيري
وييني[1] عشيري[2] شهرين والثالث وييني عشيري
طي القريطيس[3] ياذا الشهر باطويك طي القريطيس
ويون[4] الغواويص[5] شهرين والثالث ويون الغواويص

---

(١) ييني : بمعنى ياتيني .

(٢) عشيري : صاحبي الذى اعاشره ، والمقصود هنا هو الحبيب بالطبع ، والتسمية مأخوذة من المعاشرة .

(٣) القريطيس : تصغير قرطاس او قرطس وهي الورقة التى يكتب فيها .

(٤) يون : يجيئون .

(٥) الغواويص : الغواصون او الغاصة ومفردها غواص أو غيص .

القوانين التى تنظم الملاحة والغوص وتجارة اللؤلؤ :

أولاً : قوانين الملاحة والتعامل في السفن البحرية :

لقد كانت السفن البحرية قبل ٢٨ صفر عام ١٣٤٨هـ تمخر عباب البحر وتتردد على الموانىء ، وفقا للأعراف البحرية ، ودون أن يكون هناك قانون ينظم العلاقات البحرية ، ولكن منذ هذا التاريخ ، بدأ المسئولون يقننون هذا العرف لتنظيم بعض هذه العلاقات .

أمثلة لبعض هذه القوانين :

نعلن للعموم مايأتي :

١) بأنه لايسمح لأحد بأن يصير وكيلا عن شركة ملاحة أو طيران في البحرين أو وكيل عن أى مركب الذى ينزل أو يحمل عبريه[١] أو حمل فى البحرين بدون أخذ رخصة من حكومة البحرين .

٢) لايسمح لأحد ما أن يحمل أو ينزل عبرية أو حمل في ميناء البحرين مالم يحصل على رخصة من حكومة البحرين لإجراء ذلك .

٣) كل الطلبات يجب أن تكون كتابيه وتقدم بواسطة مدير جمارك البحرين ليكون معلوما .

حرر في ٢٤ جمادى الثانية ١٣٥١هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٣٢م .

مهر الشيخ حمد بن عيسى الخليفة[٢]

نعلن للعموم أنه :

١ ـ يجب على عموم سفن البحرين أن تنشر علم البحرين عندما تكون خارج مياهها .

٢ ـ إذا تعرض لتلك السفن أى مركب أجنبي فيجب على نواخذتها أن يرفعوا الأمر حالا إلى حكومة البحرين مع ذكر جميع التفاصيل نحو :

أ) تاريخ القبض أو التعرض وموضعه .

---

(١) عبري والجمع عبرية وهم ركاب السيارات أو السفن بالأجرة ، وعبري تعني عابر سبيل .

(٢) مهر هو الخاتم أو الختم والكلمة فارسية ، ومنقوش عليه إسم صاحب الختم أو توقيعه وقد بنى المولدون منه فعلا ، فيقولون مهر الكتاب أي ختمه بالختم .

ب) إسم المركب وجنسيته .
ج) عما إذا كان العلم منشور' .
د) أوصاف النوخذي والبحارين والبضاعة والركاب وأوراق الجنسيات وأوراق الجمرك .
هـ) تاريخ السفر من البحرين أو من غيرها من الموانيء . ليكن معلوما ١٤ ذي القعدة ١٣٥٣هـ ـ ١٧ فبراير ١٩٣٥م .

مستشار حكومة البحرين

يلزم على جميع السفن من أى نوع كانت ـ ويشمل ذلك السفن الشراعية والبخارية والتجارية والزوارق ونحوها ـ الطافية على بعد ثلاثة أميال من الساحل وأقل أن تعلق سراجا واضحا ـ لايصد شعاعه أي شيء من كل الجهات .

يجب أن يعلق في مقدم كل قارب بخاري حين سيره سراجاً ذو نور أبيض يضيء إلى الأمام ، كما يجب أن يعلق سراجاً أحمر في جانبه الأيسر وأخضر في جانبه الأيمن وأن يكون إتجاه ضيائهما للأمام أيضا .

يجوز للزوارق التجارية عندما تكون (طارحة)[1] أن تعلق سراجا أبيض ف مقدمتهما . أي سفينة تخالف هذاالأمر ستكون مستحقة لدفع غرامة لاتزيد عن مائة روبية ليعلم .

١٨ رمضان ١٣٥٦هـ ـ ٢٢ نوفمبر ١٩٣٧م .

مستشار حكومة البحرين

نعلن للعموم من خصوص السفن الشراعية المسجلة في البحرين بأنه إبتداء من تاريخ هذا الإعلان لايسمح ببيع أي سفينة على أجنبي يريد تخريجها من بلاد البحرين ، سوى السفن المشيدة حسب أمر أو المتروكة أو لم تستعمل لمدة سنتين على الأقل أو السفن التي لم تنزل إلى البحرين حتى حال التاريخ .

مستشار حكومة البحرين

حرر في ٧ ذي الحجة ١٣٦٢هـ
الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٤٢م

ثانيا : القوانين المتعلقة بتجارة اللؤلؤ :

نورد هنا القوانين غير المعمول بها في الوقت الراهن والملغاة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٣٣م الموافق ١١ شعبان ١٣٥٢هـ

نعلن للعموم في تعقيب الإعلان نمرة ١٧/١٦٥ الصادر من حكومة البحرين المؤرخ ٢٨ صفر ١٣٤٧هـ نخبر عموم الناس القاطنين البحرين أنه إحترازا عن إشتباه اللؤلؤ المصنوع الممنوع دخوله في البحرين بتاتا والحكومة قد عينت أربعة أنفار[٢] معتبرين أن يفتشون على اللؤلؤ المصنوع ، فإذا وجد شيء منه الحكومة ستجرى التفتيش على الذى يوجد عنده ستجازي الذى جالبه العقاب الشديد والحكومة تخبر التجار إذا عرض عليهم أموال وإشتبهت عليهم أن فيها شيء مصنوع يمهره ويخبر الحكومة . ليكن معلوم .

حرر فى ٢٤ربيع الأول ١٣٤٧هـ
الموافق ٩ سبتمبر ١٩٢٨م .

المستشار عن حكومة البحرين

---

(١) بمعنى راسية في الميناء ، وهو إصطلاح بحري ، وضريبة السفن تسمى مطرحانيه ، ومنها مدينة مطرح بسلطنة عمان ، أي المكان الذى تطرح فيه السفن .

(٢) أنفار ومفردها نفر وتعني أفراد أو أشخاص ، وهي مأخوذة من اللغة التركية .

نعلن للعموم أنه[1] ممنوع التوريد والتعاطي والحيازة باللؤلؤ الجاباني في بلاد البحرين[2] ممنوع أيضا المساعدة على إرتكاب أحد الجرائم المتقدمة وكل مخالف يعرض نفسه العقاب[3] يتحتم على كافة الناس أن يخبروا حالا البوليس أو غيره من موظفي الحكومة المحلية عن كل مخالف للقانون المذكور أعلاه وكل من لم يعمل ذلك سيعاقب طبق المادة (٢) أعلاه بجريمة المساعدة في إرتكاب الجريمة[4] ممنوع بالمرة تلوين اللؤلؤ في البحرين (أي لايجوز إدخال اللؤلؤ بالدواء لأجل (   )[1] باللون الأصفر أو اللون الوردي أو غيره بعد أن كان أبيضا وممنوع أيضا في البحرين بيع اللؤلؤ المصبوغ الغير مثقوب ومعنى كلمة مصبوغة أي اللؤلؤ الذي أدخل في الماء أي تصليح حجمه فليس ممنوع في البحرين .

ليكن معلوم .

حرر في ٥ ذو الحجة ١٣٤٨هـ
الموافق ٣ مايو ١٩٣٠م

ختـــم
حمد بن عيسى الخليفة

نعلن للعموم التجار القاطنين في البحرين أنه نسبة إلى الإعلان نمرة ١٧/١٦٥/١٣٧ المؤرخ ٢٨ صفر ١٣٤٧هـ مكررا نذكركم أن جلب اللؤلؤ المعمول في بلاد الجابان وغيرها من البلدان ممنوع بتاتا دخوله البحرين لكي لايقع إغتشاش في اللؤلؤ المتداول في أيدي تجار البحرين وإذا وجدنا عند (أحد) من ذلك اللؤلؤ المعمول سيجازي لدى المحكمة .

ليكن معلوم .

حرر في ٤ ذو القعدة ١٣٤٩هـ
الموافق ٢٢ مارس ١٩٣١م

المستشار عن حكومة البحرين

---

(١) هذا الفراغ موجود في النسخة الأصلية للقانون .

نعلن للعموم أنه بالنسبة إلى الإعلان الصادر من حكومة البحرين نمرة ١٣٤٩هـ المؤرخ في ٤ ذي القعدة ١٣٤٩هـ

إن جلب اللؤلؤ الصناعي المعمول في بلاد اليابان أو غيرها من البلدان الأخرى إلى البحرين ممنوع منعا شديدا وذلك لكي لايقع أي إغتشاش فى اللؤلؤ الطبيعي المتداول في أيدي تجار البحرين فعليه كل من يوجد معه لؤلؤ صناعي سيعاقب أمام المحكمة .

ليكن معلوم .

حرر في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٥١هـ
الموافق ٣١ أغسطس ١٩٣٢م

عن مستشار حكومة البحرين

ثالثاً : القوانين الخاصة بالغوص :

ديون الغوص :

إذا هلك رفيق غوص وعليه دين غوص لنوخذاه ، وله ورثة شرعيون فليس للنواخذا حق في تركته أي الرفيق أما إذا كان الرفيق الهالك ليس له ورثة شرعيون ففي هذه الحالة يجوز للنواخذا إثبات دينه في التركه .

الأشخاص الهالكون بدون ورثة شرعيون :

إذا هلك شخص ولم يعقب ورثة شرعيون فتعتبر الحكومة تركته ملكا لها .

حرر فى ١٣ رمضان ١٣٧٤هـ
الموافق ٥ مايو ١٩٥٥م

مستشار حكومة البحرين

صناعة الفخـــار :

قبل أن يستعمل الإنسان الفخار في صناعة أوانيه التي يحتاج إليها في حياته اليومية ، إستعمل الحجر والخشب والجلد في صنع هذه الأواني .

وتعتبر صناعة الفخار من أقدم الصناعات اليدوية التي كانت تمارس في البحرين ، ويرجع تاريخها إلى مايزيد على ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد . وما زالت تمارس حتى وقتنا الحاضر .

ونظرا للإعتقاد الديني السائد والذى كان معاصرا لتلك الصناعة في ذلك الوقت ، والذى كان يستلزم دفن حاجيات الميت مع الميت ، فقد وجد الإنسان في ذلك الوقت أن أفضل طريقة للحفاظ على هذه الحاجيات هي حفظها في أواني فخارية ، وذلك لما للفخار من مزايا وخواص قد لاتوجد في غيره من المواد . فالفخار خفيف الوزن ، سهل التصنيع وبه مسام تساعد على بقاء الأشياء على ماهي عليه بالرغم من القدم .

ومن الحفريات التي قامت بها البعثة الدنماركية للتنقيب عن الآثار ومن بعدها البعثة الفرنسية ، يظهر بوضوح أن الإنسان في دلمون ، عرف طريقة إستعمال الدولاب الذى يدار بالأرجل في صنع الأواني الفخارية ، مع العلم أن هذا الدولاب لم يعرف فى وادي النيل ، الا منذ الأسرة الخامسة[1] .

ويستفاد من الفخار لدراسة هجرات الأقوام القديمة من مكان إلى أخر ، ولدراسة العلاقات التجارية بين هذه الأقوام ، فالأصناف الفخارية الدخيلة المصنوعة من طينه أجنبية والتي يعثر عليها في موطن الآثار ، قد تكون دليلا على هجرة سلمية إلى ذلك الموقع ، أو إلى غزوة حربية مدمرة لها[2] ، أو إلى وجود علاقات تجارية دولية .

وبالإضافة إلى إستعمال الاواني الفخارية في النواحي الدينية ، فقد كانت تستعمل أيضا في كثير من الأغراض الحياتية اليومية في الزمن القديم ، كإستخدامها

(١) سعد الخادم ، الصناعات الشعبية في مصر ص٤٨ .

(٢) من صفحة حضارة وتراث التي يقوم على تحريرها السيدان عبدالعزيز صويلح وعبدالرحمن مسامح ، جريدة أخبار الخليج ١٩٩٠/٤/٤ .

في تقديم وحفظ الأطعمة والأشربة ، كالزيوت والتمور وكأداة من أدوات الزينة في المنازل .

ومما يدل على إستخدام الأواني الفخارية في الأغراض الدينية ، وجود الأواني الفخارية الملونة بأسلوب معين ، والتي وضعت جميعها بشكل مقلوب على قبور (عالي) ، وكذلك وضع القرابين التي تقدم للآلهة على أواني مصنوعة من الخزف .

ويروي بعض كتاب الحضارات القديمة ، أن الأواني الفخارية كانت تخدم أغراضا سحرية إلى جانب خدمتها أغراضا نفعية[1] ، فليونة الطين ومرونته في أثناء تشكيله يوحي بأنه جسم حي ، كما كانت هناك عقيدة مفادها أن الطين قبل حرقه ، وفي أثناء تشكيله على هيئة آنية ، يمكن أن تكتب عليه عبارات سحرية لمصلحة أو ضد بعض الأشخاص ، ومتى حرق هذا الطين وجف بعد ذلك ثبت مفعوله السحري .

وقد توصل الإنسان في دلمون منذ ذلك الوقت ، إلى عملية مزج الألوان وخلطها ليستخرج منها ألوانا جديدة جذابة ، يستخدمها في تلوين الفخار وزخرفته ، كما رأيناه في الأواني الطينية ودمى السفن التي عثر عليها داخل المدافن .

ونظرا لكثرة الأدوات التي عثر عليها بشكل ملحوظ خلال عمليات التنقيب ، يمكن القول بأن صناعة الفخار كانت تمارس على نطاق واسع في ذلك الوقت السحيق .

ولقد ظلت هذه الصناعة تمارس قرونا طويلة ، ولكنها أخذت في الإضمحلال والتدهور شيئا فشيئا ، ولكن هذا التدهور أخذ منحى رهيبا منذ إنبثاق البترول في البحرين ، إذ بدأت صناعة البترول الجديدة تمتص الأيدي العاملة في صناعة الفخار وغيرها من الصناعات يوما بعد يوم ، حتى لم يعد لهذه الصناعة شأن يذكر من حيث الأهمية الإقتصادية .

ومن الصعب تحديد المهد الأول لهذه الصناعة من بين قرى البحرين ، وكل ما يذكره الأجداد في هذا الشأن ، أنه منذ أن داعبت عيونهم خيوط النور ، رأوا أن هذه الصناعة تزاول في قرية عالي بالقرب من آلاف التلال الموجودة في هذه القرية .

---

(١) سعد الخادم ، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية ص٤٠ .

وقد يثير تواجد هذه الصناعة بقرية عالي ، وتركز المدافن الدلمونية في هذه القرية أيضا تساؤلا فحواه :

هل كانت هذه المدافن وهذه الصناعة سببا في إنشاء قرية عالي ذاتها ؟

الرأي عندنا أنه لايوجد ثمة سبب يجعلنا لانميل إلى هذا الإستنتاج .

وفي الوقت الحاضر تجلب الطينة التى تستعمل في صنع الفخار من منطقة الرفاع ، التى تشتهر بأجود أنواع الطين المستعمل في صناعة الفخار بسبب تعدد ألوانه ، ففي منطقة الرفاع توجد الطينة الحمراء والبيضاء والطينة ذات اللون البني .

ويمر الفخار من مرحلة كونه مجرد طينة عادية ملقاة بلا مبالاة على الأرض ، حتى يصبح فنا تشكيليا على هيئة آنية جميلة يستعملها الناس في حياتهم اليومية أو يقتنونها للزينة في البيوت ، بمراحل متعددة .

فبعد أن تجلب الطينة من مواقعها توضع في أحواض كبيرة ، ثم يصب عليها الماء بالقدر اللازم ، ويقوم بعد ذلك أولاد الخزافين بعجن الطينة بأرجلهم حتى يصبح قوامها رخوا صالحا للتشكيل ، ثم تنقل هذه العجينة أو بعضها إلى صومعة الخزاف أو معمله .

وفى هذه الصومعة يمارس الخزاف عمله وهو جالس على حافة حفرة تغطي نصف جسمه ، وفي مواجهته فى ذات الحفرة دولاب كبير من الحجر الاسطوانى يدار بواسطة دولاب آخر مثبت في الدولاب الأسطواني الكبير يحركه الخزاف برجله .

وتأتي المرحلة الثانية ، بأن يضع الخزاف فوق الحجر الأسطواني بعضا من عجين الطين بالكمية التي تحتاجها الآنية التي يزمع صنعها ، ثم يحرك الخزاف الدولاب السفلي بإحدى رجليه ، ويقوم هذا الدولاب السفلي بإدارة الدولاب الموضوعة عليه العجينة ، ويظل الخزاف يحرك الدولاب السفلي بإستمرار ، وهو في ذات الوقت يعالج العجينة بكلتا يديه ليشكلها حسب ما يريد صناعته من أواني .

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة تحوير العجينة في شكلها النهائى ، حيث يدخل الصانع إحدى يديه في الفتحة المستديرة للطينة بفعل دوران الدولاب لتسوية جدران الأناء من الداخل ، بينما تصقل وتزخرف اليد الأخرى سطح الأناء من الخارج بواسطة كسرة يابسة من الفخار .



● صانع الفخار

وتعتبر هذه المرحلة ، هي مرحلة الخلق والإبداع والتشكيل الفني فى صناعة الأواني الخزفية ، فليست كل الأصابع تستطيع تحوير وتشكيل الأواني الفخارية ، وإنما هي الأنامل الدقيقة الماهرة فقط ، أنامل الفنان وحده ، الذى يخلق من الطين الميت الجماد أواني جميلة تنبض بالحركة والحياة كالجرار والقناني والصحون والمواقد والمزاهر .

ومن هنا تكون التفرقة والتمييز صعبة بين الفنون والحرف اليدوية .

وأخيرا تأتي المرحلة النهائية في صنع الأواني الفخارية ، وذلك بأن تأخذ العجينة بعد تشكيلها في شكل معين وهي مازالت طرية ، وترص على الأرض تحت أشعة الشمس لتجفيفها ، وذلك تمهيدا لحرقها بالنار في الأفران المعدة لهذا الغرض

وفي وقت من الأوقات من الثلاثينات والأربعينات كانت لهذه الصناعة اليدوية أسواق رائجة ، فمن سوق (الأربعاء) بالمنامة ، وسوق (الخميس) بقرية الخميس[1] ، كان الأهالي وتجار الجملة يشترون كميات ضخمة لبيعها بعد ذلك بالقطاعي في السوق المحلي ، أو تصديرها إلى خارج البحرين ، وكانت المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في الخليج ، من أوسع الأسواق لتصريف منتجات البحرين .من الفخار .

وكما إستطاع اللؤلؤ الإصطناعي القضاء على اللؤلؤ الطبيعي ، إستطاعت الأوانى الزجاجية التي ترد بكثرة من خارج البحرين ، أن تقلل من أهمية هذه الصناعة إلى حد كبير ، بسبب رخص أسعارها وإزدياد الوعي الحضاري لدى معظم الأهالي !

ومن الغريب أنه بالرغم من مرور آلاف السنين على ولادة هذه الصناعة ، إلا أنها ما زالت تمارس حتى وقتنا الحاضر بذات الكيفية والطريقة اليدوية التى كانت عليها فى القديم ، ولم يدخل عليها أي تطوير عبر كل هذه السنين .

ولقد جرت محاولات كثيرة لتطوير هذه الصناعة ، حتى تكون أكثر إنتاجية ، وأكثر تمشيا من الناحية الفنية مع مايصنع في الخارج .

وإنطلاقا من هذه الرغبة حضر إلى البحرين فى عام ١٩٦٦ أحد الخبراء البريطانيين المختصين بتطوير مثل هذه الحرف اليدوية ، ومن المقترحات التي قدمها لتطوير هذه الصناعة ، إيجاد فرن حديث تتم فيه عملية حرق المصنوعات الفخارية ، وفقا لأحدث الطرق الفنية والتقنية ، (وكانت فكرة هذا الخبير تقوم على أنه لو أريد لهذه الصناعة أن تبقى على ماهي عليه ، فإن الفرن الحالي يفي بالغرض ، ولكن عملية تطوير هذه الصناعة بإستخدام الصقل والتلميع تحتم التحكم في درجة الحرارة المستخدمة في الحرق ، ومن هنا تأتي أهمية إيجاد فرن حديث يتم التحكم في هذه الحرارة[2] .

---

(١) هذا قبل أن تلفظ سوق الخميس آخر أنفاسها ، وقبل أن تشرد سوق الأربعاء .

(٢) جريدة صدى الأسبوع ، العدد ٧١ ، ٢ مارس ١٩٧١ .

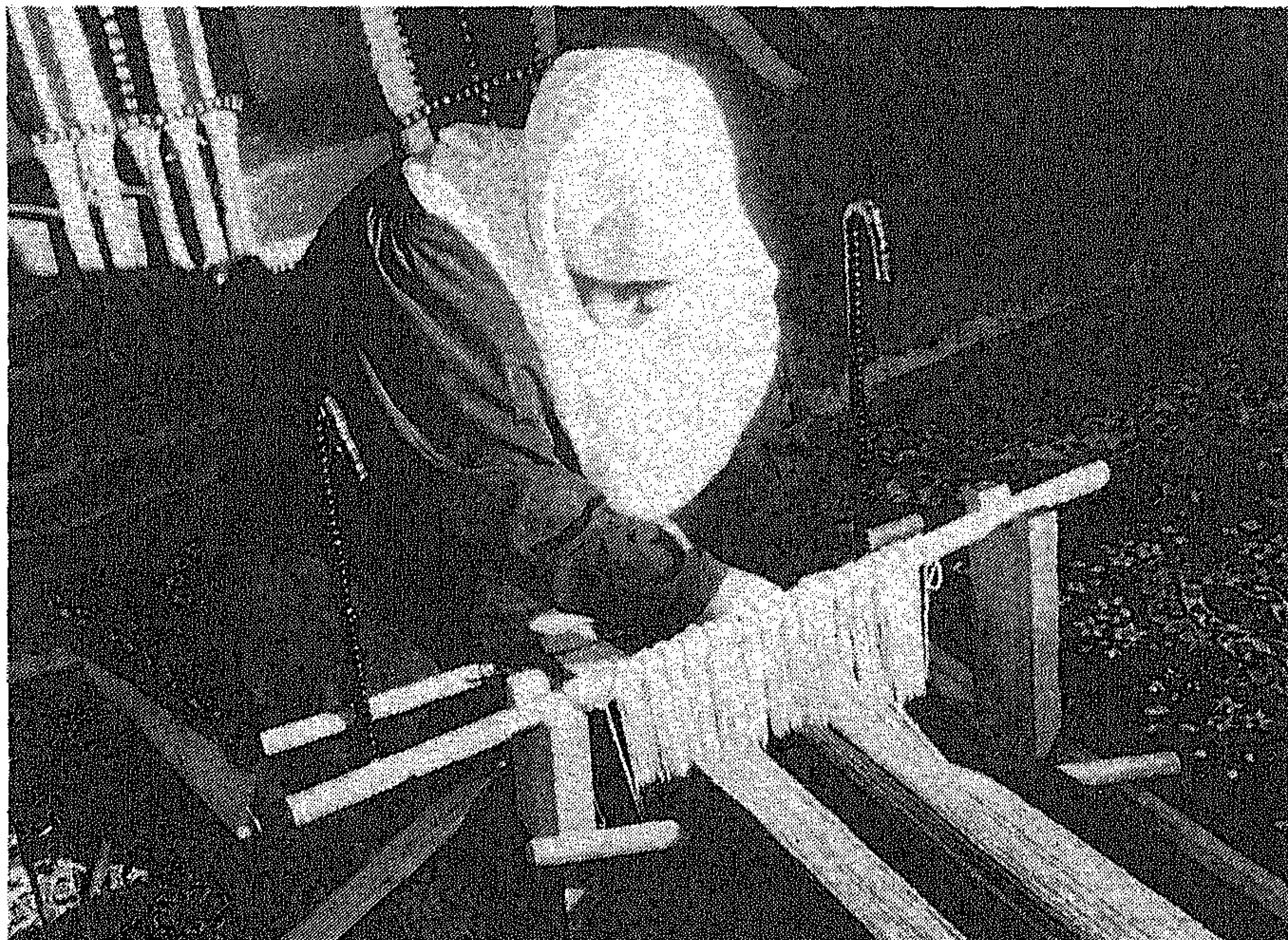
المهم الآن وبعد أن وضع الخبير تقريره ، هو مواصلة السعي في تطوير هذه الصناعة العتيدة ، لكي تواكب الزمن وتفي الاستعمالات الجديدة للأواني الفخارية .

ومن المفيد أن نشير أن الأجداد تركوا لنا تسميات شعبية متعددة لأصناف المصنوعات المعمولة من الفخار ، فهناك تسميات مثل :

الجحلة ، البرمة ، المدكة ، الحب ، الغرشة ، الكدو ، البغلة ، الكراز ، البق ، المبخر ، اللجان ، المزهرية ، التنك ، الجفنة .

صناعة النسيج والتطريز :

تعتبر صناعة النسيج هي الأخرى ، من أقدم الحرف اليدوية في البحرين ، وربما يرجع وجودها في البحرين إلى ذلك الوقت الذي إكتشف فيه الإنسان بأنه بحاجة ماسة إلى أغطية لوقاية جسمه من المؤثرات الطبيعية ، لكن قبل أن يعرف الإنسان النسيج إستخدم ورق الشجر والليف ، ثم جلد الحيوان وفرائه لكي تحميه من حرارة الشمس اللاهبة فى الصيف ، ومن برودة الجو القارس في الشتاء .



● صناعة النسيج

ويعلل الأنثروبولوجيون ظاهرة إستعمال الإنسان الألبسة ، بأنها ناتجة عن شعوره بالخجل من ظهور عورته أمام الآخرين ، وهذا التفسير ينسجم كثيرا مع التبرير الديني لظاهرة إرتداء الألبسة ، وربما كان إستعمال الملابس عند الأنسان الأول لحاجته لوضع الأسلحة فيها بدلا من أن يحملها بيده أو يعلقها برقبته فتعيق حركته .

ام هى الاخرى محلية بالنسبة للبحرين خاصة وانه لا يوجد ثمة اختلاف فى الشكل بين كلا النمطين الاول والثانى، سوى النقوش الهندية على النمط الثانى.

ام هل نستطيع ان نستنتج بأن هذين النمطين من الاختام المستديرة هما اختام دلمونية لعهدين تجاريين مختلفين مر بهما الاقتصاد فى دلمون؟

ولا يزال هذا الإرتباط ـ النفعي والسحري ـ قائما حتى وقتنا الحاضر ، فنجد مثلا في كتب السحر الشعبية مثل هذه الفقرات .

(خذ سبعة خيوط من الحرير مختلفة الألوان ، وأعقد فيها جميعا سبع عقدات ، وإقرأ على كل عقدة أسماء القمر ... ألخ)[1] .

ومن الممكن القول أنه منذ الفترة التي بدأ الإنسان فيها في البحرين ، يستعمل السفن لنقل البضائع من بلده إلى البلدان الأخرى المجاورة أو غير المجاورة ، إستعان ولاشك بالأشرعة لزيادة سرعتها وحفظ توازنها بين أمواج البحر العالية ، فصناعة الأشرعة إذن قديمة قدم السفينة الشراعية ذاتها .

ومما سبق ذكره ، رأينا أن البحرين كانت من أهم الموانىء التجارية على ساحل الخليج العربي ، وأنها كانت تمتلك أسطولا كبيرا من السفن الشراعية ، التي تنقل البضائع من بلاد الرافدين إلى وادي السند وبالعكس .

---

(١) سعد الخادم ، الفن الشعبى والمعتقدات السحرية (ص٥٣) .

أما الزعم بان صناعة النسيج في البحرين هي إيرانية الأصل ، وأنها إنتقلت بعد ذلك إلى البحرين ، وذلك إستنادا إلى أن أسماء بعض أجزاء آلات النسيج المستعملة في الوقت الحاضر إيرانية مثل (السركار والدوخانة)[1] .

فهذا في رأينا ليس صحيحا ، ولا يمكن أن تقوم هذه التسميات دليلا على صحته وذلك للأسباب التالية :

أولاً : لم يذكر تاريخ الحضارات القديمة فيما نعلم ، بان فارس كانت أسبق من دلمون في صناعة النقل البحري ، بل على العكس من ذلك نجد أن معظم الوثائق التاريخية القديمة ، تشير إلى أن سفن دلمون هي التى كانت تنقل الخشب إلى مملكة (لاجاش) في وادي الرافدين منذ سنة ٢٥٢٠ قبل الميلاد ، كما أن سفنا من دلمون كانت ترسو في موانىء وادي الرافدين في عهد الملك سرجون الأكادي حوالي عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد .

كما أن هناك وثيقة ثالثة تشير ، إلى أن بعثة تجارية خرجت من العراق حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد متجهة صوب دلمون لشراء النحاس .

وبهذا الصدد نرى أنه من البداهة الإشارة إلى الإرتباط الوثيق بين السفينة والشراع في صناعة النقل البحري ، فهما وجهان لعملة واحدة لايمكن فصلهما بأية حال من الأحوال .

ثانياً : أنه من الخصائص الذاتية لأية حضارة من الحضارات الإنسانية ، هو تفتحها على الحضارات الأخرى ، فالحضارة بطبيعتها معطاءة ، تأخذ وتمنح ، خاصة لدى الشعوب التجارية المتجاورة ، فليس من المستبعد ولا المستغرب ، أن تتسرب بعض ألفاظ من حضارة إلى حضارة أخرى مجاورة ، وليس من المعقول الذهاب بعيدا في تفسير هذا التبادل الثقافي .

هذا إذا إفترضنا أن لفظتي (سركار ودوخانة) هي ألفاظ فارسية منذ العهود القديمة ، وليست مستحدثة ولا مستوردة هي الأخرى .

---

(١) جريدة صدى الأسبوع ، العدد ٧٢ ، بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٧١ .

ثالثاً : يذكر مؤرخو تاريخ البحرين السياسي ، بأن البحرين خضعت في فترات متقطعة من التاريخ ، للنفوذ السياسي الفارسي ، ومن الإفرازات الطبيعية أنه غالبا ما يصاحب النفوذ السياسي ، نفوذ آخر فكري أو ثقافي .

هذا النفوذ الثقافي يظهر بشكل أوضح في تأثيره في لغة التخاطب أو اللجهة المحلية اليومية ، كما أن التسمية الأجنبية لشيء معين ، ليست أبدا دليلاً حتميا على أجنبية هذا الشيء أو عدم إصالته .

وإذا نحن سمحنا لأنفسنا الإنقياد لهذا المنطق ، لأصبحت شعوب أفريقيا كلها غير أفريقية ، لا لسبب إلا لأنها تتخاطب بالفرنسية والإيطالية ، وتسمى أشياءها بتسميات فرنسية وإيطالية .

وعندنا نحن في البحرين أمثلة على هذه التسميات الأجنبية ، وفي اللغة الفارسية ذاتها الشيء الكثير من الألفاظ العربية .

رابعاً : لايوجد ثمة دليل مادي واحد ، يؤكد بأن هذه الألفاظ الإيرانية ، إستعارتها البحرين أبان نشأة صناعة النسيج في دلمون ، وإن كان ثمة إستعارة أو تأثر ، فهو تأثر ولاشك حديث ، وهذه الحداثة لاتقوم دليلا على أجنبية هذه الصناعة العتيدة .

وإذا ما سألنا الأجداد عن الموطن الذى يعرفونه لصناعة النسيج فى البحرين ، نجدهم لايحددون مكانا معينا بذاته ، وإنما يذكرون أنها كانت موجودة فى كل من قرى (الدراز) و(أبو صيبع) و(دار كليب) و(المرخ) و(مقابة) و(القرية) ثم إنتقلت من هذه القرى إلى قرية (بنى جمرة) ، وظلت قرية (بنى جمرة) قلعتها الوحيدة[1] فى الوقت الحاضر .

إن إنتشار صناعة النسيج فى كل هذا العدد من القرى ، يمكن أن يقوم دليلا على إنتشارها ورواجها كصناعة أساسية فى البحرين في وقت من الأوقات .

ولقد كانت صومعات معامل النسيج حتى وقت قريب ، تنتج الكثير من مختلف أشكال الألبسة الرجالية والنسائية ، وكانت هذه المنسوجات المصنوعة محليا تمتاز عن المنسوجات المستوردة من الخارج ، بثبات ألوانها ومتانتها وقدرتها على التحمل .

---

(١) مجلة المجتمع الجديد ، العدد ٤٣ ، بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٧١ .

وقبل أن تغزو المنتوجات الأجنبية أسواق البحرين كانت هذه الصومعات تنتج أنواعا متعددة من الألبسة ، فقد كانت تنتج مثلا : الإزار ، والعباءة ، والغترة ، والبشت ، والأشرعة ، والأردية النسائية وغيرها .

ولكن كيف تتم عملية النسج ؟

النساجة هي مد أو إقامة عدة خيوط طويلة بحيث تكون موازية لبعضها تماما ، وهي مكونات المنسوج وتسمى هذه الخيوط الطولية (السدى) ، ثم تمرر بطريقة عرضية وتسمى (باللحمة) عبر هذه الخيوط الطولية أى السدى ، بحيث يمر خيط اللحمة فوق أحد خيوط السدى وتحت الخيوط المجاورة له ، ثم فوق الخيط الثالث ، وهكذا حتى نهاية عرض القماش . ثم تليها اللحمة الثانية فيمر الخيط فوق خيط السدى ، الذى سبق أن مر تحته ، ثم تحت الخيط الذى سبق أن مر فوقه ، وهكذا أيضا حتى نهاية عرض النسيج[٢] .

ولم يقتصر إنتاج هذه الصوامع على تغذية الإستهلاك المحلي فقط ، وإنما كان تجار الأقمشة يصدرون كميات ضخمة منها ، إلى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وخاصة إلى منطقة القطيف والإحساء ، وكذلك إلى الإمارات العربية المجاورة .

لم يقتصر أهالي البحرين على إنتاج الأقمشة وتصديرها ، بل تعدوها إلى التفنن فى تشكيلها وزخرفتها وتطريزها لتناسب شتى الأذواق وشتى المناسبات ، ونرى لزاما القول : بأن دراسة الازياء لدى شعب من الشعوب تحتاج إلى كثير من الجهد والتعب ، ذلك لانها تقتضي من الباحث ليس مجرد وضع قائمة يعدد فيها الألبسة ، أو مجرد القدرة على التذوق الفني للوحدة الزخرفية ، أو مجرد معرفة مدى الإتساق بين الزخرفة والتطريز . وإنما تتطلب محاولة معرفة الأبعاد الإجتماعية والنفسية الحقيقية التى تتدخل فى تشكيل المادة الخام وجعلها في شكل معين ، فعن طريق إتباع أسلوب التحليل النفسانى والإجتماعى لظاهرة تنوع الازياء ، بالإضافة إلى المقدرة الفعلية على

(٢) حمدة محمد الغرباوي ، التطريز في النسيج والزخرفة ، ص ٩

التذوق الفني للوحدة الزخرفية، وبالتالي تقييم العمل الفني، ومعايشة الباحث للمجتمع المراد دراسة أزيائه، لفترة مناسبة تكفي للقيام بالجمع والتصنيف والتصوير والتحليل.

فإذا توافرت هذه الشروط وهذه الظروف ، قد يكون في الأمكان الحصول على دراسة علمية عن الإزياء وعن مدى ملاءمتها وإرتباطها بالأحتياجات والرغبات المادية والمعنوية لدى شعب من الشعوب .

وأول ملاحظة يمكن إبداؤها بمناسبة الحديث عن الأزياء وطريقة تطريزها في البحرين ، هي أن أسلوب الزخرفة والتطريز في الأزياء لا يأخذ بالأشكال الهندسية كالمربعات والمثلثات أو النجوم ، أي الأشكال التي تتركب من عدة أضلاع وزوايا ، وإنما يسير نحو الأخذ بالأشكال الدائرية ومشتقاتها ، كالخطوط المنحنية والملتوية والمقوسة .

وهذا الأسلوب في الزخرفة والتطريز ، الذى تسير عليه هذه الصناعة في البحرين يقترب كثيرا من الأسلوب الآشوري ، ويبتعد كثيرا عن أسلوب مصر الفرعونية ، الذى يتميز بالأشكال الهندسية ومشتقاتها .

والملاحظة الثانية أن الزخرفة فى البحرين بالرغم من عراقتها وقدمها ، قد تأثرت كثيرا بالذوق الإسلامي ، وذلك مرورا بالعصر الأموى والعصر العباسي .

والملاحظة الأخيرة على الأزياء في البحرين ـ وهي ملاحظة جديرة بالأهتمام والدرس ـ وهي ظاهرة قلة أو ندرة أو عدم إستعمال الخرز والترتر واللؤلؤ والأحجار الكريمة والأزرار الملونة فى زخرفة وتطريز الأزياء .

وقد جاء فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب رأينا التالى :

إن الموجة الجديدة في الأزياء وخاصة الأزياء النسائية ، والتى وفدت إلينا من الخارج لاترتبط البتة بأصالة الخطوط الأولية في أزيائنا الشعبية ، وليس لها ثمة

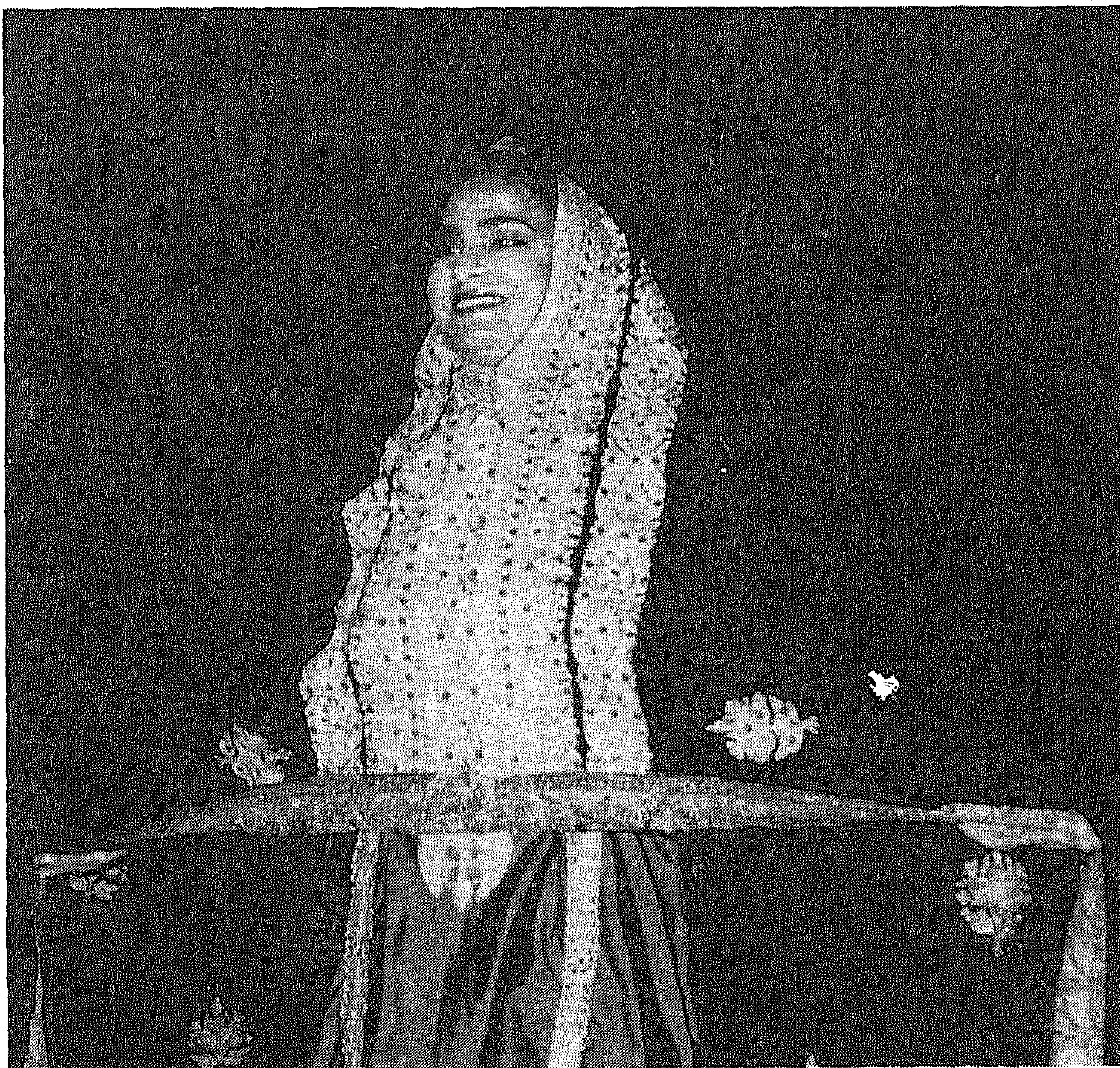
إرتباط بمناخنا الفكري والإجتماعى والإقتصادى أو مزاجنا الفني ، فهي في أسلوبها وشكلها تضرب عرض الحائط كل تراثنا الفني فى التصميم والتطريز والزخرفة .

إن المطلوب بالنسبة للأزياء ، هو الإنطلاق من خطوطنا الأولية فى الزخرفة والتطريز وتطويرها بروح إيجابية ملائمة لروح العصر الذى نعيش فيه ، وهذا الأسلوب كفيل إذا ما إستعنا بالزي بإستعادة ثقة جيلنا الجديد في الذوق الفني لأجدادنا على العموم .



إن تقليد الجديد ، أى جديد لمجرد كونه جديدا ، والإنصراف عن القديم كل القديم لمجرد كونه قديما ، بمقولة أن هذا علامة على التجديد ، وإمارة على الحيوية ، ودليلا على إرادة الإنعتاق من الإنغلاق والجمود ، لهو فى الحقيقة أمر خطير ومخيف . وذلك لأن الإنعتاق من القديم لايكون بالإرتماء فى حضن أى جديد ، وإنما يكون بإلتزام الخطوط الأولية الأصيلة ، ثم تطويرها بما يناسب الذوق الجمالى لهذا العصر ، وتشكيل الأزياء بما يناسب عصر الحركة والتنقل السريع .

إن هذا الإلتزام أمر ضروري ومصيرى للحفاظ على السمات الأصيلة لدى أى شعب من الشعوب .



وحتى يكون موقفنا واضحا فيما يتعلق بهذه المسألة ، نود أن نقول أننا لسنا مع الذين يقولون بأن (اللي يغير لبسه يغير جنسه) أو (عتيق الصوف ولا جديد البريسم) . كما أننا في ذات الوقت لسنا أنصار الذين يقولون بأن تقليد الجديد هو دائما خطوة نحو الأفضل .

هذا ما قلناه قبل عشرين سنة . لكن التفاتة سريعة إلى مايجرى من حولنا لتسجيل ماهو عليه الحال ، تكفي القول أن الحال هي غير الحال .

في الواقع أن القيام بعملية حصر أو مسح لجميع الأزياء النسائية والرجالية الموجودة في البحرين أمر ليس يسيرا ، ولكننا سنحاول أن نشير إلى أهم القطع اللباسية ، التى تركها لنا الأجداد كتراث وطني ، والتي ما زلنا نلبس بعضا منها .



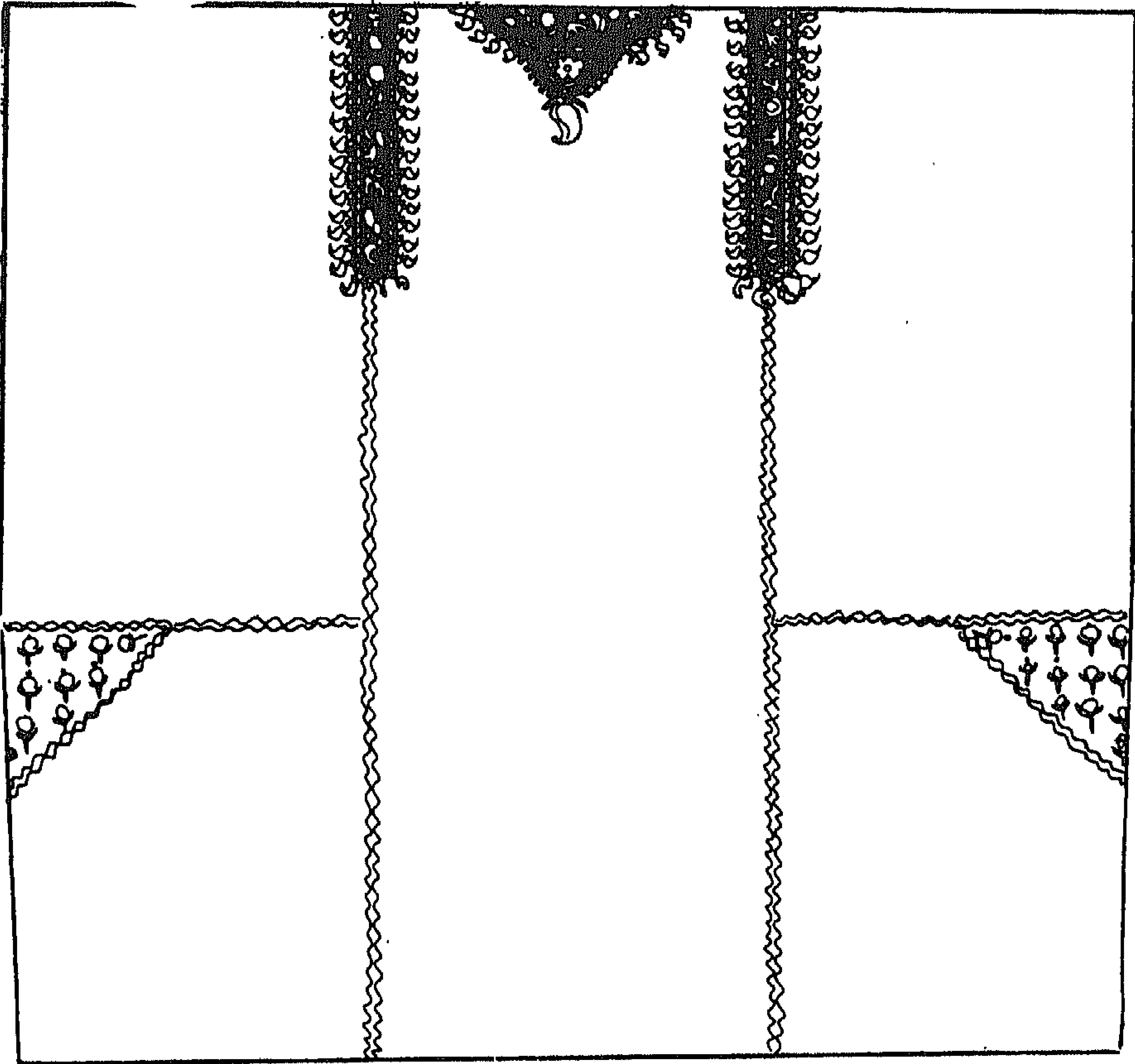
وسنبدأ أولا بالأزياء النسائية ثم بالأزياء الرجالية :

الأزياء النسائية :

تتنوع الأزياء النسائية تنوعا يفوق الزي الرجالي ، وذلك يعود بالطبع إلى النزعة الجمالية الفطرية للأنثى، وكون الزي أداة للزينة، لذا تحرص المرأة على الظهور بها أمام المجتمع[1]

الثــوب :

عندنا في البحرين تسميات عدة للثوب ، وتختلف هذه التسميات تبعا لإختلاف أسلوب تصميم الزخارف ، أو إستعمال أو إدخال خيوط معينة ، سواء كانت هذه الخيوط قطنية أو ذهبية أو فضية أو حريرية في التطريز . ومن أهم هذه الأنواع .



ثوب النشـــل :

يعتبر ثوب النشل بمختلف أشكاله وتسمياته من أجمل وأبدع وأرق الأثواب التي تحرص المرأة في البحرين على إقتنائها ، لكونه حقيقة آية في الجمال والرقة، ويكثر إرتداء هذا الثوب فى المناسبات السارة ، مثل ليالى الزواج وأيام الأعياد والموالد ، وبعد (القفال) حيث العودة من رحلة الغوص الطويلة .

وهذا الثوب أما أن يكون من الحرير الطبيعي ، أو من حرير التقليد أو أحيانا من **الشيفون والويل والجيت والجز** ، فمن أصول هذا الثوب أن يكون رقيقا شفافا حتى ليكاد يكشف الزي الذى يلبس تحته ، وبحيث يكون واسعا فضفاضا لايعيق الحركة وهو يتميز بإتساع فتحات الأكمام ، وبكثرة الوحدات الزخرفية المعمولة من الخيوط الذهبية الزري ، والمنتشرة على الثوب كله ويسمى **ثوب مفرخ** ، وتأخذ الزخارف أشكال الزهور والنباتات ، وتزداد كثافة التطريز كلما إقتربنا من المنطقة القريبة من رقبة الثوب وفتحات الأكمام لتشكيل **السرايح** ، وتصمم فتحة الرقبة على شكل مثلث مقلوب **البابوج** أو على شكل مستدير يحيط بالرقبة ، وتعمل الأزرار في شكل كرات صغيرة من خيوط الذهب .

كما ويعتبر ثوب النشل **المنبط** من أجمل أثواب النشل لغزارة النقوش التي تتركز حول الصدر والأكمام .

أمام الأثواب التي تضاف إلى الزخرفة الذهبية ، شرائط ذهبية حول الرقبة والأكمام فهي تعرف بثوب **الكورار** والثوب المطرز .

وغالبا ما تأخذ الزخرفة في هذا الثوب ، الطابع الشرقي الإسلامي ذا الخطوط الدائرية المقوسة والمنحنية ARABESQUE ، وتنحدر الزخرفة فى شكل شريطين زخرفيين هما آية في روعة التطريز محاذيين فتحة الرقبة على صدر الثوب ، ثم يلتقيان عند نهاية فتحة الرقبة ويشكلان شريطا عريضا واحدا، وينسدل هذا الشريط الواحد حتى ذيل الثوب . وتشبه زخارفه الزخارف الدمشقية ، المستوحاة بدورها من الزخارف الأندلسية المغربية الرائعة ، البسيطة البعيدة عن التعقيد .

وهناك أيضا ثوب **النغدة** وهو ثوب مقصب بوحدات زخرفية من شرائط الرقائق الفضية **التللي** ويزداد التطريز كثافة كلما إقتربنا من الأكمام والصدر .

ومن الأثواب الجميلة المحببة لدى النساء الثوب **المفحح** ، ويمتاز بتعدد ألوان قطع القماش المدخلة على اللون الأصلي على شكل قطع عرضية منسقة تنحدر من الكم إلى أسفل الثوب[١] .

ويكون ثوب النشل من جميع الألوان ، فهناك ثوب النشل الأزرق أو الأصفر أو الأخضر أو الأحمر أو الوردي ، ولكن غالبا ما يفضل اللون الأسود وذلك لإنسجام هذا اللون مع لون خيوط الذهب البراقة .

والواقع أنه ليس من المغالاة فى شيء ، القول بأن ثوب النشل يمثل صورة فنية فريدة فى التصميم وجمال الزخرفة بين الأزياء الشعبية العالمية إن لم يبزها جميعا .

الثوب الهاشمي :

وهو الثوب الذى يلبس خلال الأيام العادية من السنة ، وخاصة فى موسم الصيف ، ولا تدخل خيوط الذهب أو الزري فى تطريزه ، وإنما يستعاض عنها بخيوط (الإبريسم) الحرير ، أو الخيوط القطنية الملونة ـ ولا توجد به زخارف ، سوى حواشي فتحة الرقبة وتكون فى شكل شريط ضيق ينحدر حتى الصدر ولا يجاوزه . ومن أمثلته ثوب «**الويل**» وثوب «**الجز**» وثوب «**الجيت**» الذى يعمل من القطن ذى الألوان الصفراء أو الحمراء القانية .

البخنق :

يقول الفيروز أبادي في قاموسه أن (البخنق خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن والغبار) .

---

(١) من مقال (أثر الحضارة على الأزياء النسائية في البحرين) جريدة الأيام عدد ١٩٩٠/٦/٨ ، لطيفة إبراهيم جمشير وزهرة أميري .

والبخنق الآن هو رداء تستعمله الفتيات الصغيرات كغطاء للرأس وينسدل ليغطى النصف الأعلى من البدن ، دون أن يغطي الوجه ، إلا أنه يعتبر نموذجا فريدا بين أغطية الرأس الشعبية فى العالم العربي ، ويمتاز البخنق بأناقته وجمال تطريزه.

وتأخذ الزخارف فيه شكل الشريط الدائرى ، الذى يستدير مع إستدارة فتحة البخنق حول الوجه ، ثم ينحدر من الشريط المستدير المحيط بالوجه في نقطة إلتقاء عند الذقن شريط آخر طولي أعرض قليلا من ذلك الشريط المستدير إبتداء من رقبة البخنق حتى نهاية النصف الأعلى من الجسد : وتوجد في حواشي الشريط الدائرى الذى يدور حول الوجه ، أو الشريط المنحدر من الذقن حتى أسفل الصدر زخارف شرقية دقيقة الغرز والعقد من خيوط الذهب غاية في الجمال والإبداع ، وهي تشبه إلى حد بعيد الزخارف المغربية الأندلسية ، واللون الغالب في البخانق هو اللون الأسود لكنه يكون من جميع الألوان . وقد يطرز الشريط في بعض البخانق بالخيوط الحريرية أو القطنية الملونة .

وقد يتبادر إلى الذهن ، أن كلمة البخنق تسمية غير عربية ، ولكنها في الواقع تسمية عربية ، ورد ذكرها فى معظم معاجم اللغة العربية .
وقد قال فيه المتنبى :

يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود

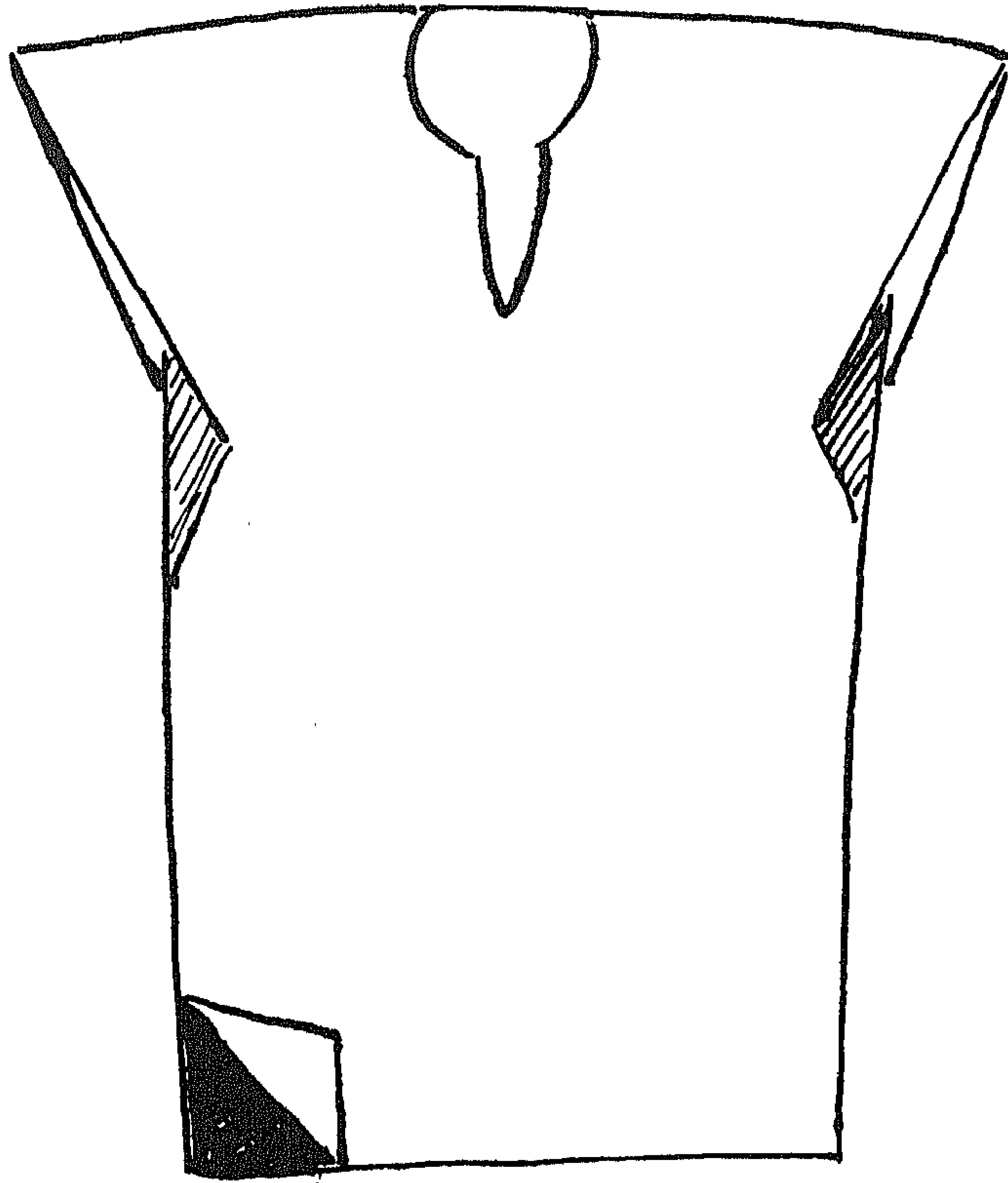
السـروال :

ويطلق عليه أحيانا الشروال وهو إقتباس من الكلمة الفارسية شروار ، وربما يكون أصل هذه التسمية فارسي من كلمة أخرى وهي سربال ، وإذا صح هذا فهي إذن كلمة مركبة من كلمتين ، الأولى سر (بفتح السين) وتعني فوق ، والثانية بال بمعنى قامة ، فتكون التسمية بمعنى فوق القامة ، أو ما فوق القامة .

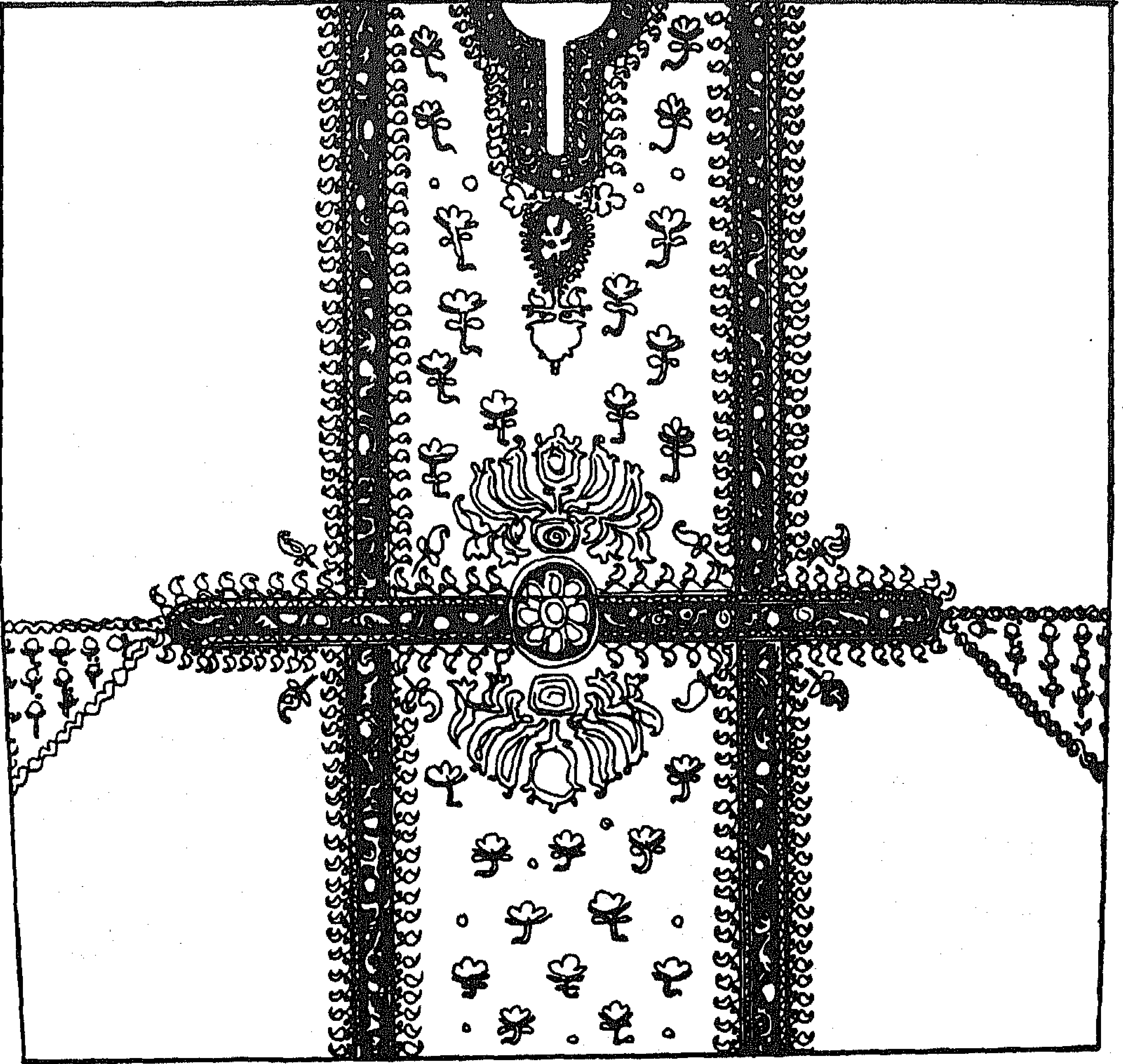
وأهم أنواع السراويل النسائية نوعان وهما :

السروال المحجل والسروال أبوقيطان :

والسروال المحجل غالبا ما تلبسه العرائس في الأيام الأولى لزفافهن ، أو يلبس في الأفراح والأعياد كعيد الفطر وعيد الأضحى ، وعيد مولد النبي ، والسروال كان يقوم مقام (البنطلون النسائى) في الوقت الراهن ، ولكنه أكثر فضفضة وإتساعا ويكون السروال من جميع الألوان ، ويفصل غالبا من قماش **الجوخ** ، أو من الأقمشة الجيدة ، ويطرز هذا السروال بخيوط الذهب أو خيوط الفضة ، وتزداد الوحدات الزخرفية كثافة كلما إتجهنا إلى الأسفل ، ويكون التطريز على شكل أطواق أو حجول متعرجة ملتوية كثيرة تحيط بأسفل الساق ، عند حجل المرأة ، ومن هنا جاءت تسميته



بالسروال المحجل ، وفى أعلى السروال عند إنفراج ساقيه ، تستعمل قطعة أخرى من قماش يغاير في العادة قماش السروال ولونه ، وهذه القطعة المركبة ، تأخذ شكل مثلث مقلوب القاعدة تسمى **السمكة** ، تشبيها برأس السمكة المثلث ، وعند خصر السروال **المحرمة** أو **(التنزيلة)** تعمل ثنية مفرغة لإدخال **الحيزة** أو **الحقب** أو **الدكة**[1] .



(١) تسمى أيضا التكه وهي رباط السراويل ، وفي كتاب ألف ليلة وليلة يرد ذكرها كثيرا خاصة في المواضع المكشوفة الألفاظ ، وكانت تعمل من الحرير والإبريسم وقد أهدى خمارويه بن أحمد بن طولون إبنته قطر الندى في يوم زفافها إلى الخليفة المعتضد ألف تكه مجوهرة .

أما السروال أبو قيطان ، فهو السروال الذى يلبس فى المناسبات العادية ، ويعمل غالبا من الألبسة القطنية الملونة ، وقد يكون مطرزا بخيوط الإبريسم أو الخيوط القطنية الجميلة ، وتتدلى من حجل هذا السروال مجموعة من الخيوط الرقيقة الملساء تسمى قيطان أو **كركوشة**(١) وهذه الوشيعة **(LA FRANGE)** ، من الخيوط هي التي تميزه عن السراول المحجل .

أما السراويل النسائية البيضاء فهي لم تستعمل إلا مؤخرا ، وقد أوشكت هي الأخرى على الأنقراض فيما عدا بعض القرى ، وينتهي حجل هذا السروال الأبيض بشريط مزخرف ، قد يطرز محليا أو يستورد من خارج البحرين ويسمى **أويه** ، وتشبه غرزه غرز الكنفاه ، كما أن هناك نوعا آخر من السراويل يطلق عليه ، السروال أبو دقة أو السروال المدقق وتنتشر الوحدات الزخرفية فى جميع اجزاء السروال ، والدقة عبارة عن وحدة زخرفية صغيرة جميلة الشكل ، تتكرر على القماش المصنوع منه هذا السروال على أبعاد متناسقة(٢) .

الدرّاعة :

وكانت تعمل قديما من الصوف الغليظ ، ويلبسها الرجال دون النساء . أما اليوم فهي قطعة من ألبسة النساء .

وهذا الزي يشبه إلى حد بعيد ، فستان (الشوال) الشائع في الوقت الحاضر ، كما يختلف قليلا عن فستان (الماكسى) من حيث أن فستان الماكسي يكون أطول وأوسع قليلا ، خاصة بالنسبة للأكمام ، فالأكمام في الدراعة ضيقة تكاد تلتصق بالذراع وتزين فتحة الأكمام بالكورار الزري وتركب قطعة من القماش على كلا جانبي الدراعة ، تسمى **التناقي** لتعطي الجسم حرية أكثر عند الحركة . وهذا الزي من الأزياء الشتوية ، وتعمل من صوف المريني أو الماهود ، وقد تدخل عدة ألوان في تشكيل الدراعة الواحدة . وهذا حسب ذوق المرأة .

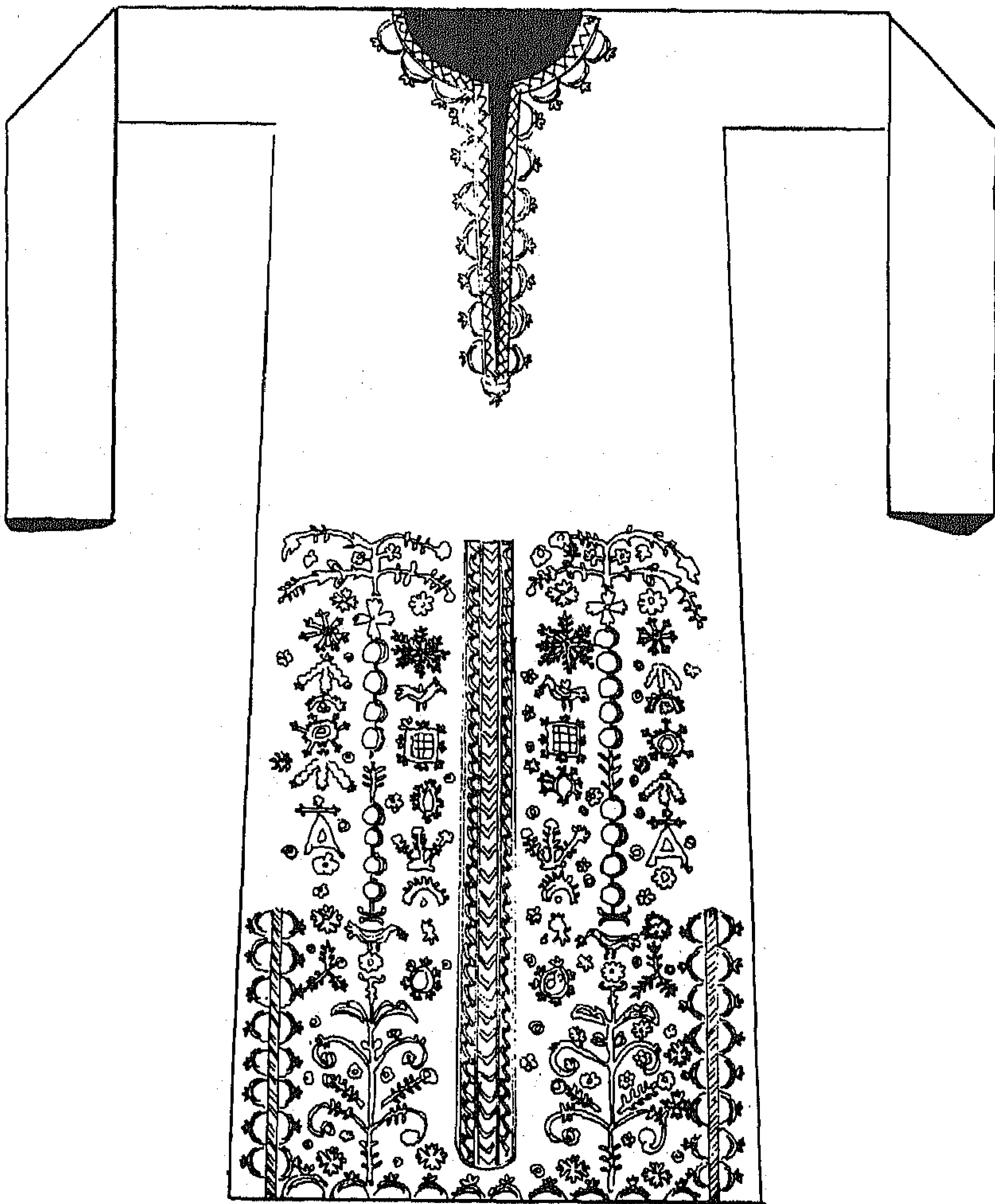
---

(١) تسمى سنبلة أو عميلة أو شماس في العباءات .

(٢) الدقة أو النقشة هي الوحدة الزخرفية ، وهناك العديد من النقشات منها ، وردة ، كازوه ، كبكب ، فرخ ، نخيه ، لوزه ، فراره ، محالة .

المشمر :

وهو لباس لايلبس فى العادة إلا داخل المنازل ، ويغطي الرأس والجسم كله ، ولكنه مفتوح من الأمام ، وربما من هنا جاءت تسميته بالمشمر ، ويكون عادة من القماش القطني الملون الشفاف ، وتكون الزخرفة فيه من ذات النسيج وتغلب عليه الرسوم التي تمثل وحدات من الأزهار والأغصان وأشكال أخرى نباتية ، ويصمم على شكل نصف دائرة ، يتخذ وضعه على الجسم بحيث ينطبق مركز نصف الدائرة على قمة الرأس ، ويتدلى على طرفي الجسم ، وتتفنن بعض النساء فى إرتدائه وطريقة لفه على الجسم ، حتى ليكاد يلتصق بالجسد ، كما تفعل لابسات (الملاية اللف) في بعض أحياء القاهرة .



الشملـــول :

وهو غير الشملة التي هي قريبة الشبه بالبردة ، ويكون عادة من القماش القطنى المطرز بوحدات زخرفية ملونة من ذات القماش ، وهو لباس يغطي النصف الأسفل من الجسد حتى القدمين ، لذا فهو قريب الشبه بالتنورة أو الجوب الماكسي الحديث . وربما هو الشنتيان الذى جاء وصفه فى كتاب لين المصريون المحدثون ج١ ص٣٩ ـ ٥٨ حيث قال :

(هناك تبان مسرفة الفضفضة والسعة إسمه شنتيان ، وهو مصنوع من القماش الملون المخطط من الحرير أو من القطن أو من الشاش الثمين الملون أو المطرز أو الموشى أو الملفوف ، الأبيض اللون الأملس الملمس ، وهو يشد حول الخصر تحت القميص بدكه ، ولكنه على درجة كافية من الطول ، بحيث أنه ينساب حتى القدمين ، أو يكاد يصل إلى الأرض عندما يشد على هذا المنوال) ، والشملول يشبه الأزار الرجالي ، إلا أنه غير مفتوح من الأمام ، وإنما يتكون من قطعة واحدة تحيط بالنصف الأسفل من الجسم ، وتقوم الخيوط التي يطلق عليها تسمية (**الدجة**) مقام الحزام ، حتى تمنع الشملول من الوقوع والإنحلال .

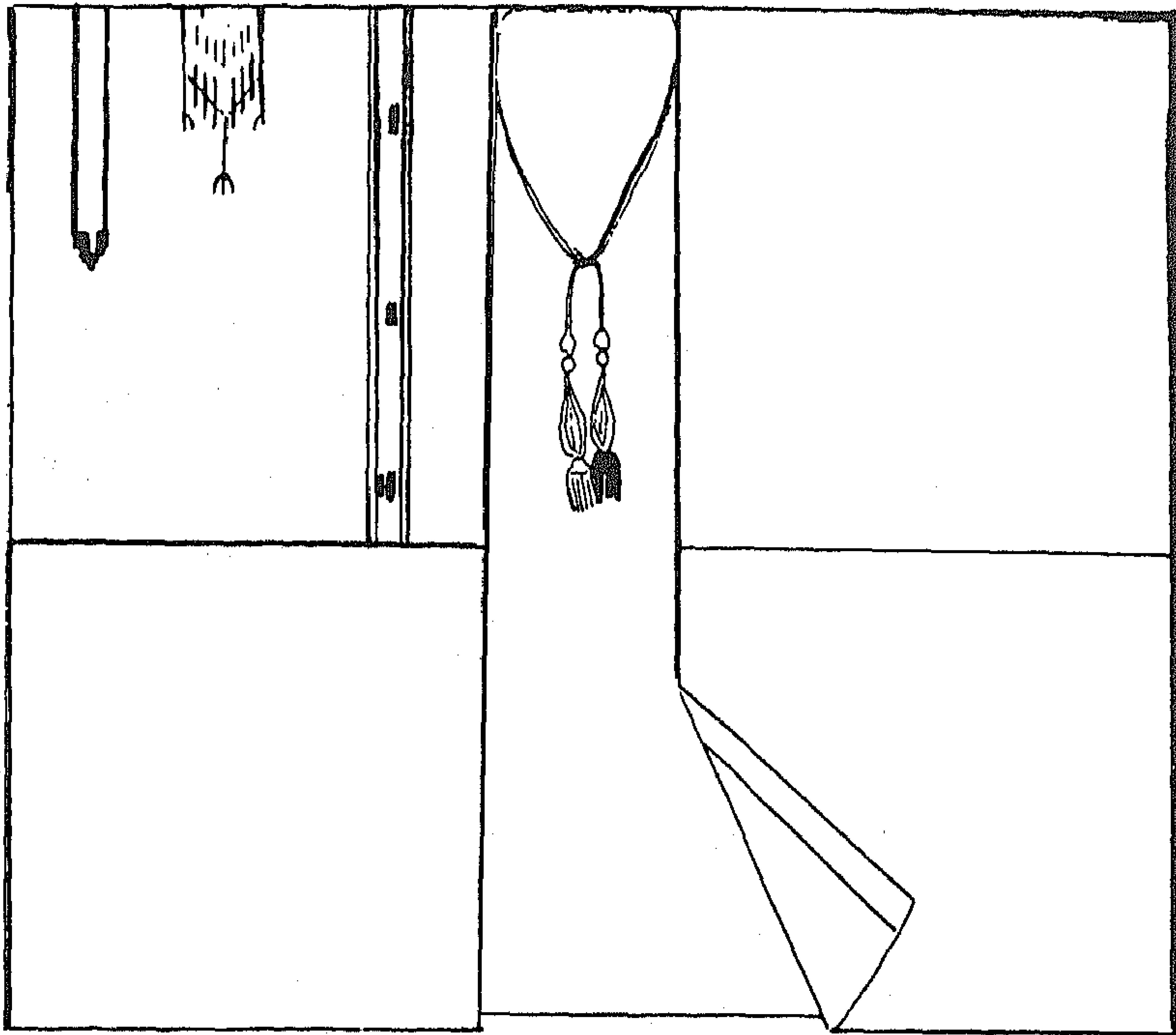
الـــرداء :

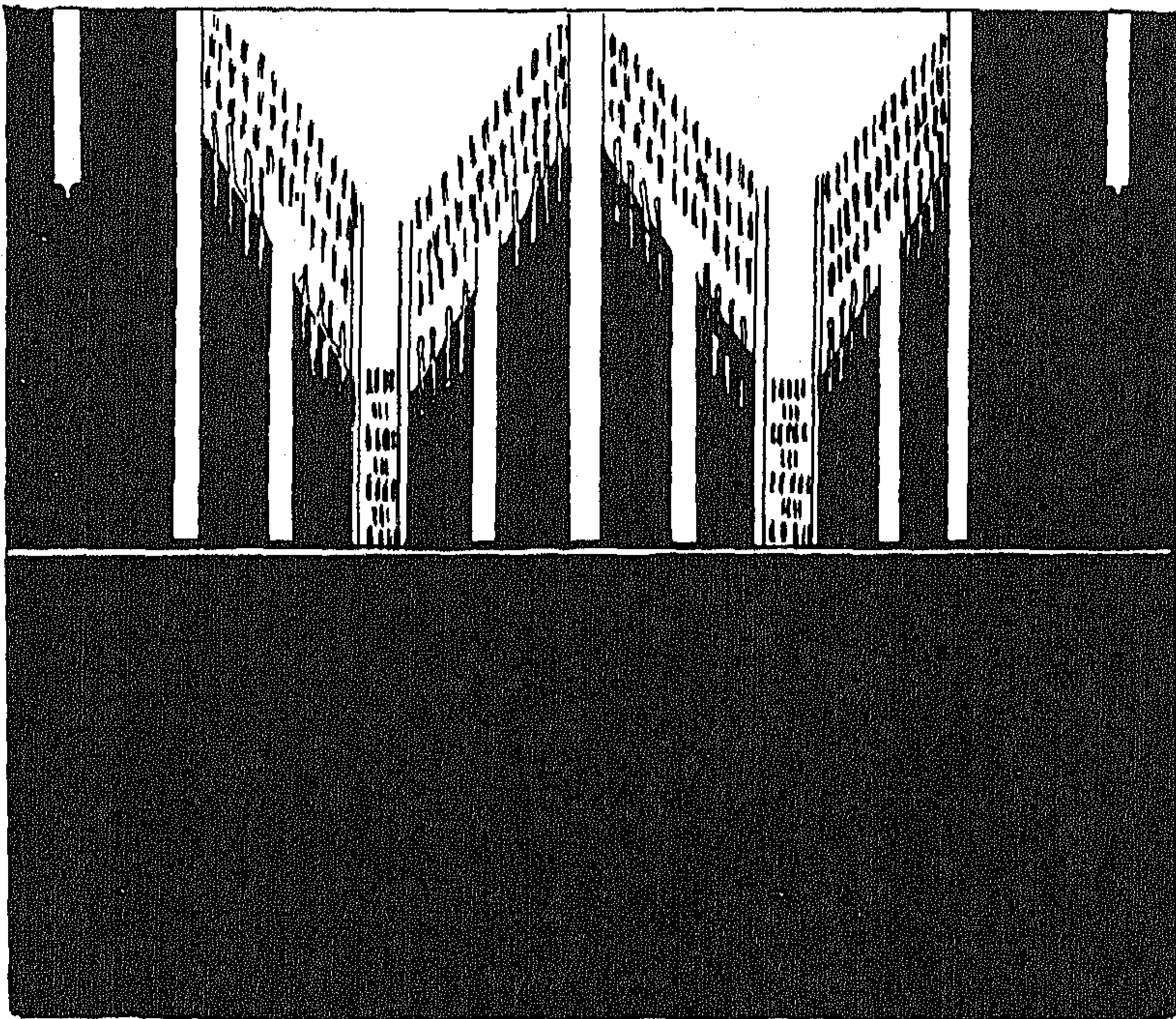
وهو قطعة مستطيلة من القماش القطني وترتديه المرأة خارج البيت ، ويكون الرداء على نوعين ، نوع يغلب عليه اللون الأسود ، ولكنه مطرز من جميع جوانبه وحواشيه بمربعات صغيرة معمولة من عدة خيوط قطنية حمراء متوازية مع خيوط أخرى من الزري .

أما النوع الآخر من الأردية ، فترتديه المرأة فى الليالي القليلة السابقة على زواجها ، حين تجلس العروس بين المدعوات ليقمن بتجميل يديها ورجليها بالحناء **والخضاب** ، ويتألف هذا الرداء من عدة مربعات صغيرة متناسقة المساحة معمولة من خيوط سوداء وحمراء من خيوط الذهب (الزري) والفضة (الشاخ) .

الشال أو البشت :

وهو يشبه العباءة واليشماغ التركي ، ويكون عادة من القماش الملون المطرز تطريزا كثيفا بوحدات زخرفية من الزري في شكل مستطيل ، وتتدلى من جانبيه عدة وشائع من الحرير أو الزري LES FRENGES ، وترتديه عادة العروس في ليلة زفافها ، ويكون من جميع الألوان ، وقد يكون الشال من القماش العادى أو من الصوف .





الملفع أو الشيله :

وهو اللفاع ، ويعمل من نوع خاص من القماش المخرم يطلق عليه **التور** ، ولا يكون الملفع إلا من اللون الأسود ، وربما هو الذى جاء ذكره في الشعر الجاهلي ، وكانت النساء تتفنن فى تطريزه وزخرفته بوحدات رقائق زخرفية رائعة من **التللى** الفضية موزعة توزيعا هندسيا متناسقا ، ويطلق على هذه الوحدات الزخرفية **بالنغده** كنقشة الهلال أو النجمة أو **المرتهش** أو أم سبع أو أم ثمان خوان ، ويستعمل الملفع كغطاء للرأس ، ويلبس بأن يلف بطريقة معينة حول الرأس ويتدلى قسم منه ليغطى الصدر ، وهناك ملفع من القطن للصلاة وغالبا ما يكون أبيض اللون ، فإن كان ملونا فيشترط في اللون أن لايكون صاخبا .

الغشـــــوة :

أو الغشواية وهي الإسم القديم لقطعة القماش التى كانت المرأة تستر بها وجهها ، قبل ظهور الحجاب الحديث ، عند خروجها من منزلها ، وهي تتدلى من مقدمة الرأس أعلى الصدر وتغطي الوجه كله ، وهي غير البرقع الذى يلبس على الوجه في بعض مناطق الخليج . والجدير بالذكر أن البحرين لم تعرف البرقع كقطعة لباسية محلية . والغشواية الآن تسمى البوشية ، وبالنسبة للعروس تكون الغشواية من القماش الأبيض الشفاف ، وتطرز بخيوط الزري ، أما الغشوايه ذات اللون الاسود المطرزة بالنغدة فتلبسها المرأة فى جميع المناسبات ، وتتفنن بعض النساء في زخرفة الغشوايه بأنماط ووحدات زخرفية غاية فى الجمال والتناسق ، حتى لتخالها تحفة فنية رائعة .

وإلى جانب هذه الأزياء النسائية هناك عدة أزياء أخرى من الصعب حصرها ، منها على سبيل المثال :

خف الناقة ، دق النبرة ، خف القوارين ، أبو الفحوح ، دبابة ، بخية ، دربونة .... الخ

ومن الطريف أن نشير ونحن في معرض الحديث عن الأزياء النسائية فى البحرين ، إلى أنه فى بداية قدوم الأقمشة القطنية المنسوجة فى خارج البحرين ، كانت النساء تطلق على بعض أنواع هذه الأقمشة ذات الزخارف المعينة ، تسميات غاية فى

الطرافة ، وذلك تمييزا لها عن بعضها البعض مثل :

دح الماية ، عين عذارى ، المحرقة ، حمام الباخشة ، دبوحية ، عيون حبيبى ، لسان حماتى ، دموع شادية ، ضحكة فريد الأطرش ، وغيرها من الأسماء والتشبيهات الطريفة .

الأزياء الرجالية :

لقد كانت البحرين وما زالت تعج بمختلف الأزياء الرجالية ، فلم يكن هناك في أى وقت من الأوقات زي موحد أو على الأقل أزياء متقاربة ، كما أن الازياء التي كان يرتديها الفلاحون هي غير الأزياء، التي يلبسها رجال البحر المشتغلون بالغوص أو رجال الدين ، وهى أيضا غير الأزياء التى يرتديها وجهاء البلد ، من التجار أو غيرهم من العامة .

ولكن من الممكن القول عموما ، أنه كانت لكل حرفة من الحرف التى تمارس فى البحرين أزياء معينة تقريبا .

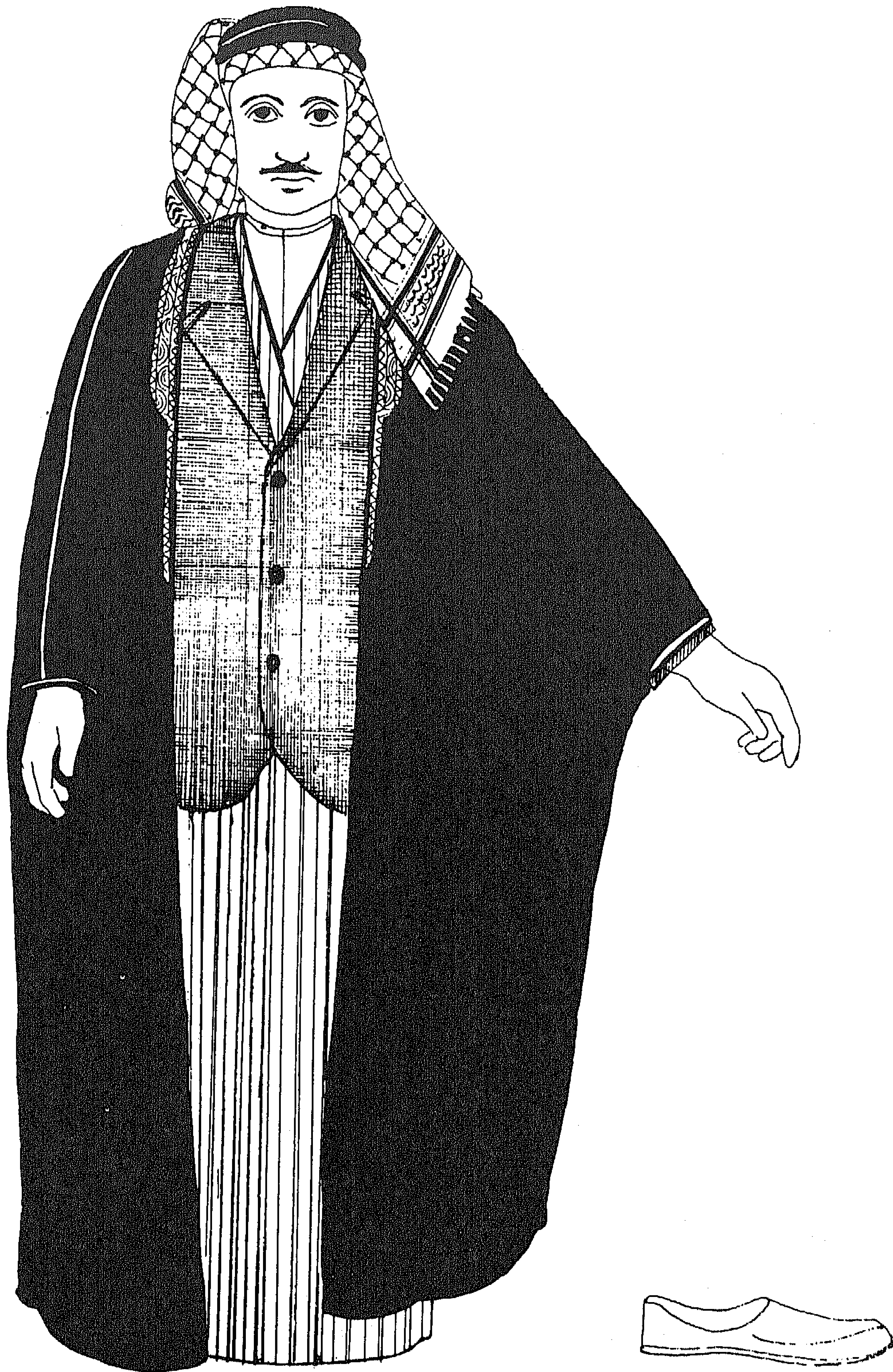
ولعل السبب فى هذه الفوضى في الألبسة ، هو وجود جاليات كثيرة وكبيرة من الأقطار المجاورة كبلاد فارس والهند والباكستان ومن شرق آسيا كالفلبين وتايلاند ، فوجود هذه الجاليات أثر تأثير كبيرا ولا شك في تنوع الأزياء وعدم إستقرارها على نمط معين ، كما أن فرص السفر إلى الخارج والإحتكاك بمختلف الشعوب ، كانت وما زالت متاحة بشكل أكبر بالنسبة للرجال ، وهذا السبب أيضا هو من الأسباب التى أدت إلى تباين أزياء الرجال بدرجة أكبر من أزياء النساء

أما أهم القطع اللباسية الرجالية فهي :

الثوب :

وتعرف الثوب في بعض الأقطار العربية بإسم الدشداشة ، وهو الزي الذي يرتديه معظم الناس في البحرين تقريبا ، سواء كانوا من سكان المدن أو من القرى .

ومن الألوان التي تعمل منها الأثواب يفضل اللون الأبيض ، وذلك لقدرة اللون الأبيض على طرد حرارة الصيف التي تستمر أشهرا طويلة في البحرين ، ولكن على العكس نجد أن عمال البحر الذى يشتغلون في صيد السمك أو صيد اللؤلؤ ، يفضلون غالبا الثياب الملونة ، وذلك ربما تفاديا لإتساخه وكثرة غسله وتنظيفه .



أما عن القماش الذى تخاط منه الثياب فيعتمد على نوعية الطقس على مدار السنة ، فإن كان الفصل شتاء فقد كان الناس يلبسون الأثواب الصوفية أو القماش الثقيل **كالخام** ، أما في الصيف فيلبسون قماش **البافتة** وأبو خوخة وفي عز الحر يلبس بعض الناس قماش **الململ** . وهو من الأقمشة الناعمة الرقيقة .

وتوجد فتحة في الثوب عند الرقبة تسمى الجيب وكانت الثياب فى القديم بدون ياقات ، ثم أصبحت بعد ذلك بياقات والآن عادت وإختفت الياقات ، وتزرر فتحة الرقبة الثوب أما بالأزرة المعمولة من الأصداف البحرية ، أو بخيوط تلف على بعضها في شكل كروى صغير تسمى **الدكمة** وهي تسمية عراقية ، ولكن الموسرين ومحبي الأناقة يستعملون الأزرة الذهبية المثبتة في سلسلة ذهبية تتدلى على طول فتحة الجيب ، وتصاغ الأزرة الذهبية على شكل بيدق الشطرنج الصغير .

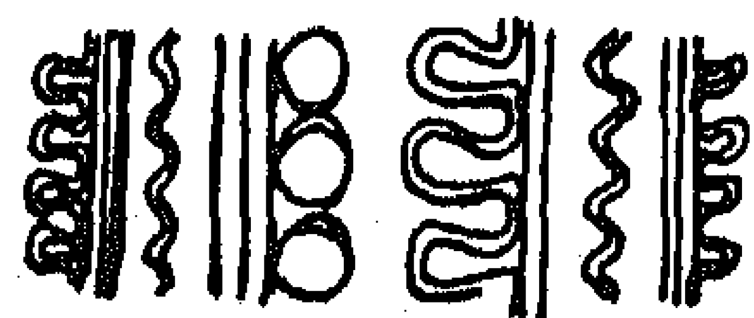
والثوب أما أن يكون متوسط الإتساع أو فضفاضا عند فتحة الأكمام كما هو الحال عند رجال القبائل العربية ، ويكون عادة مزخرفا بخيوط قطنية بمحاذاة آلجيب والأكمام ، وهو ما يعرف **بثوب الشد** .

الدقلـــة :

وهي قريبة الشبه من الزبون العراقي من ناحية الطول ، ولكنها تختلف عنه من جهة أن الأكمام في الدقلة تكون غير مشقوقة ، وكذلك الحال بالنسبة لجانبي الزبون المشقوقين ، وهى تشبه السترة العراقية إلا أنها أطول منها بعض الشيء ، وربما كانت الدقلة مشتقة من تصميم الزبون أو السترة العراقية مع بعض التحريف . ولما كانت الدقلة من الألبسة الشتوية فهي غالبا ما تعمل من الصوف وتبطن عادة ببطانة من قماش آخر أملس الملمس . ولا توجد ياقات في الدقلة وإنما تحيط فتحة الرقبة ، ياقة في شكل دائرى ، وهي من الألبسة التى تكلف كثيرا ولهذا فلا يقتنيها إلا الناس الموسرين .

الصديرى :

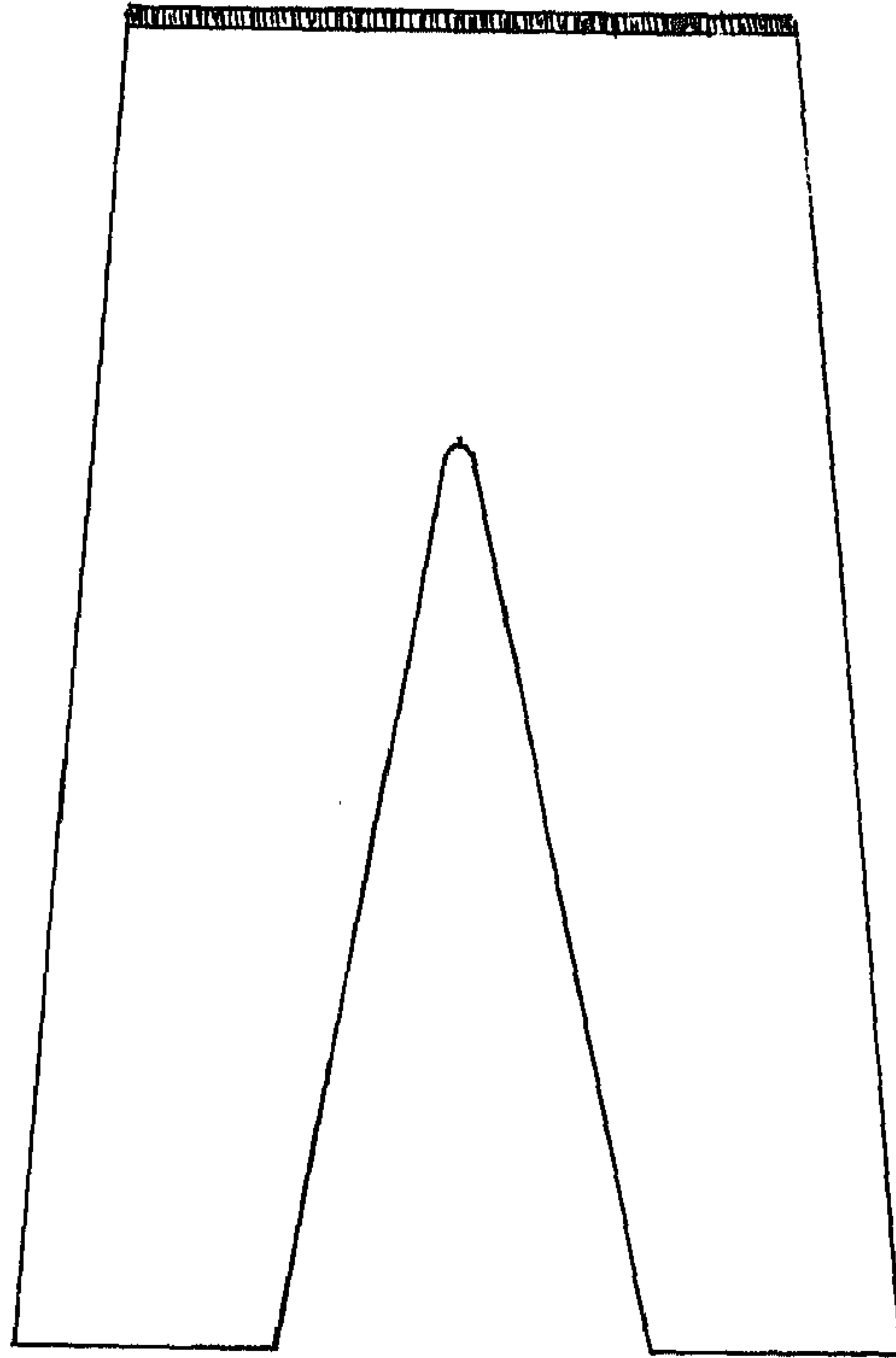
وهو الزي الذى يحفظ الصدر من البرد ، ويلبس فوق الثوب ، ومن كلمة الصدر إشتقت تسمية الصديرى ، والصديري إما أن يكون من الصوف ويلبس في الشتاء ، وأما أن يكون من قماش الململ الأبيض الخفيف ويلبس في الصيف . ويزرر الصديري



القطني بأزرة معمولة من الخيوط القطنية على شكل كرات صغيرة . ومن المرجح أن يكون هذا النوع من الصديرى هو الصديرى المحلى ، أما الصديرى المصنوع من الصوف فهو الصديرى القادم من الخارج .

والسروال :

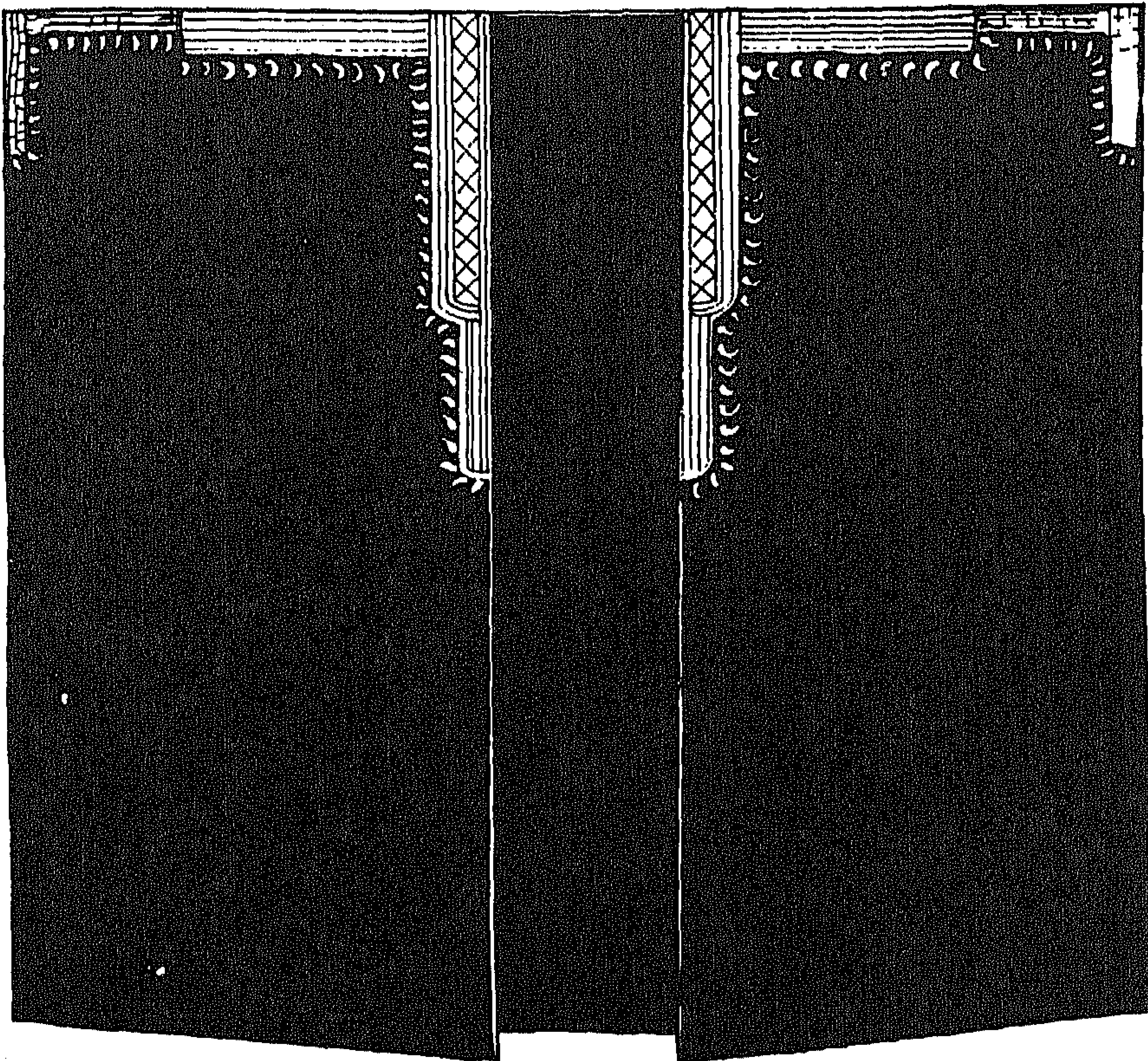
لم يكن لبس السروال الطويل مقصورا على النساء فقط ، فقد كان يلبسه الرجال أيضا ، وكان يسمى سروال أبو حيزة أو أبو دجة ، والدجة هي خيط متين قوي يقوم مقام الحزام ويحفظ السروال من السقوط . وغالبا ما يكون السروال من اللون الأبيض ، ويلبس السروال تحت الثوب زيادة في الحشمة ، أما **الأزار** ويسمى **الوزار** فى العامية ، فهو عبارة عن قطعة من القماش مستطيلة الشكل . ويلبس الأزار بأن يلف على النصف الأسفل من الجسم ويعقد طرفاه العلويان في وسط الجسم عند السرة ، وذلك بطريقة تمنعه من السقوط .



وغالبا ما يكون الأزار من اللون الأبيض الموشى بحاشية ملونة الحافتين العليا والسفلى ، وهناك أنواع من الأزارات مزخرفة ومتعددة وهذه الأنواع مستوردة من خارج البحرين ، وأشهرها الأزار الملبارى المستوردة من ملبار في الهند .

البشت والعباءة :

والبشت تسمية فارسية وهي قطعة لباسية تلبس فوق الثوب ، وحتى وقت قريب كان البشت ينسج محليا ، وهو يصنع من الصوف أو الوبر ويغطي الجسم كله من الأكتاف حتى القدمين وتكون فتحة الكم ضيقة ، وهو مفتوح من الأمام من أعلى إلى أسفل ، وتزين حواشي هذه الفتحة وكذلك فتحة الأكمام بزخارف من خيوط الذهب أو الزري تكون بشكل أعرض عند الصدر من بقية حواشي البشت .

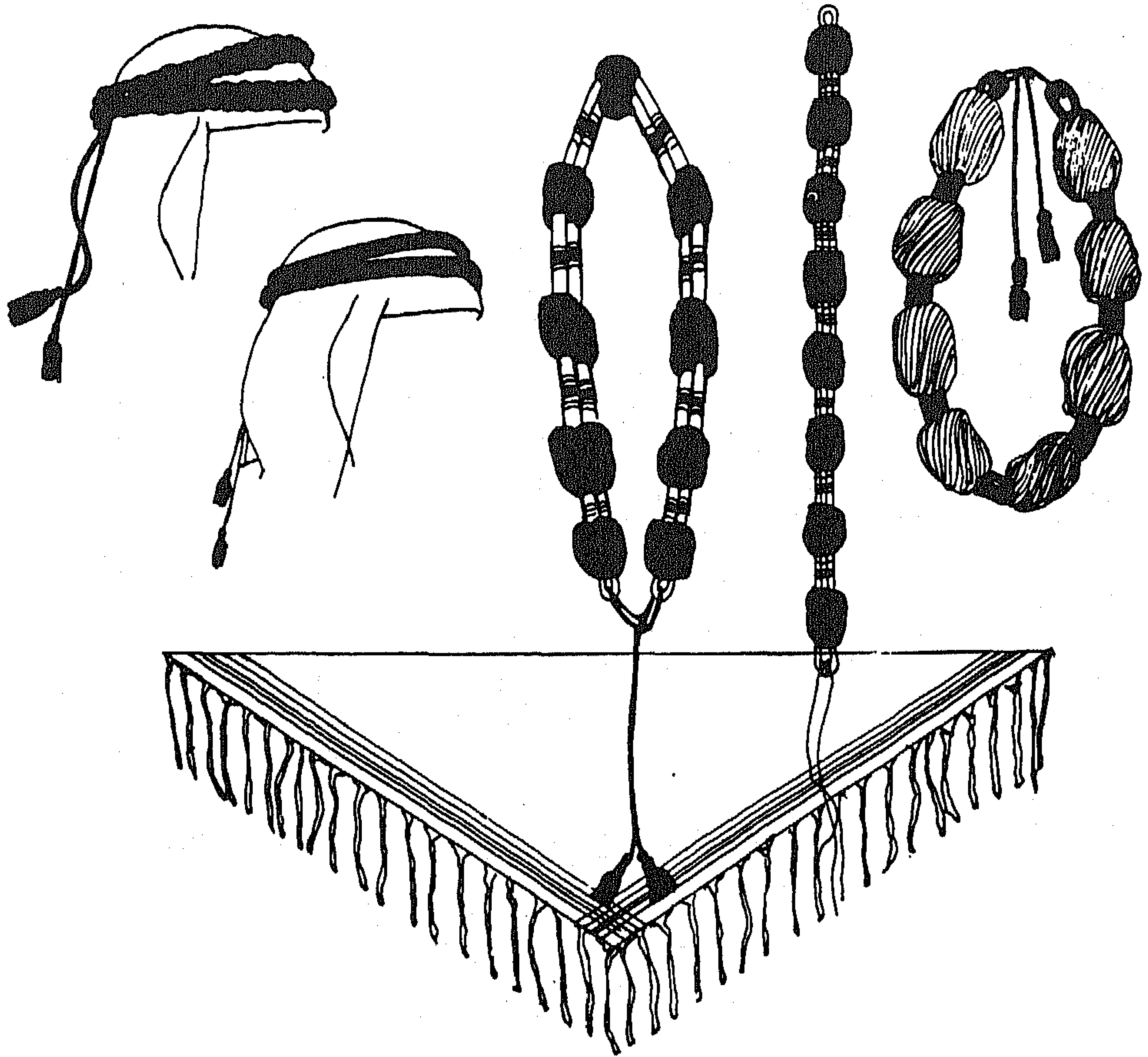


أما **العباءة** فهي لاتختلف من حيث الشكل والتفصيل عن البشت ، ولكن يكون الإختلاف من حيث نوعية القماش واللون ووقت الإستعمال . فالعباءة هي دائما سوداء أما البشت فلا يشترط فيه أن يكون أسود اللون فقد يعمل من جميع الألوان ، كما أن العباءة لاتلبس إلا في الشتاء فقط .

ومن أشهر العباءات ، العباءة الدقا والعدونية من العراق ، والكيلانية من الإحساء ، والماهود من أنواع البشوت ، الدربوية ، المكسر ، والنجفى والبهبان والمرينه .

العقال والشطفة والعمامة :

هذه الألبسة الثلاثة هي من أشهر ألبسة الرأس في البحرين ، وهناك غيرها مثل الغترة والشال والقحفية .



والعقال هو من أقدم ألبسة الرأس ، وكان العقال في الأصل حبلا يعقل به البعير ، وهو عبارة عن حبل يمسك قطعة القماش التى يضعها البدوي علي الرأس ، ثم تطور فأصبح يعمل من الوبر أو الصوف أو من المرعز ويكون أسود أو أبيض . واللون الأبيض لايستعمله الناس إلا نادرا . والعقال يتكون من طوقين ولكن لايستبعد أنه بدأ بطوق واحدة ، ويلبس عادة مع الغترة .

أما الشطفة فهي عقال مشطوف ولا يستبعد أنها عبارة عن عملية تطوير للعقال ، وهي محلاة بالقصب ، أو بخيوط الذهب ، وتتكون من أربعة أطوق متصلة بأربع لفات من جهاتها الأربع وتأخذ الشكل المربع . وهي لباس الأغنياء والوجهاء ، وتلبس عادة مع الشال .


● صلاح المدني بالعمامة عندما كان عمره ١٤ عاما .

اما العمامة فهي معروفة منذ صدر الاسلام وهي عبارة عن قطعة مستطيلة كبيرة من القماش المزخرف بخيوط الإبريسم ، وتلف بطريقة معينة صبعة التقليد حتى تكون شكل الحلق الكبيره يحيط بجمجة الرأس ، ولا تلبس العمامة مع الغترة وإنما تلبس مع القحفية . والعمامة قد تكون بيضاء أو خضراء أو سوداء . تبعا للطبقة الاجتماعية والدينية التي ينتمي اليها لابس العمامة . وبعد ان كانت زياً شعبياً يلبسها الوجهاء ، الا انه مع مرور الزمان اقتصرت العمامة على رجال الدين ، لدرجة ان اصبح يطلق على رجال الدين تسمية اصحاب العمائم . وفي وقت ما (ما بين ٦٢٣ ـ ٧٧٣هـ) وعلى الاخص في عهد بيبرس كان يلبس فوق العمامة طرحه وهي عبارة عن وشاح يُلف فوق الرقبة ويسترسل حتى الكتفين ، كما كان الطيلسان

وهو غريب الشبه بالطرحة يلبس فوق العمامة ، وهو من الملابس التي صغر حجمها ثم اختفت مع مرور الوقت[1].

والغترة قطعة مربعة الشكل من القماش الأبيض ، ومشغولة من أطرافها الأربعة بوحدات كروية صغيرة متشابهة من نفس قماش الغترة تسمى **الهدب** . وتطوى الغترة من طرفى الزاويتين المتقابلتين حتى تكون شكل المثلث ثم توضع على الرأس ويوضع العقال عليها وقد تلبس بدون عقال ، أو تطوى بطريقة خاصة تسمى **جرينبه** . ويأخذ الشال نفس شكل الغترة ، ولكنه يختلف معه في المادة المعمول منها ، فالشال يكون من الصوف ، بينما تكون الغترة من الأقمشة القطنية .

ويطرز الشال بزخارف ملونة جميلة في شكل شريط يحاذي حواشي الشال ، في وحدات زخرفية متكررة في وسط الشريط المربع .

أما عن **القحفية** فنعتقد أن كلمة قحفية مشتقة من كلمة قحف أى العظمة التي فوق الدماغ . وهي تقابل الكوفية . وقد قرأنا رأيا آخر عن أصل التسمية[2] يرى أن هناك رأيين فى أصلها :

(الأول : أنها تسمية عربية مقتبسة في الأصل من اللغة اللاتينية ، والكلمة قريبة الشبة بالكوفية العربية .

أما الثانى : وهو الأرجح فإن الإسم (كوفية) جاء نسبة لمدينة الكوفة ، ويذكر أن أحسن من كان يصنعها من العباسيين هم أهل الكوفة ، ويؤيد إشتقاقها هذا ماجاء فى معنى (التكوف) وهو الإستدارة) .

وللرد على هذا الرأي نورد ما قاله رينهارت دوزي٠ ، وهو حجة في موضوع الملابس عند العرب .

(١) ل . أ ـ مايو ، ترجمة صالح الشبتي ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) من مقال عن الأزياء الرجالية التقليدية في دولة الإمارات ، المأثورات الشعبية ، العدد الرابع ، ١٩٨٦ .

(وقد رأينا حول كلمة طاقية في نص للمقريزي أن جمع كلمة كوفية هو (كوافي) ولا أعتقد أن أحدا تسول له نفسه أن يخلع على كلمة كوفية أصلا عربيا ، أما أنا أي (دوزي) فأعتقد أن كلمة كوفية ليست إلا كلمة CUFFIA الإيطالية وCOFIA الإسبانية و COIFFE الفرنسية وCOIFA البرتغالية ، وإفترض كذلك أن الشرقيين استعاروها من الإيطاليين الذين كانوا يمارسون التجارة في الموانىء المصرية والسورية في القرون الوسطى

والناس في البحرين لايلبسون القحفية لوحدها كما هو شائع في بعض البلاد العربية الأخرى ، وإنما توضع تحت الغترة أو الشال ، وربما يكون المقصود من هذه الطريقة هو الحاجة إلى الدفء ، أو لتثبيت الغترة والعقال على الرأس ، أو ربما يكون حفظا للغترة من عرق الرأس في الأيام الحارة .

وهناك نوع من القحافي أو القحفيات خاصة بالأطفال ، تعمل من نوع من القماش الأبيض الخفيف ، ويوضع له **فرفري** في نهاية الفتحة التي تحيط إستدارة الوجه . ونوع آخر منها ملون يرصع **بالفولك** .

صناعة السلال :



● صانع السلال

من قديم الزمان والبحرين تشتهر بزراعة النخيل ، وهناك الكثير من علماء النبات ممن يعتقد أن الموطن الأصلي لشجرة النخلة ، هو الأجزاء الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ويحدونه بجزيرة (حرقان) في البحرين ، ومنا إنتقلت إلى بابل ، وقد أطلق اليونانيون القدماء على الأقوام التي هاجرت من البحرين إلى سواحل الشام ، إسم **(Pheinicie)** أي النخلة ، وذلك عندما عرفوا مدى المكانة الرفيعة التي تحتلها في قلوب هؤلاء المهاجرين.

كما وأطلق بعض الرحالة على جزيرة البحرين ، تسمية (الجزيرة ذات المليون نخلة) بسبب كثرة ماشاهدوه من أشجار النخيل في هذه الجزيرة .

أما الآن فلا يزيد عددها عن (٤٠٠) ألف نخلة ، ومن هذا العدد هناك (٢٥٠) ألفا مثمرة و(١٥٠) ألفا غير مثمرة ، وكلها مزروعة على (٢٥٠٠) هكتار[1] .

وقد تردد إسم النخلة كثيرا في نصوص الأدب السومري ، والنخلة من أكرم الأشجار التى تزرع فى البحرين ، وقد أوصى الحديث النبوي بها خيرا حينما قال : (نعم العمة لكم النخلة ، تغرس فى أرض خوارة وتشرب من عين خرارة) .

ومواسم هذه الثمرات ينتظرها الناس بشوق ولهفة ، وبجانب هذه الثمرات الطيبة فهي تعطي **الليف** الذى تصنع منه الحبال اللازمة فى البناء حيث تلف على أعواد **الجندل** تقوم مقام اسياخ الحديد مع الإسمنت ، وكذلك فى السفن ، حيث تقوم مقام المسامير ، كما توضع الليفة في فوهة **دلة** القهوة لتمنع خروج **الهيل** الحبهان **وحثال** القهوة في **فنجال** القهوة ، وحبال الليفة متبينة وقوية خاصة إذا نقعت في الماء .

هذه البيوت مبنية من جريد النخل ، ويستخدم في بنائها الحبال والخوص والحصر وكانت تجارة هذه المواد في القرون الماضية من التجارة الرائجة في منطقة الخليج وتصدر البحرين الجريد والحبال والخوص الى العديد من المناطق السكنية في منطقة الخليج العربي وسواحل فارس .

كما وأن المسيحيين الأوائل إستقبلوا السيد المسيح بسعف النخيل ، ولهذا أصبح يوم (أحد السعف) يوم مقدس من دون غيره من أيام الأسبوع لدى المسيحيين .

ويذكر بليني المؤرخ اليوناني أن هناك (٤٩) نوعا من أنواع التمور ، بينما يقول البابليون أن له (٣٦٥) فائدة وعملوا منها وصفات طبية وعالجوا به الدمامل ، والقروح وأنواع من مدواة العيون[2] .

وجميع أجزاء النخلة نافعة ، ولكل جزء منها فائدة خاصة ، ويستعملونه في إستعمال من الإستعمالات . بالإضافة إلى البلحة ثمرة النخلة ، فهى تعطى **الجدب** وهو لب النخلة ، كما تثمر أيضا **الطلع والجرموز** .

---

(١) من مقال عن النخيل منشور في جريدة الخليج الشارقية ١٩٨٥/٧/٨م

(٢) من مقال عن النخيل منشور فى جريدة أخبار الخليج ١٩٨٨/١١/٢٢ .

وقد ورد إسم النخلة في القرآن الكريم فى سورة الأنعام وسورة طه وسورة الكهف وسورة الشعراء وسورة القمر وسورة الرحمن وسورة الحاقة وسورة مريم وسورة البقرة وسورة الرعد وسورة الإسراء وسورة المؤمنون وسورة الحشر وغيرها من السور .

وتستخدم جذوع النخيل فى تسقيف المنازل ، أو تقام على الجداول والغدران لكي تكون بمثابة جسور يمر عليها **العابرون** من الفلاحين وغيرهم .

وحتى وقت قريب كان الناس يقيمون منازلهم ، أو يسورون مزارعهم بسعف النخيل (**الطرف**) ، وقبل أن يستخدم الناس الكيروسين أو النفط الأبيض (**الجاز**) والغاز والكهرباء في طهي الطعام ، كانوا يستعملون بعض أجزاء النخلة الجافة مثل السعف (**الطرف**) **والكرب والقدف والسجين** .

ومن قديم الزمان، أي منذ سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد كان الإنسان يصنع من منتجات النخلة طحين النشأ، والورق والشمع والجعة (البيرة) .



كما كان يصنع منها الخمور وذلك بأن تقطع البلحة إلى قطع صغيرة ، ثم تنقع في الماء حتى تتخمر ، ويتحول المحلول إلى سائل روحي ، ثم يقطر حتى يتحول إلى كحول ، ثم يعاد تقطيره عدة مرات إلى أن يزول عنه طعمه غير المقبول ورائحته الكريهة .

ويطلق على ثمر النخلة عندما يكون أخضر صغيراً فى حجم الحمصه إسم حبة أو **حبمبو** فإذا كبر قليلا سمى **خلالا** فإذا نما وتلون سمى **بسرا** فإذا نضج سمى رطبا ، فإذا أرطب وخزن سمى تمرا[1] وإذا سلق ثم وضع تحت حرارة الشمس سمى **سلوقا** . ويعتبر النخيل من المحاصيل الذى لاتكلف زراعتها مجهودات كبيرة إذا ما قورن بزراعة غيره من المحاصيل ، فهو مثلا لايحتاج إلى ري وتسميد ، كما لايحتاج إلى عمليات زراعية كغيره من المحاصيل .

والنخيل من أقل المحاصيل نفقة ، وأكثرها ربحا لو أحسن إستغلاله[2] . فإذا ما أريد لزراعة النخيل أن تأتي أكلها ، وتستمر فى عطائها كما كانت دوما ، وتزيد من مردودها الإقتصادى ، وجب :

أولا : وقف عمليات الإعدام التى تمارس الآن بقسوة ووحشية لانظير لهما بالنسبة لاشجار النخيل .

ثانيا : القيام بمجهودات كبيرة لإرشاد المزارعين إلى أحسن السبل العلمية في صناعة النخيل .

ثالثا : إنشاء الشركات المساهمة لزراعتها والحفاظ عليها وتسويق منتجاتها محليا وخارجيا .

كما تعتبر عملية قطع السعف من النخلة من العمليات الدقيقة ، لهذا يجب أن تتم بعناية فائقة ، ذلك لأن النخيل من النباتات ذات الفلقة الواحدة ، فأي خطأ في عملية بتر الأغصان كفيل بأن يميت النخلة بأكملها .

وما ذكرناه سابقا لايستغرق كل إستعمالات النخيل ، بل مازالت هناك إستعمالات أخرى حياتية كثيرة من الصعب حصرها كلها ، ولقد صدق الشاعر ، حينما أراد حثنا على التحلي بأخلاق النخلة ، عندما قال :

---

(١) أحمد بك ندى ، حسن الصناعة في علم الزراعة ، ج٢ (٣٧٧) .
(٢) حسن مرعي ، النخيل والفاكهة ، ج١ (ص ١١١) .

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا   يرمي بصخر فيلقى أطيب الثمر

وكذلك عندما قال زهير بن أبي سلمى :

وهل ينبت الخطي ويشجه   وتغرس إلا في منابتها النخل

ومن أمثلة المنتجات من خوص النخلة وأليافها نشير إلى :

الحصير :

وهو البساط الذى يسف من الخوص بطريقة خاصة ، ويستعمل فى المنازل للجلوس عليه . وقد يكون الحصير منقوشا ملونا وقد لايكون ، وجمع الحصير : حصران ، وقد جاء ذكره فى التلمود (وتصنع من جريده وخوصه الأواني والحصران وغيرها من الأثاث) وسف الحصير لايختلف كثيرا عن سف السفرة ، لكن الفرق أن السفرة مستديرة ، وأن الحصير قد يكون مستطيلا أو مربعا ويستخدم الحصير للجلوس عليه بينما تكون السفرة كبساط لمفارش الأكل .

الزبيـــل :

وهو وعاء لوضع الحاجيات المنزلية كالأدام والخضروات وغيرها ، كما يستعمل الزبيل لنقل الأتربة والحجارة ، وقديما كانت توضع فيه ثياب العروس عند إنتقالها من بيت والدها إلى بيت زوجها وهو مايطلق عليه **الحوال** ، وغالبا ماتكون للزبيل **عروتان** تعمل من الحبال أو الخوص لتيسير حمله ومسكه .

الميـــص :

وهو أيضا من أنواع **الزبلان** ، ويختلف عن الزبيل العادى من ناحية الحجم فقط ، فالميص أكبر حجما من الزبيل العادى ، ويضع فيه السماكون السمك لعرضه للبيع فى الأسواق ، قبل إنشاء السوق المركزي حيث لم تكن هناك منصات وكان السمك يُباع على الأرض مباشرة، وقبل إختلاف طرق عرض السمك، وإنشاء سوق السمك.

القفة :

وهى أصغر حجما من الزبيل ، وتستعمل لحفظ الأقمشة وغيرها من الأدوات المنزلية ، وتكون مزخرفة ومنقوشة بنقوش جميلة ، وغالبا ما تستعمل القفة لتصفية الأرز وغسله ، وكانت تقوم مقام **المشخال** المصفى المعدنى الذى يستخدم هذه الأيام لتصفية الأرز .

السفرة :

وهى بساط دائرى ، له عروة أو عروتان تعمل من ليف النخيل لتسهيل تعليقه على الجدار ، وتنقش السفرة بمختلف النقوش والألوان ، وكان الناس يتستعملونها بدلا من المفارش أو طاولة الطعام في الوقت الراهن عندما كان الأكل يعرض على الأرض ويتم تناوله جلوسا .

القلة :

وهي وعاء كبير يوضع فيه البلح عندما يصبح تمرا ، ليحفظه من التلف والأتربة عند التخزين ، وتكون إسطوانية مقفولة من أعلى ومن أسفل بحبل من الخوص ، ولا تستعمل النقوش في سفها ، وتستخدم أحيانا **كظرفة** للجلوس عليها بعد أن **تخفس** بطريقة معينة .

المروحة :

ويطلق عليها أيضا **المهفة** وتكون مربعة الشكل من قطعة صغيرة من الخوص المسفوف ومثبتة بعصا قصيرة من أحد أطرافها للإمساك بها وتحريكها يمينا وشمالا ، وهي منقوشة بزخرفة جميلة ، وكانت تستعمل للتخفيف من وطأة الحر ، قبل إنتشار المراوح الكهربائية وآلات التكييف .



المرحلة :

وهى وعاء كبير من الخوص له عروتان كبيرتان من الليف ، ويسف بطريقة أكثر متانة من غيره من الزبلان ، ولا تكون المرحلة منقوشة لعدم الحاجة إلى النقوش فيها ، فهى تستخدم فى حاجات نفعية محضة ، ويضعها الباعة الجوالون على ظهور الحمير لحمل مبيعاتهم ، وتستعمل كذلك لنقل الأتربة ، وتتدلى عادة مرحلتان على الجهتين من فوق ظهر الحمار ، وذلك حفظا للتوازن ومنعهما من الوقوع .

المخمة :

وهى المكنسة ، وتصنع من خوص السعفة ، ولا يجرد الخوص من السعفة ، بل تجزء السعفة إلى عدة أجزاء تشد بشريط من الليف وقد تعمل المخمة أيضا من عذق النخلة وشماريخها ، بعد أن يؤخذ منه البلح ، كما تعمل من هذا العذق أيضا **القرقورة** وهى وعاء واسع على شكل كرة مفرغة يوضع فيه الدجاج فى الليل .

القرو :

وهو وعاء مجوف كبير معمول من جذع النخلة بعد أن يقطع إلى أجزاء يشكل عدة **قراوه** ، يوضع بداخلها طعام البهائم عند إطعامها .

وبعد أن تعرى السعفة من خوصها تبقى العصا ، وتستعمل عصى السعف بعد أن تقسم إلى أطوال معينة حسب المطلوب ، ثم يشك مع بعضه بثقبه وإدخال أطرافه في هذه الثقوب ، مع إستعمال الحبال في صنع **السجم** وهو السرير للعادى في الزمن الغابر ، كما يصنع منها **المنز** وهو سرير الطفل .

كما وتعمل من أعواد النخيل مصائد الأسماك **الحضور والأكواخ والبرستجات** . ومن عوسج النخلة يعمل قرقور صيد الأسماك ، كما يعمل **السباق والسلة** وهى الآنية التى يقدم الرطب فيها للضيوف ، **والمخرفة** التي يحملها الفلاح معه عندما يصعد النخلة ليجمع فيها الرطب .

على كل حال ، أنا أعتقد بأنه يجب أن يفرد مؤلف خاص يشرح نتاج النخلة وإستخداماته ، على إعتبار أن هذا النتاج هو أيضا شكلا من أشكال التراث الشعبى .

الفصل الثالث

الألغــاز

الفصل الثالث

الألغـــاز

يطلق على الألغاز في اللهجة الدراجة إسم الحزاوي أو الحزايات ، وهذا اللون من ألوان التراث الشعبي إنقرض أو هو على وشك الإنقراض ، وذلك لعدة أسباب :

أهمها في نظرنا تغير الذهنية وعدم وجود الوقت الكافي لدى الناس لمطارحة الألغاز ، وإن كان ثمة فراغ لدى الناس ، فوسائل الترفيه الحديثة كالراديو والتلفزيون والسينما كفيلة بالقضاء عليه .

وتضيف الدكتورة نبيلة إبراهيم إلى هذه الأسباب ، فتقول[1] :

(على أن اللغز أوشك أن يختفي مع عصر الحضارة والمدنية الذى نعيشه ، ولم يختف اللغز وحده ولكن المقدرة على حل اللغز أوشكت كذلك على الإختفاء ، لقد نسى فى زحمة المدنية وزحمة متطلباتها أن اللغز وسيلة أساسية للتربية ، ذلك لأنه يعلم الأطفال والكبار معا كيف ينظرون إلى المشكلة من كل جوانبها ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهى) .

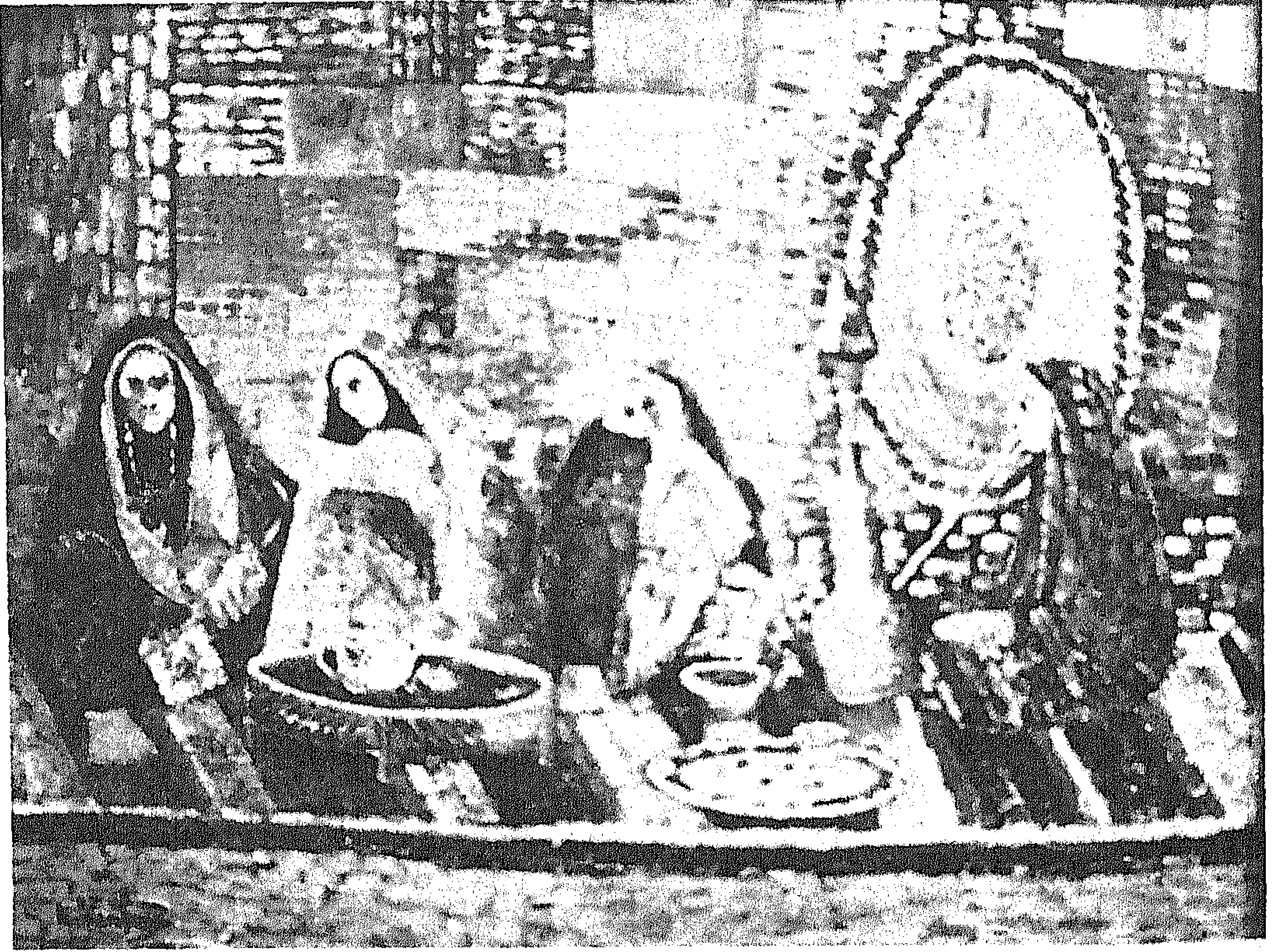
ومن الممكن تعريف الألغاز ، بأنها نوع من أنواع الرياضة الذهنية ، غرضها التسلية واستثارة الذهن وإمتصاص الوقت . ويكون اللغز عادة فى شكل سؤال وجواب ، وسؤال غامض محير والإجابة عليه تحتاج إلى كثير من الذكاء والفراسة والفطنة وسرعة البديهة .

ومع ذلك فليست بعيدة عن الأذهان تلك الجلسات الطويلة ، التى كان الأجداد فى الماضى يجلسونها في الأمسيات في المجالس[2] يتسامرون ويتبادلون الأحاديث ، يمضون الساعات فى أحاديث الغوص وذكرياته ، وعن أثمان اللؤلؤ وتقلبات أسعاره ، وحكايات عن ليالي **الونسة** في الهند ، وعن الزواج وخلفة الأبناء .

---

(١) د . نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، صفحة ١٩١ .

(٢) المجالس : جمع مجلس ، وهي دور الشتاء أو غرف الصيف .



وغالبا ما تتخلل هذه الأحاديث مباريات في توجيه الألغاز وحلها ، ولقد كان هناك رجال متخصصون في تأليف وتركيب الألغاز ، التى يصعب على الكثيرين من رواد هذه الجلسات حلها ومعرفة المقصود منها .

ويقول المتخصصون في التراث الشعبي ، وهم يبحثون عن سبب نشأة اللغز بأن اللغز من أقدم ألوان الأدب الشعبى ، ويعتبرونه حصيلة تراث ترجع جذوره إلى العهود البدائية ، أيام كان السحر والطلاسم والألغاز تقوم مقام العقائد الدينية .

فاللغز عندهم يشير إلى غموض الحياة ، وهو في الوقت نفسه يمثل إدراك العقل البكر ، وهو (على عكس الفكرة الذائعة التى تقول بأنها مجرد أحاج كلامية يخترعها ملغزون في حفلات المساء ، فإن الألغاز لتبلغ مكانة الأساطير والأقاصيص والأمثال بإعتبار أنها واحدة من أقدم نماذج التفكير الناضج المستقر)[1] .

---

(١) مجمع الفولكلور ص ٩٣٨ .

أما الأستاذ أحمد رشدى صالح فيعرف اللغز بأنه «كلام معمى مجازي ، يراد به إختبار الذكاء ، وصورة مركبة من أشياء وعناصر مألوفة ميل بها عن وجهها ، وهو إنموذج ناضج للأدب الواقعى ، ومنشىء اللغز يضم منه متناقضين :

اللفظ اليسير والمعنى العام الذى يحتمل عددا من الوجوه ، ويستنفز الحدس ، وهو بهذه الصفة يصلح للأغراض التي يقصدها مستخدموه كالتوريه وإخفاء المعنى المقصود[1] .

وهناك تعريفات كثيرة للألغاز الشعبية تذكرها الكتب والصحف التي تهتم بموضوعات التراث الشعبي .

ومن هذه التعريفات :

أن الألغاز (الكلمات المسجوعة أو المنظومة التي تلقي في المجالس العامة والخاصة في قالب أسئلة يختبر بها الناس ذكاء بعضهم بعضا ، والقاعدة فيها أن يورد اللغز في شبه سؤال عن شىء تذكر صفاته البعيدة أو القريبة ، ومن تلك الصفات يستطيع المسئول بأعمال شىء من الفكر الإهتداء إلى موضوع السؤال)[2] .

ولعل أبرز أمثلة الألغاز التي وردت في التراث الشعبي ، هي تلك التي طرحتها الملكة بلقيس على النبي سليمان عندما أرادت إختبار ذكائه التي إشتهر عنه . وقد ذكرها جيمس فريزر في كتابه (الفلكلور في العهد القديم) .

لقد سألته : «مامعنى أن سبعة وجدوا مخرجا وتسعة وجدوا مدخلا ، وإثنين إنساب منها مجرى وواحد شرب من هذا المجرى ؟ «فأجاب سليمان على التو :

«أما السبعة فهم سبعة أيام الحيض . وأما التسعة فهم تسعة شهور الحمل ، وأما الإثنان فهما الثديان ، وأما الواحد فهو الطفل» .

---

(١) أحمد رشدى صالح ، فنون الأدب الشعبي ، الجزىء الثانى (ص١٣) .

(٢) محمد المرزوقى ، الأدب الشعبى (ص٤٢) .

فسألته مرة أخرى عن الأرض التي لم تر الشمس سوى مرة واحدة . فأجابها «إنها الأرض التي تجمعت فيها المياه بعد الخليقة ، وهي الأرض التي إنحسرت عنها مياه البحر الأحمر ذات يوم حينما إنشطر إلى شطرين ثم عاد بعد ذلك إلى حالته الأولى» .

ثم سألته «ماهو الشيء الذى لايسير حينما يكون حيا ، حتى إذا ماتت تحرك ؟ فأجاب : «إنه الشجرة التي لاتسير وهي حية . فإذا قطعت وصنعت منها السفينة فى عرض البحر» .

ثم سألته «ماهو الشيء الذى يعيش في باطن الأرض ويكون غذاؤه التراب ويتفجر كالمياه ويضيء البيوت» فأجابها الملك بأنه النفط .

ولم تكتف بلقيس بذلك ، ولكنها عرضت على النبي سليمان مشكلة في شكل لغز وطلبت منه أن يحلها . فقد أحضرت أمامه مجموعة من الرجال والنساء متنكرين في هيئة واحدة وفي زي واحد ، وطلبت منه أن يميز بين النساء والرجال . فأمر الملك سليمان عبيده أن يحضروا الجوز المشوى والذرة المشوي ويطرحوها أمام الجميع . ثم طلب من خليط الرجال والنساء أن يمدوا أيديهم ليتناولوا من هذا الطعام . فمد الرجال أيديهم دون أن يستحوا من ظهور أذرعهم ، في حين أن النساء كن يحاولن إخفاء أذرعهن . وعند ذلك ميز سليمان بين الرجال والنساء .

ولا يوجد ثمة خلاف بأن «حل اللغز من أكثر الموضوعات رواجا وقبولا لدى العامة ، ومن أكثر الموضوعات نجاحا في الأدب الشعبي»[1] .

ولكن المشتغلون بالفولكلور إختلفوا في تاريخ نشأة اللغز ، وقد جاء هذا الإختلاف عندما طرحوا للنقاش مسألة اللعب بجميع صوره وأشكاله ، وهل سبقت الألعاب السحر من حيث معرفة الإنسان لها ، أم أن العكس هو الصحيح ، وذلك على إعتبار أن اللغز وسيلة من وسائل اللعب والترفيه .

---

(١) الدكتورة سهير القلماوى ، ألف ليلة (ص٨٦) .

لعل السبب في طرح هذا الموضوع للنقاش بهذا الشكل ، هو أن بعض الأدوات المستخدمة في السحر والطقوس والمناسبات الإعتقادية ، قد تحولت فيما بعد إلى ميدان الألعاب ، وأصبحت مادة من مواد التسلية والترفيه .

وأصدق مثال على تحول بعض أدوات السحر لتصبح عنصرا بعد ذلك من عناصر التسلية والترفيه ، نجده في العروسة أو (الكرجية)[1] التي يلعب بها الأطفال . هذه العروسة كانت ولا تزال موجودة في أعمال السحر في أى مكان من العالم يمارس فيه السحر . فهل عملت العروسة أساسا لتكون أداة من أدوات السحر . أم هي وسيلة من وسائل اللعب والترفيه .

هكذا بدأ إختلاف وجهات النظر في هذا الموضوع وقدم كل فريق حيثياته وأسبابه وأسانيده ، ولكننا نتفق مع الأستاذ أحمد رشدى صالح ، فقد إعتبر اللعب واللهو سابق على السحر على أساس أن اللعب توأم العمل ذاته ومثله في القدم والعراقة ، فالإنسان بدأ يلهو بعد الإنتهاء من العمل ، ليخفف بذلك تعب العمل وعنائه ، قبل أن يفكر في السيطرة على مصادر الخير والشر بواسطة السحر والشعوذة ، فالسحر مرحلة تالية على اللهو واللعب من حيث تفكير الإنسان فيها[2].

وقبل أن نورد بعض أمثلة للحزايات ، يكون من المفيد أن نورد أيضا بعض الألغاز التي جاء ذكرها في الأدب العربي .

أحرقه الله بنصف إسمه   وصير الباقى صراخا عليه

نفطويه

إسم من قد هويته   ظاهر في صروفه
فـإذا زال ربـــــعه   زال باقي حروفه

الغزال

---

(١) كرجية : الجمع كرجيات وهن سبايا الحرب من غير العرب . وهذه التسمية تطلق الآن على كل إمرأة جميلة .
(٢) أحمد رشدي ، الأدب الشعبي (٢٤١)

ومسرعة في سيرها طول دهرها
تراها مدى الأيام تمشي ولا تتعب
وفي سيرها ما تقطع الأكل ساعة
وتأكل مع طول المدى لاتشرب
وما قطعت في السير خمسة أذرع
ولا ثلث ثمن من ذراع وأقرب

الطاحونة

وذي أوجه لكنه غير ذائع
بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه
فتسمعها بالعين مادمت تبصر

الكتاب

وجارية لولا الحوافر ماجرت
أشاهدها تجري وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي أمهم
وليس لها ثدى وليس لها بعل

الساقية

وما أخت يجامعها أخوها
وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا
وفي أعناقهم ذاك النكاح

الزر والعروة

قالى لى فما شيء يرى ناعما
منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة
مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع في القعر له رنه
ويظهر الصفق بأعلى المكان[1]

الهاون

أمثلة للحزايات :

١ ـ مصنوع من قطنة ، لين سحبت إذنه إنتفخ بطنه (شراع السفينة)

٢ ـ أبيض بطنه ، أسود ظهره ، جدر ياثور ، وأفتهم بابقرة (القدر)

٣ ـ طاح من فوق ولا إنكسر ، كسرته بيدي وإنكسر (رأس البصل)

٤ ـ أبيض وعراه ليف ، مصنوع بالقطيف ، زبيل ياهبيل الرأى
لا هداك الله (الزبيل)

٥ ـ دار على دار مسقفه بالأوتار ، لاصاغها صايغ ، ولا نجرها نجار (الرقبة)

٦ ـ بنات مسعود ، عمايمهم خضر ، وملابسهم سود (الباذنجان)

٧ ـ قبة خضراء وداخلها عبيد ، الحكم حكم الله ومفتاحها حديد (البطيخة)

٨ ـ بطنه شحم ، وظهره فحم ، ذيله مقص ،
وين ما قعد رقص (طير الرقيصى)

٩ ـ جاك كما جاك ، كما جك جكة العيد ، كما الحنة
كما الرنة ، كما السلطان مسند من بعيد . (القبقاب)

١٠ ـ بزة في السوق مرتزة كل من جاها غزها غزة (قلة التمر)

١١ ـ هي هيه ، وهي مية ، وهي في البيت مرمية ، وهى قضاية الحاجة (المخمة)

١٢ ـ حبيش يبيش ، لحية أبوك معلقة في العريش (الملالة)

١٣ ـ طير طار في الأبحار ، لا ليه ريش ولا منقار (الرسالة) (زبد البحر)

١٤ ـ شيخ اليمن طرش على شيخ الحسا ، يبي سواد الليل كله (الدبس)

١٥ ـ دارين مسقفه بجدع (الأنف)

١٦ ـ منحازانا منحاز صلب ، نص شاخ ونص ذهب (البيضه)

١٧ ـ هالطول سنيني ، هالطول منيني ،
هالطول جباك جباك ، هالطول
يضرب إليك (خيط الأبرة)

١٨ ـ المناصب ماء والجدر حطب ، اللحم فيه يتكلم ياإله العجب (السفينة)

١٩ ـ الكوكي بلا كوكي ، كالمتوى ، كالملوى في مشاكيب الملوكي (البلاليط)

٢٠ ـ شيء ولا هو شيء ، حوالينا يحوم ، لا هو طير ولا قرناس
يمشى ولا يمشى مثل الناس (الهواء)

٢١ ـ صيني صوني ، نقش بلادي نقش نقشته بيدي ، ياحيف قطع بدني (القرآن)

٢٢ ـ أبوك فى البيت ولحيته في السكة (المرزام)

٢٣ ـ تطلع من ضيق وتضرب في الطريق (الضرطة)
٢٤ ـ كوز كرنكوز في كل بلاد مركوز (البئر)
٢٥ ـ طويل طويل ما أطوله ، عريض عريض ما أعرضه ، لو يجيى الشيخ وعسكره مايشيل نتفه من شعره (البحر)
٢٦ ـ أخضر في السوق ، أحمر فى أمك (الحناء)
٢٧ ـ أربعة مع أربعة ، متشابكين فى مزرعة ، والسيسبان والتيتبان فيه متربعة (الرحى)
٢٨ ـ ماتدخل أمك في الأدب إلا بقوادها (الإبريق)
٢٩ ـ في صرار صريته ، صبحت الصبح مالقيته (النجوم)
٣٠ ـ طاسة على طاسة في البحر ركاسه (الشمس)
٣١ ـ سبع حمامات في السما طارو باتو عطاشى ومن عظم العطش ماتو إن كنت عالم ولك العل معرفة عطنا نباهم ، هم حيين لو ماتو (بنات نعش)
٣٢ ـ إختان وحده تقول : جيت أحوس وجيب أموص وجيت أقوم هالجلوس والثانية تقول : جيت أحن وجيت أرن ، وجيت أفضح صاحبى (الفسوة والظرطة)
٣٣ ـ الناس تغني وكل الدهر فانيها ، فمن نواها بخير طاب مسكنها ، ومن بناها بشر خاب بانيها . (الجنة)
٣٤ ـ أربعة شالو جمل والجمل ماشالهم (الأصابع والقلم)
٣٥ ـ سنور سلمانى ، شلق أمك في البديعة (الرداء)
٣٦ ـ من بره لحم ومن داخله شعر (الخشم)
٣٧ ـ سمعت خرخشة ، جه الحي ونبشه ، قام الميت على الحي وكمشه (الفخ)
٣٨ ـ أحمر أحمراني ، رجولة خيرزاني، دايما يذكر الله ولا يصوم رمضان. (الديك).
٣٩ ـ أربعة يمشون، وأربعة يبكون، وواحد يقول أنا مجنون . .
(أرجل وضراع وذيل البقرة).
٤٠ ـ أسود نغمشي ، من السكر حشى ، من ذاقه غشى ، وينسى كل شيء (النوم)
٤١ ـ ريحته تفوح ، وماله روح (الورد)

الفصل الرابع

العادات والتقاليد

الفصل الرابع
العادات والتقاليد

البحرين مثلها مثل كل البلدان ذات الحضارات العريقة ، الموغلة في القدم ، لها تاريخها السياسي الحافل ، وعاداتها وتقاليدها الإجتماعية التي صعب عليها أن تتخلى عنها ، ولها تجاربها الفلسفية التي ظلت تتوارثها عبر الأجيال ، مؤثرة ومتأثرة بعوامل التطور ، ومتفاعلة معه .

ولقد كانت حضارة البحرين ككل الحضارات الإنسانية ، متفتحة غير منطوية على ذاتها ، وذلك بفعل موقعها الجغرافي المتميز ، الذى خلق الإنسان المتطلع دوما إلى المعرفة ، نتيجة لإختلاطه بالشعوب الاخرى ، كانت البحرين وما تزال تأخذ من معين

الحضارات المجاورة كالحضارة الفارسية والهندية وغيرها، وكما كانت تستعير من هذه الحضارات ما يناسبها ، فقد كانت تعطيها ما تحتاجه في ذات الوقت .
والنتيجة هو تأثر البحرين في عاداتها وتقاليدها الإجتماعية بتجارب البلدان المجاورة لها .

ومع هذا وبالرغم من صغر رقعة البحرين ، ومن كونها جزيرة تسهل الإتصال التجارى والثقافى بين أعرق الحضارات التي عرفها التاريخ القديم .

وبالرغم من قلة سكانها وكثرة غزاتها ، فقد إستطاعت هذه الجزيرة الصغيرة السابحة بوداعة فى مياه الخليج ، أن تحتفظ بالكثير من موروثاتها الأصيلة ، وأن تحافظ بإصرار وعناد على قسماتها وملامحها وإنتمائها العربي .

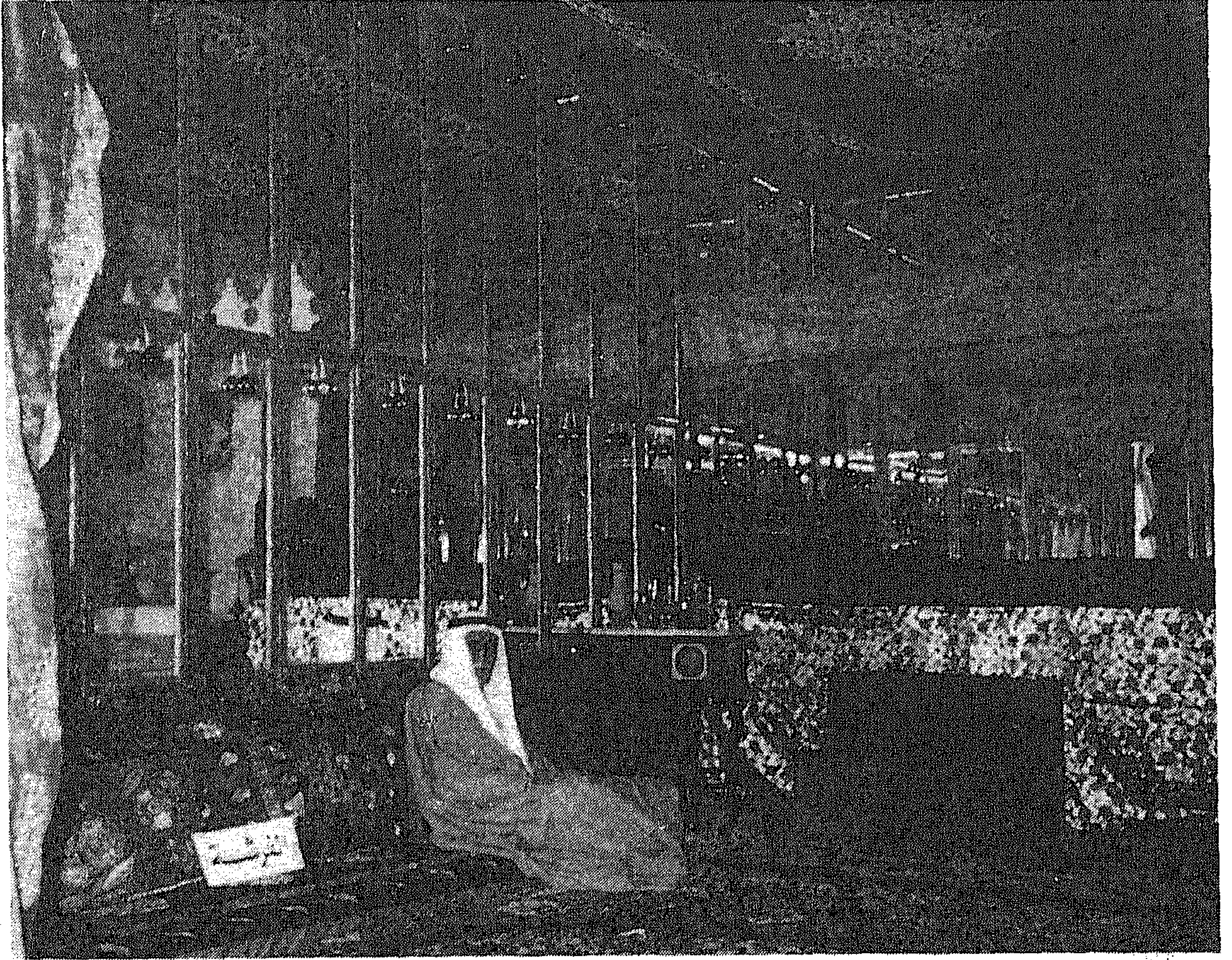
والبحرين في حفاظها على أصالتها ، ونقاء عاداتها وتقاليدها ضد الغزاة والحكم الأجنبي ، إنما يدفعها فى كل ذلك عراقتها وتركيبها النفساني الثري بالقيم والمعتقدات التي يستحيل إختراقها .

أولا الزواج :

نظرا لكون مجتمع البحرين مجتمعا زراعيا في الأصل ، فقد كان من الطبيعى أن تتم معظم الزيجات داخل نطاق العائلة الواحدة ، كما كان من النادر أن يتزوج شخص

من خارج عائلته ، وعليه أن فعل هذا ، أن يبرر بشتى الطرق هذا التصرف الشاذ ، وإلا إستحق عندئذ كراهية وسخط العائلة .

وكثيرا ما كانت **تسمى** البنت الى إبن عمها أو إبن خالها أو إلى قريب من العائلة ، وهي لاتزال بعد طفلة صغيرة ، وليس لها بالتالي إذا نضجت بعد ذلك أن تغير من هذا المصير الذى أرادته لها عائلتها .



● غرفة الزواج (الفرشة)

ولقد كانت العائلات الأخرى تتردد في خطبة الفتاة إذا كان لها إبن عم أو إبن خال ، إلا أن هذه القيود التي كان لها ما يبررها في الماضي ، قد خفت كثيرا في الوقت الحاضر ، أما إذا خلت العائلة من البنات الذين هم في سن الزواج ، فتستعين العائلة

في هذه الحالة **بالخطابة** لكي تبحث عن فتاة مناسبة من بنات **العوائل** المعروفة . ذلك لأن مجتمع الإختلاط والسفور لم يولد بعد .

والخطبة هي المرحلة الأولى للزواج ، وتبدأ عادة بين نساء العائلتين وذلك بأن تذهب عمة الزوج أو خالته إلى عائلة الفتاة المخطوبة لطلب يد الفتاة من والدتها ، وتعتبر هذه المرحلة عملية جس نبض ، قبل ذهاب والد الخاطب إلى والد المخطوبة ، إذ ليس من المقبول أن يرفض طلب الرجال .

وبعد أيام من الزيارة الأولى تعاود نسوة أهل الخاطب زيارة بيت المخطوبة ، لمعرفة رأيهم الأخير في موضوع الخطبة ، الذى سبق أن حضروا من أجله قبل ذلك . فإذا وافق أهل المخطوبة قام والد الخاطب فى ليلة تحددها عائلة الفتاة بزيارة والد المخطوبة في بيته لطلب يد إبنته لولده رسميا ، وتنتهي هذه الزيارة غالبا بتحديد موعد **الملجة**(١) وموعد الزفاف أو العرس .

وبعد هذا اللقاء الرجالي بليال ، تخرج نساء عائلة الخاطب مع جمع من نساء **الفريق**(٢) فى ليلة غالبا ما تكون مقمرة ، وهم يحملون المهر الذي كان قد إتفق عليه سلفا في موكب يطلق عليه **التسليمة** ، أي تسليم المهر لأهل المخطوبة . ويأخذون معهم أيضا الهدايا من الثياب ، وتوضع هذه الثياب في **بقشة**(٣) أو عدة بقشات وتوضع الحلويات والمكسرات في **صوان** كبيرة تغطي عادة بقطع من القماش الملون ، وتحمل النسوة هذه الصواني على رؤوسهن . وفي أثناء سير الموكب في الطريق الى بيت المخطوبة ، تقوم النساء بترديد الأغاني **والجباب**(٤) ، ومن أشهر الأغنيات التي تغني فى هذه المناسبة الأغنية التي مطلعها :

لو ما دلالك ماعنينا لك — وصبي غاوي(٥) وإنتقيناه لك
لو ما دلالك ماتعنينـــا — ولا خطبناك ولا جينا

---

(١) الملجة : ليلة عقد القران .
(٢) الفريق : الحي وقد كانت كل مدينة أو قرية تشتمل على عدة فرقان
(٣) البقشة : الصرة التي تجمع فيها الملابس ، والكلمة أصلها تركي
(٤) الجباب : الزغاريد .
(٥) غاوي : أنيق حسن الهندام وكريم وشهم وقد يسمى آيضا (زكرت او زكرتي) .

وما أن يصل وفد التسليمة بيت المخطوبة حتى يرتفع الجباب **والصفاق**[1] من النساء المجتمعات في بيت المخطوبة ، ثم يسلمن المهر والهدايا إلى والدة المخطوبة ، وسرعان ما تأخذ النسوة أمكنتهن حول الصواني المليئة بأصناف الحلوى والمكسرات ، ثم تبدأن في الغناء ، ويستمر حتى ساعة متأخرة من الليل .

ومن الأغاني التي تقال عادة في مثل هذه المناسبات ، الأغاني التالية :

يا أم الورد يا أم الورد عيني   كله علشان أم الورد ياالله
جابوا المخوتم[2] من ضحى عينى   كله علشان أم الورد ياالله
جابوا الجواني[3] من ضحى عيني   كله علشان أم الورد ياالله
جابوا النفانيف[4] من ضحى عينى   كله علشان أم الورد ياالله
جابوا التراكي[5] من ضحى عينى   كله علشان ام الورد ياالله

وكذلك هذه الأغنية :

بيتنا دجه[6] وليوان   للخيل ميدانى
جيت للمعرس وهو متجي   اله[8] على الصيرفى
ويقول (يازهرة) ويش تشته   عليش[9] مو غالي
جيب[10] لها يارجل بقارة[11]   بقارة أبو حسين سيارة

---

١) الصفاق: التصفيق
٢) المخوتم : الخاتم . وليس المقصود هنا خاتم الخطبة حيث أن خاتم الخطبة غير معروف فى ذلك الوقت .
٣) الجواني : جمع جونية ، وهي أكياس الرز والسكر ، والكلمة فارسية .
٤) النفانيف : جمع نفنوف ، والتسمية تركية وهي الفساتين .
٥) التراكي : جمع تركية ، وهي الأقراط .
٦) دجه : دكه ، وهي المصطبة وقد كانت تقوم مقام الكراسى في يوم من الأيام . والمقصود هنا أن بيتهم هو بيت عز وشهامة وكرم .
٦) متجي : متكىء .
٧) الدسمال : المنديل ، والكلمة فارسية مركبة من كلمتين (دس) و(مال) الدس بمعنى يد ومال خاص فيكون المعنى
٨) خاص باليد .
٩) عليش : عليك .
١٠) جيب : هات .
١١) بقارة : نوع من أنواع سفن الغوص .

وتنتهى هذه الليلة بترديد هذه الأغانى وأمثالها ، والملاحظ أن جل هذه الأغنيات تصف في الغالب جمال المخطوبة ، والهدايا التي يقدمها الخاطب إلى المخطوبة ، والتي تعبتر دليلا على محبة الخاطب لها .

وبعد أن تنتهى ليلة التسليمة ويقبض أهل المخطوبة المهر والهدايا من أهل الخاطب ، يقوم أهل العروس بالبدء فى إعداد حجرة للعروسين في بيت أهل العروس ، لأن العادة جرت أن يبقى العريس فى بيت العروس بعد ليلة الزفاف .

الواقع أن عادة بقاء الزوج بعد الزواج في بيت أهل زوجته قرابة الأسبوعين ، تثير بعض التساؤلات الهامة من ناحية منشأ هذه العادة .

إذا أن المعروف بالنسبة للتطور التاريخي للزواج أنه مر بثلاث مراحل . أولهما الخطف أو السبي ثم مرحلة العقد أو الشراء ثم أخيرا مرحلة الزواج عن طريق الحب المتبادل بين الطرفين .

ومما يثير الإهتمام بالنسبة لهذا الموضوع ، أننا لو رجعنا إلى المرحلة الأولى من مراحل تطور الزواج ، أي مرحلة الخطف أو السبي والذى يفترض أنها إختفت هي وآثارها ، لوجدنا لها تطبيقات عملية مازالت تمارس حتى وقتنا الحاضر لدى كثيرمن الشعوب ، فهي مثلا لاتزال موجودة لدى طوائف الغجر .

كما أن من العادات التي مازالت قبائل (البشمن) تتمسك بها ، عادة أن يقوم أهل العروس بشهر أسلحتهم على العريس يريدون أن ينتزعوا العروسة منه بالقوة ، بينما العريس يحاول بكل جهده أن يتشبث بعروسه لايريد التخلي عنها . كما أن تقليد إطلاق الأعيرة النارية خلال حفلات الزواج ، الذى لايزال يمارس حتى الآن لدى كثير من الشعوب ، ماهو إلا تطبيق للفكرة القديمة في الزواج ، فكرة الخطف والسبي ، بل أننا لانتجاوز الحقيقة إذ قلنا ، أن فكرة شهر العسل الذى تمارسه أغلب الشعوب المتمدنة في الوقت الراهن ، ترمز إلى فكرة الخطف ، ذلك أن فكرة سفر العروسين إلى خارج بلديهما لقضاء فترة شهر العسل ترمز إلى رغبة العريس في الهروب من أهل زوجته وملاحقتهم له في البحث عنها .

ونحن إذا ما رجعنا إلى العادة المتبعة عندنا في البحرين ، والتي تفرض على العريس السكني في بيت أهل زوجته الأسبوع أو الأسبوعين الأوليين للزواج ،



لوجدناها تتناقض تماما مع فكرة الخطف أو السبي التي ماتزال لها بقايا وآثار لدى كثير من الشعوب المتمدنة .

هل يجوز لنا أن نفترض أن مجتمع البحرين قد تخلص نهائيا من جميع آثار المرحلة الأولي للزواج ، الا وهي مرحلة الخطف ؟

قد نستطيع أن نفترض هذا الإفتراض خاصة وأن التقليد في البحرين كان وحتى وقت قريب يمنع الراغب في الزواج من الزواج من فتيات لاينتمين إلى عائلته .

كما ويرى المتخصصون في هذا الموضوع ، أن الزواج عن طريق السبي هو الذي أدى إلى ظهور عادة الزواج من العائلة أو القبيلة .

ويوكل في العادة أمر إعداد حجرة الزواج «**الفرشة**»[1] إلى إمرأة محترفة ومتخصصة في هذه الأمور يطلق عليها **الفراشة**[2] .

وما أن تبدأ الفراشة عملها حتى تقوم بتغطية جدران الحجرة وسقفها بقماش ، يجب أن يكون دائما من اللون الأحمر يطلق عليه إسم **بنديرة**[3] .

وفي بعض الأحيان لاتغطي البنديرة القماش الأحمر إلا السقف فقط ، أما جدران الفرشة فتوضع عليها أقمشة لماعة ذات ألوان مختلفة تسمى **السناح** ، ويتدلى هذا السناح من السقف حتى أرضية الحجرة ، كما تعلق على السناح عدة أثواب من النشل ، وهذه الأثواب تعطي الحجرة منظرا حـ۰۰٪ أخاذا .

وعلى الجدران فوق البنديرة أو السناح ترص عدة مرايا كبيرة تسمى **مناظر** ، وتتدلى من وسط أعلى كل منظرة كرة زجاجية كبيرة ملونة تسمى **رمانة** ، كما وتتدلى من سقف الحجرة أيضا عدة رمانات ملونة كبيرة الحجم تتناثر حولها رمانات أصغر منها مع بعض القناديل وتسمى **الشموع** .

---

١) الفرشة : حجرة الزواج .

٢) المرأة المتخصصة بترتيب وتنظيم حجرة الزواج .

٣) بنديرة : كلمة إيطالية الأصل تعني العلم ، ولما كانت كل أعلام امارات الخليج العربي يغلب عليها اللون الأحمر ، لذا سمى القماش الأحمر وكذلك العلم في الخليج بنديرة .

وفي أحد أركان الفرشة يوضع جنبا إلى جنب سريران يشترط أن يكونا مختلفان في الإرتفاع والإتساع . وتوضع على السرير المرتفع ناموسية تسمى **كلة** تتدلى منها ستائر من القماش الملون الزاهي تسمى **الغدان**[1] ويفرش السريران بمراتب ، يطلق عليها **طراحات** ، وتوضع في الغالب مخدة واحدة طويلة بعرض **الطراحة** ، ثم تغطى الطراحات بقماش يجب أن يكون دائما من اللون الأحمر .

ويقال عادة فى تفسير وضع سريرين مختلفين في الإرتفاع في الفرشة ، العالي للزوج والمنخفض للزوجة ، أن في هذا التقليد مجلبة للسعادة للزوجين . ولكن لو أردنا الحقيقة لوجدنا أن هذا التقليد ما هو الا إشارة خفية للزوجة مفادها عدم المساواة بين الزوج والزوجة ، وعلى وجوب إدراك الزوجة لهذه الحقيقة منذ الليلة الأولى للزواج .

وفي ركن من أركان الفرشة يوضع صندوق **مبوت**[2] عليه سلة كبيرة الحجم جميلة محلاة بزخرفة فنية ، ومصنوعة من أعواد ملونة من عذق النخلة ، وتستعمل هذه السلة فى حفظ ثياب الزوجين وهى تقوم مقام الدولاب في الوقت الراهن ، وفى محاذاة جدران الحجرة ترص مراتب يطلق عليها **دواشق**[3] ثم توضع على هذه الدواشق بعض المساند ، ثم على هذه المساند مساند أخرى أصغر منها حجما لكي يستريح عليها الرأس وتسمى **تكيات** .

وبالقرب من الفرشة توضع طاولة ، وتوضع على الطاولة صينية كبيرة بها عدد كبير من الشموع يطلق عليها **شموع العسل** وعدد من **المباخر** ، **والمراشة**[4] التي تحتوى على ماء الورد .

الحقيقة أن تزيين وترتيب الفرشة ، يعتبر عملا فنيا محضا ، ويحتاج في الدرجة الأولى إلى ذوق رفيع في إختيار ألوان أقمشة **الأسنحة** وغيرها مثل **الكلة والغدان** .

---

١) الغدان : الكلمة عربية وتعني الشىء الجميل الناعم .

٢) مبوت : أي صندوق به بيوت عديدة .

٣) دوشق : كلمة فارسية الأصل ، «دوشاك» أي الفراش المزدوج .

٤) المراشة : ومفردها مرش وهي آنية زجاجية بها رقبة طويلة مفرغة وذات فتحة ضيقة ، يخرج منها ماء الورد في شكل رشات ، ومن هنا جاءت التسمية .

وتقوم الداية خلال هذه الفترة بدبغ جسد العروس بمادة **الكركم** ثلاثة أيام متتالية ، ثم تزيل أثر هذه المادة بالماء والصابون حتى يصبح لون بشرتها أبيض ناصعا .

وفى صبيحة أول الأيام الثلاثة السابقة على ليلة العرس يقوم أهل العروس بأخذها إلى العيون الطبيعية أو **الحمّام**[١] **للنسال**[٢] وغالبا ما يأخذونها إلى **حمام الشيخ** في قرية البلاد القديم . وهناك تقوم الداية بتنظيف العروس وإزالة الشوائب من جسدها وتعطيرها بالطيوب والبخور .

ومن أشهر الأغنيات التي ترددها النسوة بمناسبة حمام العروس الأغنيتين التاليتين :

قـومي إنسـلي قـومي إنسـلي[٣]	وجتنـا خيـوط الشمس مستعجـل
قـالـت فـلا انسـل ولايـهمنـى	حتى يجيبو[٤] الخاتم من الصائغ
يـاليتنـي اميمتـه	أمشـي وإسمـي عليـه
يـاليتنـى أمـريتـه	أمشـي وأهمـز عليـه
يـاسيسبـان الحلـو	قلبـي أحنـن عليـه
وإتسبحـت مـن عصـر	وأرمـت إبـروحـهـا عليـه
وإتـعجفـت مـن عصـر	وأرمـت إبـروحـهـا عليـه
وإديـرمـت مـن عصـر	وأرمـت إبـروحـهـا عليـه

كما وأن زخرفة السقف بالقناديل والرمان الزجاجى الملون ، وكذلك تزيين الجدران بالمرايات والأسنحة وثياب النشل المزخرفة وتوزيع الدواشق والمساند والتكيات في الأمكنة المناسبة هو عمل لايستطيع أن يقوم به إلا المتخصصون في عمل الديكور .

---

(١) الحمّام : تسمية تطلق على العين الطبيعية الصغيرة .
(٢) النسال : تطلق هذه التسمية على عملية غسل شعر المرأة .
(٣) إنسلي : إغسلي ونظفي شعرك .
(٤) يجيبوا : يحضروا .

ومن المناسب القول بأن تهيئة الفرشة ليست فنا محليا محضا ، فهو عبارة عن مجموعة من اللمسات الفنية المحلية والهندية والفارسية .

أما عقد القران أو **الملجة** ، فموعدها في العادة قبل ليلة الزفاف بعدة ليالى . وفي ليلة الملجة يذهب المعرس مع بعض أفراد عائلته ومعهم المأذون «**الشيخ**» إلى بيت العروس ، لأن العرف جرى أن يعقد القران في بيت الزوجة ، وذلك تلافيا لخروج الزوجة من بيتها قبل الزواج ، بينما يكون والد المخطوبة وأعمامها وبقية أهلها في إنتظار قدوم الشيخ ، وما أن يدخل الوفد بيت المخطوبة حتى ترتفع الزغاريد والأغانى من النسوة . ويأخذ الشيخ مكانه في صدر القاعة وحوله أهل الخاطب والمخطوبة والمعزومين . ثم تقدم **مشاقيب**[1] الحلوى والفاكهة والمكسرات ، ثم تدور القهوة العربية المرة على الحاضرين .

بعد الإنتهاء من شرب القهوة يبدأ الشيخ في إجراءات عقد القران ، أولا بالنسبة للخاطب ثم ينتقل مع الشهود إلى المخطوبة الموجودة فى الغرفة المجاورة لتكملة بقية الإجراءات وسماع **منطوق لسانها** بقبول الزواج من الخاطب ، ثم يقوم الحاضرون ويباركون للمعرس هذا الزواج ويتمنون له حياة سعيدة مليئة بالخير والسعادة والأطفال .

ولقد جرت العادة أنه بعد أن تتم الملجة تبقى العروس في البيت لاتبارحه مطلقا إلا بعد تمام الزواج ، إذ ليس من اللائق أن يرى وجهها أحد غير أهلها قبل ليلة الزفاف ، وكانت بعض العائلات تتطرف في تطبيق هذه العادة ، فتحبس العروس في حجرة قبل ليلة الزفاف بأسبوع واحد ، ولا يراها خلال هذه الفترة غير **الداية** وهي المرأة المكلفة بتهيئة وتزيين العروس .

وبعد الإنتهاء من عملية النسال تلبس الملابس الجديدة وترتدى **رداء أحمر أبو صبيبع**[2] ، وفي عصرية هذا اليوم يذهب أهل العروس مع المدعوات إلى مسجد الصبور

---

١) مشاقيب : جمع مشقاب وهي الأطباق .

٢) رداء أبو صبيبع : رداء خاص بهذه المناسبة يصنع في قرية أبو صبيبع ومن إسم هذه القرية إشتق إسم هذا الرداء .

في قرية الزنج ليقرأوا مولد النبي على مسمع العروس ، وخلال هذا الإحتفال يقومون **بتقميع**[1] أظافر يديها ورجليها بوضع مادة **الخضاب** السوداء .

وفي المسجد يقومون بتوزيع الحلويات من **القناطي والمروس والخنفروش** والمكسرات من **النخج والنقل** .

وقبل أن تتلاشى خيوط النهار يرجع الحفل إلى بيت العروس ، وفي المساء يحضرون العروس ويجلسونها على سرير منخفض ، وتقوم الخضابة وهى إمرأة محترفة متخصصة ، بوضع **الحنة** في كفي وقدمي العروس ، ويطلق على هذه العملية **حنة عجين** ، وذلك بأن تعمل عجينة من الطحين ، وتبرم العجينة على شكل خيوط ، وتلصق هذه الخيوط على هيئة طرز هندسية جميلة على كل من الكفين والقدمين . وبعد الإنتهاء من وضع خيوط العجين وتشكيلها ، يوضع الحناء على الكفين والقدمين بحيث يغطي الزخرفة المعمولة من العجين أيضا ، ثم يترك العجين والحناء لفترة حتى يجفان ، وتنام العروس على السرير وهي بهذا الوضع حتى الصباح ، وفي الصباح يزال العجين ، ويغسل الحناء لتبقى مكان العجين التشكيلات البيضاء الجميلة التي لم يلامسها الحناء الاحمر على القدمين والكفين .



● عمل الحناء

١) بتقميع : عملية تكون بحرق قمع ثمر جوز الهند ، ويوضع السائل المحروق الأسود على أظافر الرجلين واليدين .

وتتكرر عملية الحناء العجين ليلة أخرى ، وذلك حتى تكون النقوش والزخرفة أكثر ثباتا وأكثر نصاعة ، وخلال هاتين الليلتين تقوم النسوة بترديد الأغنيات الشعبية ، التى تتضمن بعض الإرشادات الساذجة الموجهة إلى العروس ، كما تتضمن وصفا لجمال العروس ، ومن أمثال هذه الأغنيات :

حنـــاك عجيـــن زهـــرة[1] حنــــــاك عجيــــن
وليــن دزوك علــى المــعرس[2] بـالــــــك [3] تستحيــــن
حنــــاك ورق زهـــــرة حنـــــــــــاك ورق
وليــن دزوك علــى المعـرس زخـــــي مـــن الـعـــرق

وكذلك أيضا :

لآبـــس الديبـــاج لاخضـــر فـــوق خمـــري وأصـــفـر
خـــــده كالـــورد لأحمــــر بـــدره تـــم فـــي كمـــال
قلـــت إذ جـــا[4] يتثنـــى صـــابـغ الكفيـــن حنـــا
زادك اللـــه يـاقمـــــرنـــا نـــور حســـن وكمـــــال

وكذلك أيضا :

حـــس السهـــارى يـــوم مـــا مـــروا عليـــنـا في عتمة الليـل
عــذبتنـى يـــا نـــاقش النـــار جيلـــه يـادافـــع الـــويـل
قـــالـت لـــي حملتنـــي حمـــل ولا أقـــــدر أشيـــــل

---

١) زهرة : إسم العروس .
٢) دزوك : دفعوك بقوة ، والمقصود هنا أدخلوك على العريس في الفرشة .
٣) بالك : إياك .
٤) جا : جاء .

وفي الصبيحة السابقة على صبيحة الزفاف ، تجلس العروس أيضا على سرير وتقوم الخضابة بنقش الخضاب في باطن الكف وظهره أيضا

وخلال وضع الخضاب ، تنشد النسوة أغنيات مناسبة لهذه المناسبة مثل :

يـــــــالهيــــل بــــــــالهيــــــل يـــــــالهيــــل بــــــــالهيلـــي
يــــامــن شعـــــر رأســــــهـا يسحـــــب إلــــى الـذيــــــل
نـــــــادوا الخضـــابـــــة نـــــــادوا الخضـــابـــــة
تجـــي تخضـــب العـــروس فـــــي أظلـــــم الليــــــل
نـــــــادوا الحنـــايـــــة نـــــــادوا الحنـــايـــــة
تجـــــي تحنــــي العـــــروس فـــــي أظلـــــم الليــــــل
نـــــــادوا المشـــاطـــــة نـــــــادوا المشـــاطـــــة
تجـــــي تمشـــــط العـــــروس فـــــي أظلـــــم الليــــــل

وبعد أن تنتهى عملية الخضاب ، تقوم الداية بتسريح شعر العروس وتسمى عملية التسريح هذه **بالتعجيفة** ، ويرش **الرشوش** والزعفران في مفرق شعر رأس العروس .

وتأخذ التعجيفة شكل الجدايل الكثيرة من الشعر المنسدلة من مؤخرة الرأس ، وعلى جانبي الرأس عند الصدغين يعمل زلفان طويلان ، وتتدلى خصلات الشعر على الجبين في شكل **قصة** ، وعند العصر تجلس العروس على كرسي مرتفع بعض الشيء في وسط قاعة المكان ، وتسمى هذه الحفلة **بالتجليسة** . وعادة تلبس العروس لهذه المناسبة ثوب نشل أخضر اللون مطرز ومزخرف بخيوط الذهب ، وتحت الثوب **سروال محجل** مزدان بخيوط **الزري** ، وعلى الثوب تضع العروس **المشمر** ، ثم **شال** مزخرف بخيوط الذهب أيضا ، ويحدث أن تكون أم العروس قد إشترطت على إبنتها بأن تلبس في جلستها سبعة **شيلان**(1) مختلفة الألوان ، ترتديهم الواحد تلو الآخر نذرا عند زواجها ، ويغني لها سبع **جلوات** أيضا ، وفي التجليسة من الضرورى تغطية وجه

---

١) شيلان : جمع شال .

العروس بقطعة من القماش الأبيض تسمى **الغشواية** ، كما تضع العروس في رجليها نعال محلى بالزرى ، وتضع **الصوغ**[1] في معصمها وحجلها وعلى رأسها وصدرها ، وتقوم الداية بمسح العروس ويدها ورجلها بمزيج من الزعفران[2] المنقوع في ماء الورد ثم بعد ذلك توزع هذا المزيج على الحاضرات ليقمن بدورهن أيضا بمسح وجوههن به .

وفي الجلسة أو التجليسة تقوم بعض النساء بقراءة مولد النبي وبترديد الجلوات . ومن أمثلة الجلوات :

صلوا على أحمد ياحاضرينا	نور تشعشع بأرض المدينة
صلوا على أحمد ياحاضرينا	خير البرايا والعالمينا
زايد غرامي في كل عام	الطاها التهامي ، أحمد نبينا
خير البرايا ، زين السجايا	معطي العطايا للوافدينا
في شهر شوال ، شدينا لحمال	كم قايل قال ، هذا نبينا
نادى الأمير ، سوقوا البعير	ياحاج سيروا الوادي الأمينا
شالوا المخفات نحو القبيسات	كم حي قد مات يا عاشقينا
قالوا دعونا ، لاتوقفونا	بل إتركونا ، لقد سلينا
فرد عنهم من ليس منهم	وسار معهم قلبى رهينا
نادى المنادى شدوا الجياد	وصلوا البلاد ، هم سائرينا

(١) الصوغ : المصاغ أو الحلي المعمولة من الذهب .
(٢) الزعفران : نبات زهره أحمر اللون يميل إلى الإصفرار ، ومن فصيلة السوسنيات .

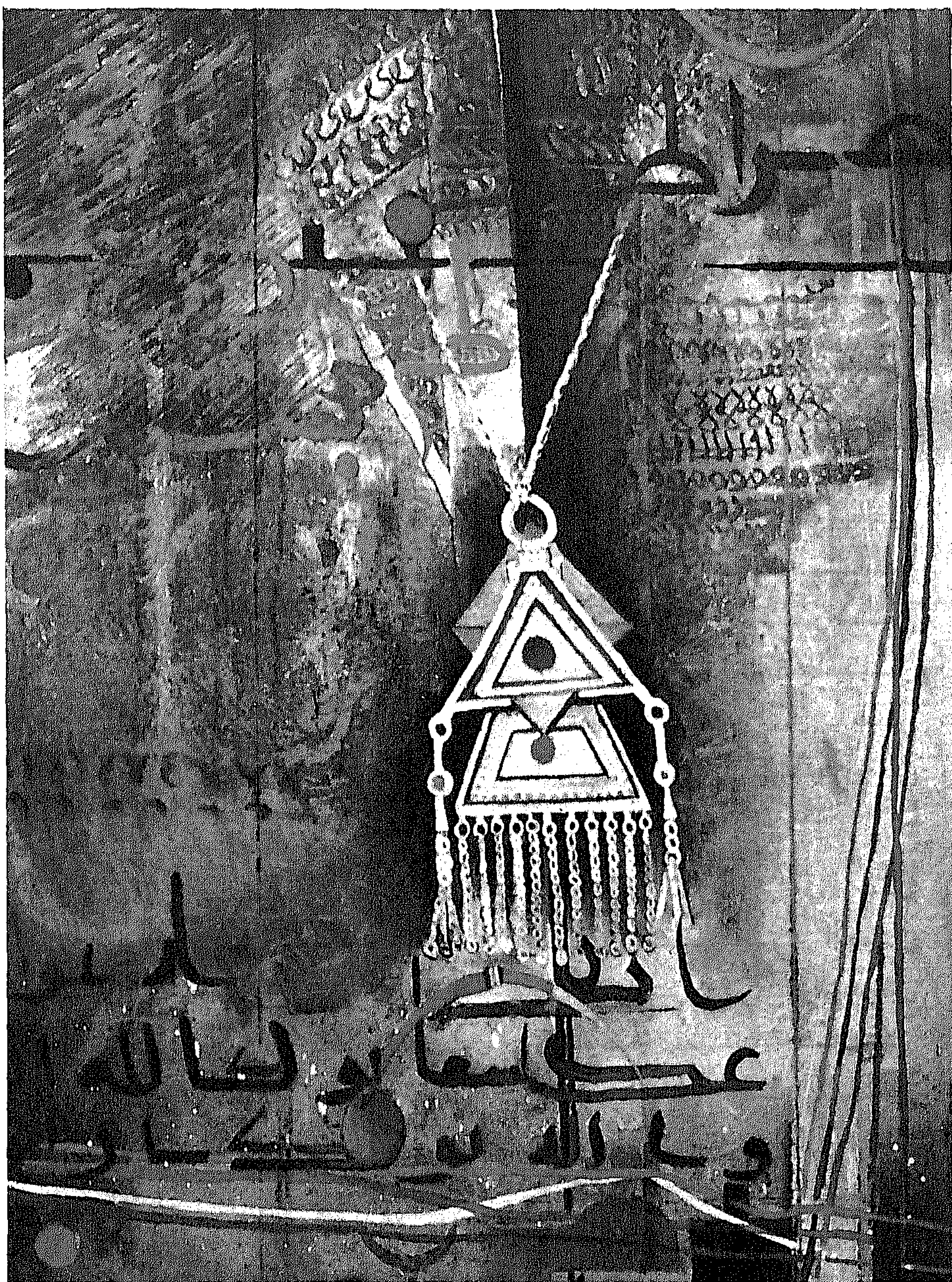
مليحة لامير المؤمنين على — حسنا ملابسها من احسن الحل
مياله قلوب العاشقين لها — بالحب والشوق لا بالمكر والحيل
مليكة ملكت عزا ومكرمة — سليمة من جميع السقم والعلل
جميلة الطبع قد طابت محاسنها — عظيمة القدر قد جلت عن الزلل
محفوظة برضا الباري ورحمته — مشوبة بلذيذ الخمر والعسل
ذكية الريح لاند ولا مسك — مصونة ليس بالأستار والكلل
على المسامع ذكراها إذا ذكرت — تجلي الهموم إذا تتلى بمحتفل

صلي يارب على من — قد حوى كل المعاني
ماشجى الطير وغنى — أو لمع البرق اليماني
لمع البرق اليماني — فشجاني ما شجاني
يا وميض البرق هل — ترجع أوقات التهاني
وترى يجتمع الشمل — ونمضي بالأماني
ياخليلي إذا لم — تسعداني فذراني
هذه أطلال سعدي — والحمى والعلمان
هكذا ما كان ظني — تمنعون الوصل عني
أي ذنب صار مني — تهجروني تهجروني

أهلا وسهلا يا غزال — يامن تربى في دلال
يامن لها رأس[1] عجيب — يطوى كما طي الجبال
يامن لها خصر نحيل — تفديه روحي والعيال
يامن لها طرف كحيل — والوجه منها كالهلال
يامن لها ردف ثقيل — يرتج من تحت الغلال
والخد كالورد الرطيب — والثدي كالرمان دال
والقلب مني في إلتهاب — كالنار تسعر بإشتعال
والجسم مني ناحل — في حب هذاك الجمال

---

١) رأس : يقصد شعر الرأس .



لوحة زيتية للفنان عبدالكريم العريض
موجوده فى متحف طشقند ـ جمهورية ازبكستان

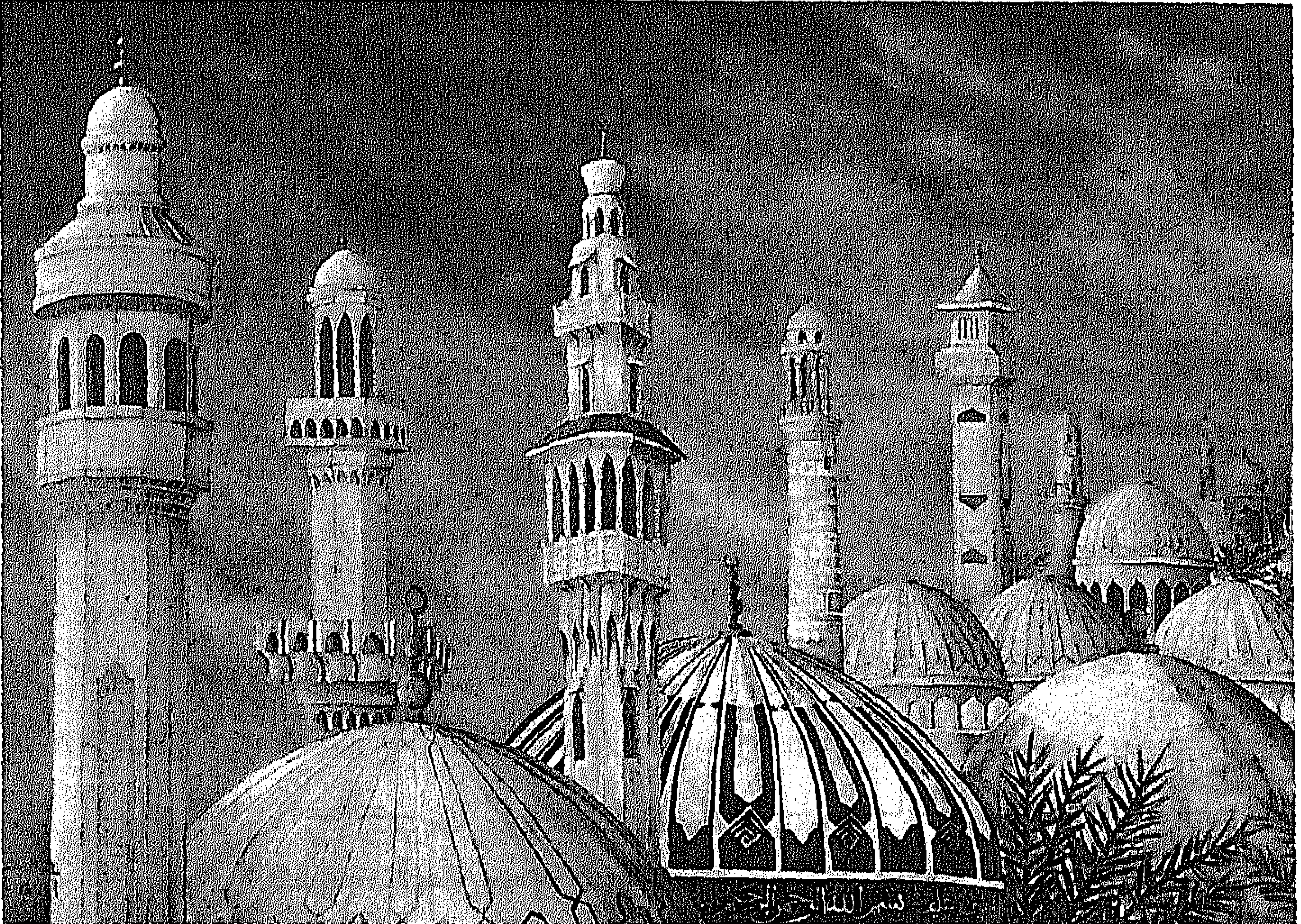
وصرت كالمجنون ليلى   وهمت ليلا في الجبال
حتى كان الوصل بان   وصار بالحب إتصال
برد غليلي والحشا   بالوصل من ذاك الجمال
حتى شفيت القلب من   محبوب قلبي بالوصال
وأجتني التفاح من   خدك كما لون الهلال
والعتب فيما بيننا   قد صار في طول الليال
والحمدلله الذي   مّن علينا بالوصال
والحزن ولى والعنا   والهم ثم الغم زال
ثم الصلاة على النبي   محمد بدر الكمال

ثم علي المرتضى   وآله أشرف آل
صلي عليهم ربنا   ما لاح في الأفق هلال
أهلا وسهلا ياغزال   يامن تربى في دلال

أمينة في أمانيها   مليحة فى معانيها
تجلت وإنجلت حقا   سألت الله يبقيها
ظفاير شعرها حلت   على أكتافها دلت
وأملاك السماء إبتهلت   ونظروا لمعانيها
جبين كالبدر ياضى   وذكره شافي أمراضي
لها رب السماء قاضي   فوالله خاطري فيها
لها حاجب كما لأقياس   وتتمايل كغصين الياس
وما من مثلها في الناس   أبو المختار حضي فيها
لها خذ كما التفاح   روايح عطرها قد فاح
ناظرها بقي مرتاح   وحاز سعوده فيها
لها عنق كما المرمر   وريق أحل من السكر
وهي تجلي وتتبختر   وحور العين تحويها
جلّوها بالحلل والنور   إله العرش لها ناطور
ونثروا اللؤلؤ المنثور   وحور العين تحويها
جلّوها بالحل والتاج   إليها خاطري قد هاج
وحاج الحاج لها محتاج   ونظروا في لمعانيها

جلّوهـا ليلـة خضرا وكـانـت ليلـة قمـرا
وهي إتضـاوي كما الـزهـرا أبـو المختـار حضي فيـهـا

جلوا جـلال الله الله وأكبـر
مـافي جمال الخلق شرواك يـاعلي
مرت على التينه والتينه ما أثمرت
أثمـر بها الـرحمن كرامـة لعـلي
مرت على الخوخه والخوخه ما أثمرت
أثمـر بها الـرحمن كرامـة لعـلي
مرت على النخلة والنخلة ما أثمرت
أثمـر بها الـرحمن كرامـة لعـلي
مرت على الموزه والموزه ما أثمرت
أثمـر بها الـرحمن كرامـة لعـلي
طلعت الزهرا من الجنة وهي إمبخترة
وزفهـا رسول اللّـه كرامـة لعـلي
طلعت من الجنـة وهي إمخضبة



وزفهـا رسول اللـه كرامـة لعـلي
والشمس غـابت وصـار الظـلام
وردهـا الـرحمن كـرامـة لعـلي
وحـوض الكـوثـر بـالحشر للنبي
وبـأمـر اللّـه السـاقـي عـلي
النـار للكفـار والجنـة للمؤمنـين
وقـاسـم النـيران والجنـة لعـلي

وكما تمر حفلة الزواج بالنسبة للعروس بعدة مراحل ، وكذلك أيضا توجد مثيلات لهذه المراحل بالنسبة لحفلة عرس العريس ، ففي الليلتين السابقتين على ليلة الزفاف ، يقيم أهل العريس إحتفالا كبيرا لقراءة مولد النبي والمدائح النبوية والجلوات . ومن المدائح القصائد التالية :

على الـعقيـق إجتمـعنـا نحـن وسـود الـعيـون
مـاظـن مجنـون ليـلى قـد جن بعض جنـونـي
يـا مـن عليـه إتكـالي أنـت الـعليـم بحـالي
سـهـرت طـول الليـالي شـوقـا لمـن يـهجـرونـي
بـالشـوق أضنـي فـؤادي بـالـهجـر ينفـي ودادي
بـالبعـد أشفي الأعـادي قـوم بـه يحسـدونـي
بـعـد التجـافي إلتقينـا بـالضـم حينـا بقينـا
علمـت علمـا يقينـا بـالمثـل هـم يـعشقـونـي
أضمـه بـإشتيـاق أدعـو لـه أنـت بـاق
كـل الـهنـا بـالـعنـاق فـاسخـي بـه يا عيوني
لـه مـن الحسـن جيـد لـه الحسـان عبيـد
أعطيتـه مـايـريـد حتـى كثـرن ديـونـي
لـه عيـون الـغـزال تـرمـي الحشـا بـالنبـال
أريـده بـالحـلال أهـل الـهـوى يعـذرونـي
يـامن لـه الحسن حلـه وفـي الفـؤاد محـلـه
منحتـك الحـب كلـه وبـعـضـه فـإمنحـونـي
يـاعـاذلي في المحبـة لاتـغلـون حبـه حبـه
تـدري الهوى كـان طبـه أهـل الـهـوى يصلـونـي

ياليالي الوصال عودي زمانا قبل خط الشعر
وإسمحي ياليال وصل الغواني مخجلات القمر
لي شبيه الغزال حبه سباني فاق وصف الغزال
قد تجلى كان بدر تم في ليال الكمال

يشكو حبيبا قد هجر

خل ياخل ذكر عصر التصابي ثم قم في عجل
وأترك اللهو ناسيا والتماني فالرضا قد حصل
وإجعل المدح ديدنا كل حين وإتركن الغزل
هذا البشير المنذر هذا الصفي العبقري
هذا شفيع المحشر هذا قسيم الكوثر

والخلد أيضا مع سقر

ياأجل الأنام ياخير دان لاله البشير
صرت بالقرب قاب قوسين منه يا صحيح الخبر
حجازي إبطحي محمد يثربي هاشمي الجناب
خيره اللّه خاتم الرسل حقا قد أتى بالصواب
النبي الذى بفضله قد هدانا حين جا بالكتاب
أصبح الين وجهه مستقيم منه لما ظهر
وإنطفى الشرك عنده مولده وإختفى وانكسر
أيوان كسرى فإنهد م والجبت أيضا فإنقصم
لما ظهر خير الأمم المصطفى نور الظلم

تاج الورى والمدخر

البشير النذير صفوة إلا هي من بني آدم
قد أتاه البعير شاك إليه ناطقا بالقم
والغزالة أتته والحبر أسلم لأبي القاسم
ثم والجذع حن شوقا إليه معلنا بالخبر
نبع الماء إليه من أصبعيه ثم شق القمر

ويحضر هذا الإحتفال أهل الزوجين والأصدقاء ، وجمع كبير من أهل الفريق .

وفي اليوم السابق على الزفاف يقيم إهل المعرس وليمة غذاء كبرى ، يدعى إليها الرجال من أهل العروسين وأهل الفريق ، كما يقوم أهل العريس بالإضافة إلى هذا بتوزيع الحلوى **والمروس والخنفروش والبلاليط والساجو والخبيص** على بيوت جميع الجيران والمعارف .

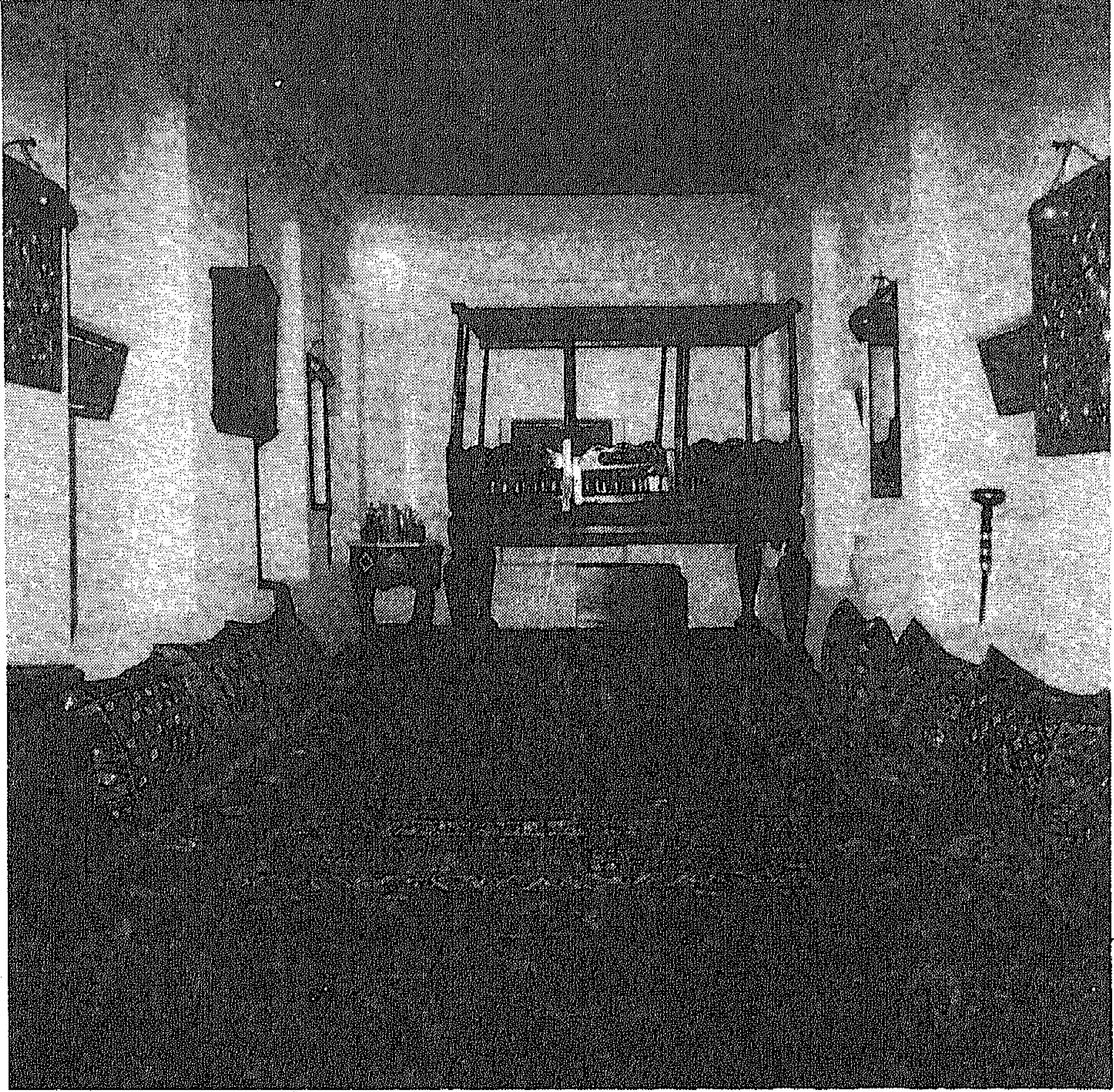
وعند العصر بعد الإنتهاء من الوليمة يذهب العريس مع أصحابه إلى إحدى العيون الطبيعية للإستحمام وإزالة الشوائب من الجسم إستعداد لليلة الزفاف ، وعادة كانوا يذهبون إلى **عين عذاري** أو **أبو زيدان** .

وبعد أن يستحم العريس ويتهيأ ، ويلبس ثياب العرس الجديدة ، ويتقلد سيفاً ثم يمتطي حصاناً أعد خصيصاً لهذه المناسبة ، ولعل عادة ركوب الخيل هي من بقايا عادات عهد الفروسية الذي عاشته البحرين كغيرها من الأقطار العربية ، ويسير العريس بحصانه وخلفه جمع غفير من الرجال والأطفال ، حتى يصل إلى شوارع المدينة تسير خلفه فرقة من الطبالات **المدوندو** يطلبون ويزمرون ويغنون ويرقصون حتى يصل الموكب إلى بيت العريس .

وفي ليلة الزفاف أو العرس تلبس العروس أجمل ثيابها ، وتُزَيِّن شَعْرَها بأزهار الياسمين **والرازقي والمشموم** وتضمخ جسدها بأحسن أنواع الطيب **(الخنة)** ، كدهن العود أو الصندل أو المشموم أو من الصبيحية أو الخمرية اللتين تحتويان على خليط من الزعفران والصندل ودهن الورد والعنبر ودهن العود والزباد والمسك ، ويرش الرشوش في مفارق شعر رأس العروس .

(ويحضر **الرشوش** عن طريق مزج بعض أنواع من الورد «الوردِ المحمدي» مع بعض العطورات السائلة وسبب تسميته بـ «الرشوش» يعود لكمية العطورات التي ترش على الورد نفسه ، أما طريقة التحضير فتتم بأخذ كمية من الورد ، وتنظف الشوائب والأغصان العالقة فيه ، ويعرض للشمس لفترة من الزمن حتى يجف ، وبعد ذلك يطحن بأداة الرحا ، حتى يصبح المسحوق ناعما ، ثم يخلط هذا المسحوق ببعض العطورات المعروفة كالمسك والصندل والعنبر والزعفران والزباد والريحان ، ويوضع هذا العطر في آنية خاصة ، وحين يستخدم يكون على شكل بودرة ، يضاف عليه قليل من ماء الورد ودهن العنبر . وتتزين المرأة البحرينية بعطر «الرشوش» بوضعه ما بين خصلات الشعر بعد تصفيفه ، حيث يجدل الشعر لعدة ضفاير من الخلف ومن الأمام وعادة ما يفرق الشعر إلى نصفين ويرش عليه في الوسط بعطر «الرشوش» عند

«المفرق» ، كما يؤخذ الزعفران ويخلط ببعض العطورات ، ويميل لون هذا المزيج الى اللون الأصفر ، ويوضع في نهاية الجبهة عند مقدمة الشعر ويسمى «فلعة» وينقسم الرشوش إلى نوعين ، النوع الأحمر ويستخدم لفصل الشتاء ويكون قوي التركيز ، والرشوش الأبيض وهو أقل تركيزاً ويستخدم لفصل الصيف وكانت أغلب الأسر البحرينية تعمل في تحضير عطر الرشوش بكميات مناسبة ويعبأ في أوانٍ زجاجية خاصة ، ويستخدم على مدار السنة ، وقد قل استخدام هذا العطر في الفترة الحالية ، ولم يعد يستعمل إلا بشكل محدود)[1] .



● نموذج لغرفة في بيت بحريني

---

(١) انظر مقال (العطور ووسائل الزينة التقليدية في البحرين) إعداد ابراهيم سند وسميرة الساعي في جريدة الأيام .

وتتحلى بأكثر ما يمكن من قطع الحلي الذهبية[1] فتضع على الرأس **القبقب**[2] أو قحفية من سف الذهب تتدلى منها **الوريقات** ، **والتراكي**[3] في الاذن ، **والخزامة** في ثقب من الجهة اليمنى من الأنف **والزمام** في ثقب من الجهة اليسري ، وتتدلى على صدرها قطعة كبيرة من الحلي ، هي **القلادة** أو **المرتعشة** وفي اليدين **المعاضد وحب الهيل والبناجري والسويرات وسف الحصير** وفي الأصابع الخواتم **والمرامي والدبلات** وفي الرجلين **الحجول** الذهبية .

وبعد أن تكتمل زينتها تجلس العروس في حجرة أخرى غير حجرة الفرشة ، أما بقية النسوة فيجلسن في فناء المنزل ويغنين أغاني الزفاف ، ومن أشهر هذه الأغنيات سواء من حيث الصياغة أو من حيث النغم الأغنية التالية :

بان الصبح بانية ... وايه
بان الصبح بان وبان وحبيّبي ما بان .. وايه
يا أسمر اللون ومن قالك تجي حافي لين تعبت النوق زميتك على أكتافي
وايه وايه[4] وايه وايه
يا أسمر اللون ومن قالك تجي زعلان لين تعبت النوق زميتك على الذرعان
بان الصبح بانية ... وايه
يا أسمر اللون صايبني عليك جنون والعشق يبغي لطافه[5] ما يريد جنون
بان الصبح بانيه ... وايــه
يا نخلة في حوينا[6] بان فيها البسر واللي ما يلاقي حبيبه الصبح مات العصر
بان الصبح بانيه ... وايه
ومتى يغيب القمر وأركب لحبي فوق ويطيب ذاك الهوى ويطيب ذاك الشوق
بان الصبح بانيه .. وايه

---

(١) من أنواع الحلي الذي تتزين به العروس ، الأسماء التالية :
حجول - ريشة - حزام - خزامة - زمام - جف - نكلس - مرية - هلال - مثقب - مرامي - شميلات - بناجري - حب الهيل - سويرات - بانكه زند - جنب وغيرها .
(٢) القبقب : أو الكبكب هو تاج مرصع بالأحجار الكريمة .
(٣) التراكي : الأقراط .
(٤) وايه وايه ، بمعنى آه آه ، وهذه العبارة يرددها (كورس) نسائي بعد كل بيت من أبيات الأغنية .
(٥) لطافه : لطف ورقة .
(٦) الحوي : فناء الدار .

يا نخلة في حوينا لاح فيها البسر   يا من تحته ودق الديرمة[1] من عصر
بان الصبح بانيه   ...   وايه
والبارحة يعلم الله كثـرة أحلامي   والحلم كذاب والمحبوب ما جاني
بان الصبح بانيه   ...   وايه

والبـارحة بيتـوني تحت غـرفتهـا   وإسمع ونينها وأنا اتحرق بجمرتها
بان الصبح بانيه   ...   وايه
وأمتى يغيب القمر وتنام دايتهـا   وأطل من الروزنة[2] وأحب وجتها
والله لا حركم وآخذ رجل قطوم   وأقعد على ركبته وأفتت المشموم[3]
بان الصبح بانيه   ...   وايه
والله لا حركم وآخذ رجل باشـا   وأقعد على ركبته وأنفر[4] قماشه[5]
بان الصبح بانيه   ...   وايه
مـريت بجويـرية تغسـل تراجيهـا   مديت أيدي إلى المخبى أبعطيهـا
بان الصبح بانيه   ...   وايه
قالت فلوس العشق مالي غرض بيها   والعشق ما ينشرى بالدنيا وما فيها
بان الصبح بانيه   ...   وايه
مريت بجويرية تغسل خشف لومي   وقلت يا جويرية حل الوعد قومي
بان الصبح بانيه   ...   وايه
مريت بحويكم ودويجكم ما صاح   وأبيـوتكم عاليـه ومسقفة بـألـواح
بان الصبح بانيه   ...   وايه
حطيت أيدي قفل وخنيصري مفتاح   وبطلت باب الهوى والراس مني طاح[6]
بان الصبح بانيه   ...   وايه

---

(١) الديرمة : لحاء لجذوع أنواع معينة من الأشجار ، تعطي لوناً أحمر إذا ابتليت ، كانت النساء تستعملها قبل قدوم أحمر الشفاة .

(٢) الروزنة : النافذة والكلمة فارسية هي (روشن) .

(٣) المشموم : نبات عطري ، تشك أوراقه الخضراء وتثبت في جدائل شعر المرأة .

(٤) القماش : اللؤلؤ .

(٥) أنفر : أنثر وأبعثر .

(٦) طاح : وقع .

وصحت يا ربي يا خلاف يا جبار هذا القمر في الحوي ويش جيبه للدار
بان الصبح بانيه ... وايه
والبارحة بيتوني تحت سرج الخيل وريحته يا عرب كله زباد وهيل
بان الصبح بانيه ... وايه
واحبيبي دود[1] البطيـخ من لبـه واضعيف البخت يبغضني وأنا حبه
بان الصبح بانيه ... وايه
العشق لو تبتلي بـه ناقتي حنت ولو تبتلى به عجوز في القبر ونت
بان الصبح بانيه ... وايه
ولو يبتلي به فتاة في الخدر حنت ولو تبتلي به كاملة في العقل جنت
بان الصبح بانيه ... وايه
ولو يبتلي به صبي دارس القرآن همل كتابه وراح يتصوخ النسوان[2]
بان الصبح بانيه ... وايه

وتظل النسوة ترددن أمثال هذه الأغاني حتى قدوم **الزفة** بالمعرس .

وفي المساء ، في نفس ليلة العرس يلبس العريس أحسن ثيابه وأجملها ، ويضع العباءة أو البشت ويتقلد سيفا مذهبا ، ويجلس في صدر المكان المهيأ لإستقبال المدعوين والمهنئين له بهذه الليلة المباركة .

وعندما يبارك الأهل والمعارف للعريس زواجه ، يتحرك بعد ذلك ركب المعرس وأصدقاؤه في زفة ، متجهاً صوب بيت العروس ، وخلف هذا الجمع من الرجال فرقة من الطبالين ونافخي القرب .. والجدير بالملاحظة هو أن العادة قد جرت بأن يقوم اصدقاء العريس والعروس بنثر الحلويات ورمي النقود على موكب الزفة أثناء سير موكب الزفة من بيت العريس حتى بيت العروس من نوافذ البيوت وسطوحها ، ومن الممكن ان يقال في تفسير وجود هذه العادة حتى الآن ، بأنها من بقايا عادة نثر التمور التي كانت شائعة لدى العرب في الجاهلية ، ولقد قال أبو الطيب المتنبي في هذا الشأن البيت التالي :

نثـرتـهـم فـوق الأحيـدب نثـرة كما نثرت فوق العروس الـدراهم

---

(١) دود : اصابه الدود .
(٢) يتصوخ : يصطاخ .

وممارسة هذه العادة لم تكن في الحقيقة مقصورة على العرب وحدهم دون بقية الشعوب ، بل أن جميع الشعوب القديمة تكاد تتفق على ممارسة مثل هذه العادة ، فقد كان الأغريق قديما ينثرون الدقيق والحلوى على العروسين ، كما كان الأحباش يسكبون عسل النحل المخلوط بالزبدة على رأس العروسين في ليلة الزفاف . وفي شمال إنجلترا وحتى وقت قريب كانت كعكة الزفاف تفتت على رأس العروسين خلال حفلة الزواج .

والحقيقة أننا لو تتبعنا تاريخ هذه العادة لمعرفة مصدرها والهدف من ورائها ، لوجدنا أنها لا تخرج عن رغبة أصدقاء العروسين بأن تكون حياتهما رغيدة سعيدة ، وطرد الأرواح الشريرة التي تتقمصها وقد تنغص عليهما حياتهما لتحيلها إلى جحيم في المستقبل .

وخلال سير موكب الزفة يشكل أصدقاء العريس شبه دائرة حوله ، ويقومون بحركات راقصة ، وخلال هذه الحركات لا يفوتهم دغدغة المواضع الحساسة من جسده ، كما يردد بعضهم بأصوات منغمة رتيبة بعض الأهازيج الدينية .

ومن هذه الأهازيج مثلا :

صلي وسلم عليه — صلوات ربي عليه
محمد وآل محمد — صلوات ربي عليه
يا جماله يا كماله — صلوات ربي عليه
يا مشارك له بارك له
يا مشارك له بارك له
يا غصين البان يا معرس — حاضرة شبان أتونس
نثروا نيطان إملبس — يا الذي إتحب له بارك له
يا مشارك له بارك له
يا مشارك له بارك له
جايه إتزفه حبايب — يمشي واتحفه قرايب
صار لي تحفه عجايب — والفرح فله بارك له
يا مشارك له بارك له
يا مشارك له بارك له

هنوا المعرس يا أهله　　جنه متونس يا محلا
إعطونا بنفسفس أو دله　　للعرس أحلا بارك له
يا مشارك له بارك له
يا مشارك له بارك له

طابت السمرة طويلة　　إبليلة قمرة جميلة
محلاها السهرة الليلة　　بالأنس كله بارك له
يا مشارك له بارك له
يا مشارك له بارك له

وقبل أن يصل موكب الزفة بيت العروس ، يدخل المعرس مع أصحابه أحد المساجد التي يصادف وجودها موكب الزفة لتأدية الصلاة ، ومتى إنتهت الصلاة ، يواصل الموكب سيره حتى يصل بيت العروس ، وما أن يصل موكب الزفة المكان المقصود حتى تستقبلهم النساء بالغناء **والجباب والصفاق** ، ثم يقوم أصدقاؤه بتوديعه ، متمنين له السعادة والهناء والخلفة المباركة . وبعد أن ينفض ركب الرجال يأتي دور النساء لإكمال بقية مراسم الزفاف .

وتبدأ هذه المراسم بأن تدعو الداية كلا من العريس والعروس إلى وسط **حوي**[1] البيت تجلس كلا منهما في مواجهة الآخر ، ثم تحضر الداية **مشقابا**[2] كبيرا من الفخار ، وتقوم بوضع قدمي العريس والعروس في هذا الطبق بطريقة خاصة ، بحيث يتلامس إبهام كل منهما مع إبهام الآخر ، ثم تغسل الداية رجليهما بماء الورد ، وخلال هذه العملية يقوم المعرس بوضع عملات نقدية أحياناً ذهبية في هذا الطبق ، ويطلق على هذه العملية **غسل الرجول**[3] ، وبعد الإنتهاء من غسل الأرجل ، يؤتي برداء مشمر حريري مزخرف بنقوش من جميع الألوان ، وتمسك أربع نساء هذا الرداء من زواياه الأربعة ، بحيث يظلل رأس العروسين ، ثم تبدأ إحدى النسوة أغنية **المتورب** ، بينما تحرك النساء الأربع هذا الرداء من أسفل إلى أعلى وبالعكس ، على إيقاعات هذه الأغنية التي تشبه إيقاعات الموشحات الأندلسية في اللحن .

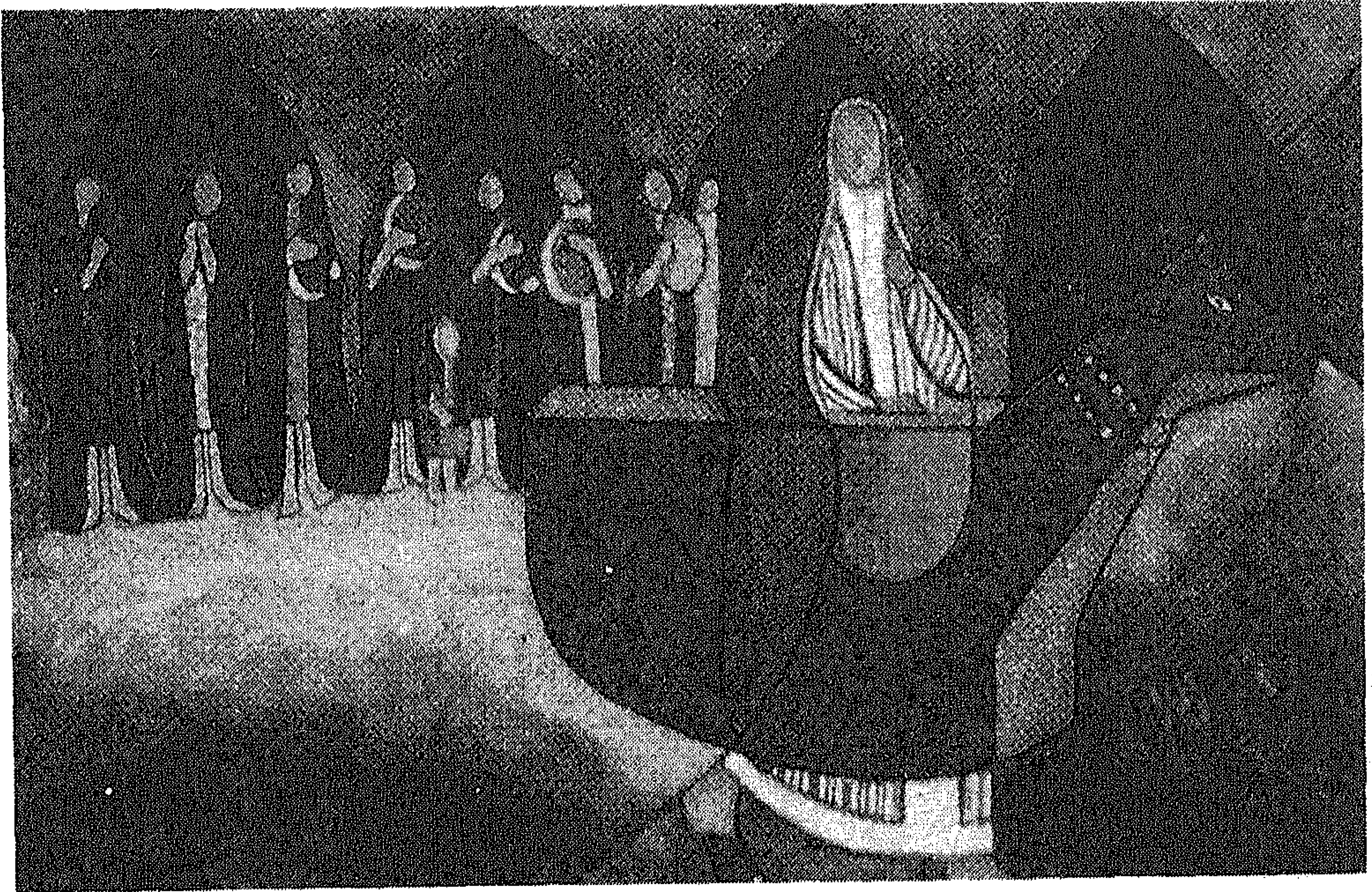
---

(١) حوي : فناء .
(٢) مشقاب : طبق .
(٣) الرجول : الأرجل .

أول ما بدينا بالصلاة على محمد   معي صلوا على المحبوب أحمد
وثانيهم أمير المؤمنين   وثالثهم فاطمة بنت الأمين
ورابعهم الحسن ويا الحسين   وخامسهم الملايكة أجمعين
وسادسهم الخضر يا بو محمد

ألا يا لبيض يا وجدي عليكم
سبع بيبان مصكوكة عليكم
ولا ني حية بسعى وأجيكم
ولا ني طير، يصفق بالجناحين
إلايا حسن وصلنا لحليلة
وبسك من إمزاحك هالطفيلة   لازم يشفي العاشق غليله
أو يسهر ليلته ويا أحبابه
ألا يا حمد وصلنا قلالي
وبسك من إمساهرك الليالي   يستأهل بعد حبي الغالي
يسألني وأنا بارد جوابه
حبيبي لا تقول إني سليتك
سلتني العافية حين سليتك   أنت الرازقي وأنا جنيتك
وكل عود اندرز عندي إحسابه
حبيبي لا تقول ألعب ولا أتعب
ولا تأخذ بنات الناس تلعب   ولا تجعل رياض الحب ملعب
سخي الجف بين الناس ينحب
بنات الناس يبغون الدراهم
وميفيدك تعب تركض وراهم   وتدري بالدراهم كالمراهم
ومن غير الدراهم ماشي راهم
حبيبي لا تقول اليوم بردي
رشوش إمغمره بغراش وردي   حبيبي ضيف جاي اليوم عندي
أحبه إبجبهته ويبوس خدي
حبيبي متجي وأعلى إفراشي
وطول الليل أنا أهمز وراشي   حبيبي ومهجتي ولفي وباشي

يقول أعطيش يا حلوه معاشي
حبيبي متجي وأعلى المخده
وصفة رازقي زاهي إبخده   يودني أحبيبي وأنا أوده
وأنا بالروح أفديه مستعده
أريد أعاتبك والغنم سارت
وشمس القيض فوق الروس دارت   لمست أخديدها عيت وصاحت
أخاف الواش من أعنيك قالت
أريد أعاتبك بينك وبيني
مردود شاخ من عينك لعيني   وطول الليل بالحب نادمين
مثل ما ونسيتك ونسيني
تهنى يا ولد باول شبابك
جعل البين غايب ما درى بك   على حوض النبي لغسل إثيابك
وجعل أمك إتربي لك أحبابك
تهنوا يا إثنين العاشقيني
ويبارك الحسن ويا الحسين   عطركم هالورد والياسميني



يحلوه بالمحبة قاسميني
ألا يا حلو من داسك لدوسه
نحب الخد والبرطم نبوسه   نحب الزين ما نبغي إفلوسه
تهني واطربي به يا عروسه
ركبت أجبال فوق جبال عالي
وزعقت إبصوت يا أم جدله تعالي   أو من شفت البدر واقف إقبالي
سهيت أو طاح من رجلي إنعالي
حبيبي ليش تكسر لي إهلالي
إهلالك لو إنكسر غيره بدالي   وإهلال الذهب فوقج يلالي
أو ليك القصر في الجنات عالي
وراش إمغنضبه أو لالك احجايه
وحجاياتك على إقليبي هنايه   وإنتي لي إبهالدنيا الغايه
لشحن غرفة العودة هدايه
يا أم ثوب الحمر مصبوغ فوه
دشي حوشنا وفعلي أمروه   وحبي ليش لا تقولين توه
أحبش من صغر سني يحلوه
يا أم ثوب الحمر ليها حواشي
أنا زعلان والمحبوب إيراشي   يرشني بالورد وإخلاء لغراشي
أو راضاني وأنا فوق لفراشي
يا حصه لي دخلتي الدار صيحي
وقولي مرحبا بك يا نصيحي   يا حلو المعاني يا صبيحي
أنا أبسري يولفي ما أبيحي
يا زهرة لى دخلتي الدار لالي
وقولي مرحبا بك يا يالهلالي   يروح الروح يا ولفي يغالي
وعمري أو ياك يجيب حلالي
يا دانه لي دخلتي الدار سمي
وقولي مرحبا بوليد عمي   عطاني منيتي ويزيل غمي
يعادل والدي في الحب وأمي
حبيبي فج السلة وتمنظر

صفـة رازقـي وغـراش عنبـر ضمنـي وشيلنـي إنجـان تقـدر أبحمد خالقي أعلى الزين وأشكر

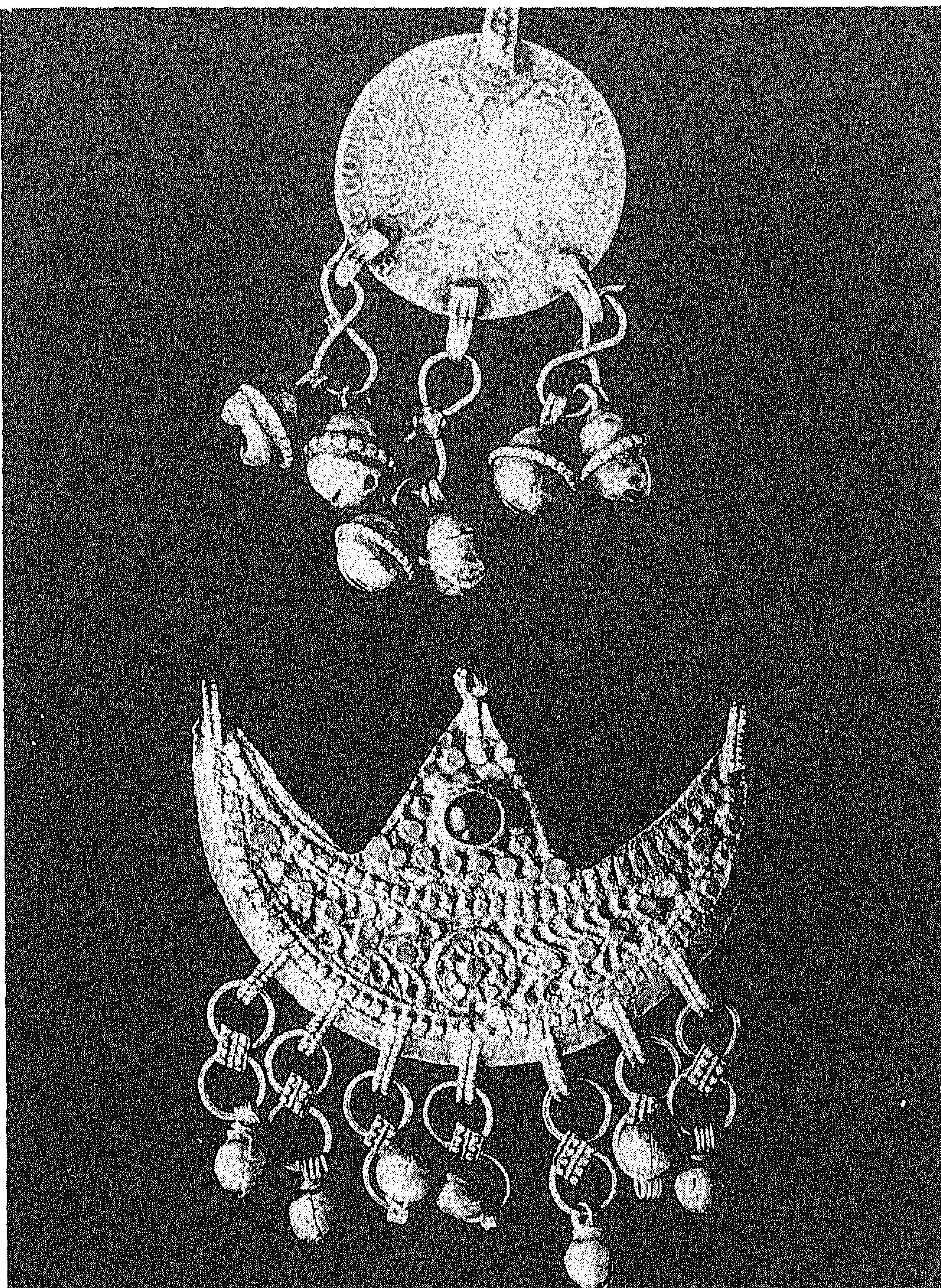
وبعد أن ينتهي المتورب ، يدخل العروسان عادة الفرشة ، ولكن قد يحدث وفي حالات نادرة جداً أن لا تسلم العروس إلى العريس إلا مع بداية ظهور خيوط الفجر ، ويعمل هذا التقليد عندما يكون على العروس **حرس** أو سهر . ويقال في تفسير هذا التقليد أن العروس في ساعة ولادتها ، وهي لاتزال طفلة ، تخرج إلى الدنيا ومعها العادة الشهرية، ولهذا يعتقد عامة الناس أنه لو سلمت العروس لزوجها بدون إقامة سهر أو حرس عليها في ليلة زفافها، ربما تصاب بمس من الجنون.

وبعد أن يدخل العروسان الفرشة ، يقوم العريس برفع الغشواية التي تغطي العروس ، وحتى يستطيع المعرس رؤية وجه العروس ، لابد أن يدفع مبلغاً من النقود مقابل **فجاج الوجه**[1] .

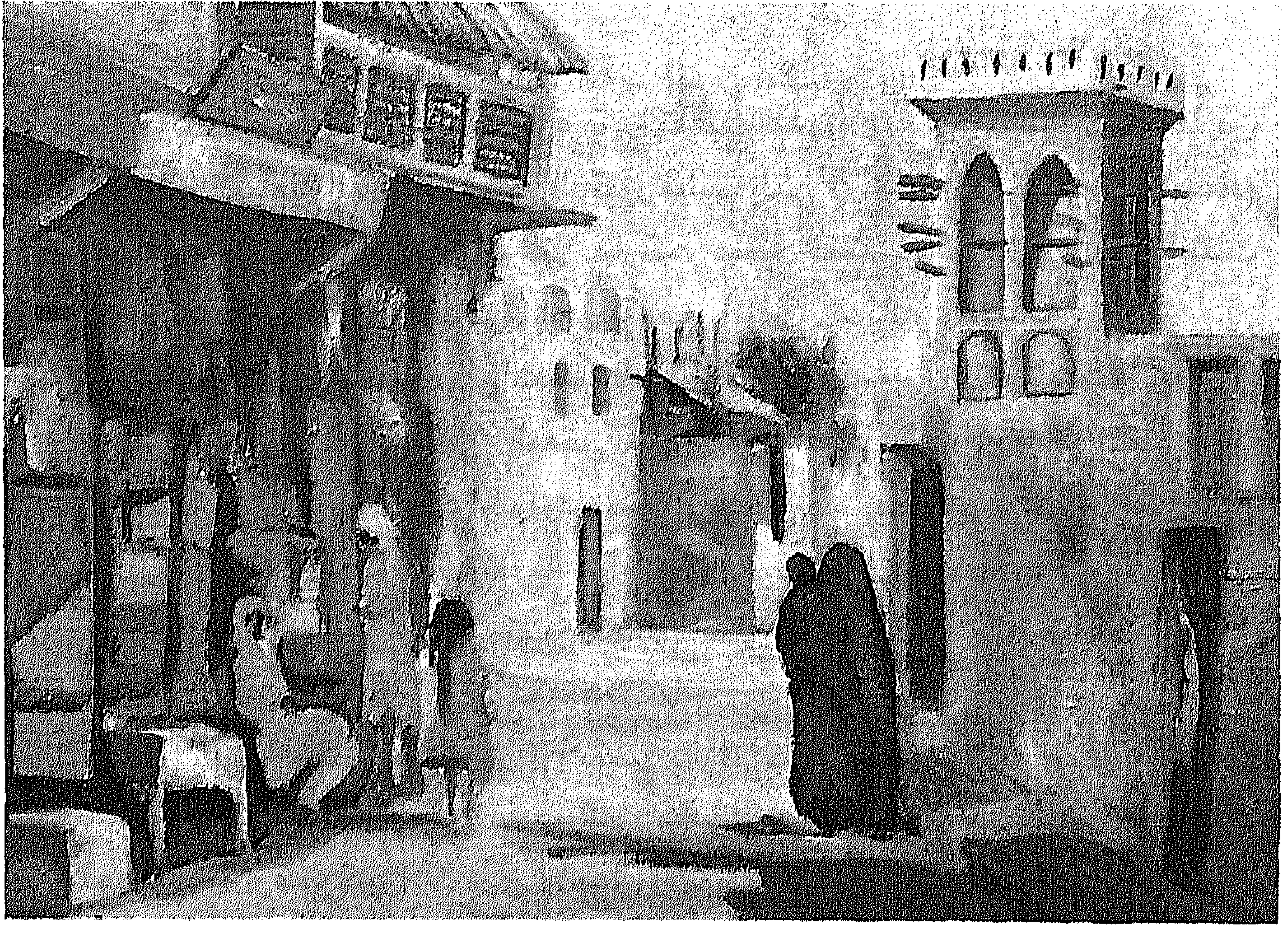
وفي **صباحية** العرس يهدي العريس عروسه بعض المصاغ من الذهب ويدفع مبلغا من النقود حسب مقدرته المالية ، ويطلق على هذه الهدية **الصباحية** ، وبعد الإنتهاء من هذا الإجراء ، يلبس المعرس ثيابه ويذهب لزيارة والديه ، حيث يقبل رأسهما ثم يعود بعد ذلك إلى بيت العروس ليستقبل المهنئين والمباركين ، وفي ثالث يوم من الزواج تقوم أم المعرس بزيارة العروس في بيت زوجها وتحمل لها الهدايا من أهل المعرس .

---

(١) **فجاج الوجه : رفع الخمار عن الوجه .**



أجزاء من حلي فضية منوعة كوحدات زخرفية في الحلي البدوية مكونة من هلال أو قطعة نقد تتصل بها حبات أو أجراس .



ولقد جرت العادة أن يقيم المعرس في بيت أهل العروس قرابة الاسبوعين ، وفي ليلة اليوم الخامس عشر من الزواج يبدأ **الحوال** أي إنتقال الزوج والزوجة إلى بيت العروس لإصطحابها إلى بيت زوجها ، ويجري الحوال في جو ملء بالفرح والبهجة ، وتقوم النسوة وهن في طريقهن إلى بيت العريس مع العروس بترديد بعض الأغاني ، ومنها هذه الأغنية :

رحنا وجينا بها   رحنا وجينا بها
أما تكثرون المروس[1]   وإلا ردينا [2] بها
سبعة خواتم على السارية   قومي إطلعي له يالغالية
سبعة خواتم على السيسبان[3]   ساعة يقلبها وساعة ينام

وبعد أن تصل العروس إلى بيت زوجها ، تقوم في صبيحة اليوم التالي للحوال بزيارة والديها .

---

(١) المروس : نوع من الحلويات ويتكون من الطحين والسكر والحبهان والزعفران وقليلا من الماء .
(٢) ردينا : رجعنا وعدنا .
(٣) السيسبان : طائر صغير الحجم ، جميل الشكل ، أخضر اللون (أبو فصاده) ، تكون رؤيته علامة على السعادة .

الختـــان :

تنحدر عادة الختان **الطهارة** من التقاليد القديمة ، التي اقتبست أصولها من الديانات السامية القديمة ، ويرى الدكتور فيليب حتى في كتابه (تاريخ الشرق الأوسط) أن الأموريين هم أول الشعوب التي مارست عملية الختان ، ثم بمرور الزمن إنتقلت هذه العادة إلى شبه الجزيرة العربية مع إنتقال الديانة اليهودية .

كما أنه من الثابت لدى معظم علماء الآثار أن المصريين القدماء كانوا يعرفون الختان ويمارسونه(١) ويقول البعض منهم أن اليهود أخذوا عادة الختان عن المصريين ، وذلك عندما سكن اليهود مصر ، ولم تكن ممارسة اليهود لهذه العادة تلبية لعقيدة دينية ، وإنما كانت جريا وراء تحقيق مصلحة سياسية نفعية تهدف الي الإندماج قدر الإمكان في المجتمع المصري الذي كانت هذه العادة تمثل جزءاً من تقاليده الإجتماعية .

ولهذا السبب اصدر (يوشع) قراراً يقضي بالزام كافة اليهود بوجوب ختان أبنائهم(٢)

ويرجع بعض المؤرخين سبب ظهور عادة الختان إلى إسطورة قديمة تقول : إن أحد الكهنة أزعجه كثيراً أن يرى الأطفال الأبرياء يساقون ليذبحوا على صخرة الهيكل لتقديمهم كقرابين للآلهة ، فرأى في منامه ذات مرة من يحثه على أن يستبدل بذبح الأطفال قطع الغلفة الزائدة عن عضو التذكير لدى الطفل ، خاصة وأن إراقة الدماء على صخرة الهيكل يحقق الهدف المقصود من إرضاء الآلهة .

هذا هو الوضع بالنسبة للشعوب الأخرى ، ولكن يظل السؤال قائماً بالنسبة لدلمون .

هل عرفت دلمون عادة الختان ومارستها ؟

في الواقع ، أنه من الصعب الإجابة على هذا السؤال ، سواء بالإيجاب أو السلب ، لأنه حتى الآن لم يعثر على دليل يؤكد أو ينفي مثل هذه العادة في دلمون ، وحتى نصب عضو الذكورة الوحيد الذي عثر عليه في دلمون كان محطما من الطرف الذي يمكن الإعتماد عليه في التحقق من وجود هذه العادة .

كما أن الأختام التي عثر عليها مؤخراً والتي نُقشت عليها بعض الأوضاع للعملية الجنسية هي من الصغر بحيث لا يعرف منها حقيقة هذاا لأمر بالعين المجردة ودون الاستعانة بالأدوات الخاصة في هذا الشأن ، وعلى هذا الأساس لا يمكن الجزم بوجود ظاهرة الختان في دلمون ، وكل ما يمكن قوله في هذا الشأن هو أن معظم

---

(١) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعامير المصرية ، ص ١٨٨ .

(٢) صلاح حافظ ، التاريخ الجنسي للإنسان ، ص ٣٦ .

الحضارات المجاورة لدلمون والمعاصرة لها عرفت عادة الختان ، فلا يُستبعد والحالة هذه أن تكون دلمون هي أيضاً قد عرفت ومارست هذه العادة .

وكانت العادة المتبعة لدى العرب إذا ما أرادوا ختان أولادهم أن يحضروا فتاة بكراً يلبسونها أفخر الألبسة ، ويزينونها بأغلى الحُلي والجواهر ، ويطلبوا منها أن تصعد إلى سطح المنزل التي تجري فيه عملية الختان ، وتظل هذه الفتاة واقفة ويداها على رأسها حتى ينتهي المطهر من ختان الأولاد[١] الذين يجري ختانهم في شكل جماعي .

والختان عادة لا تقتصر على الأولاد الذكور دون الإناث . وإنما تشملهم جميعاً ، وقد كان يقوم بختان الأولاد شخص متخصص هو **المحسن**[٢] أو **المطهر** ، **أما في** الوقت الحاضر فأغلب عمليات الختان تتم على يد جراحين أخصائيين فى المستشفى، ولم يعد لعملية الختان ذلك المظهر الإحتفالي الذى كان لها من قبل.

أعما عملية الختان بالنسبة للفتيات فقد أقلع عنها الآن تقريبا ، وإذا كانت بعض العائلات مازالت تقوم بها فإنها تمارسها على إعتبار أنها سراً من الأسرار التي لا يجوز للرجال أن يعرفوها أو يتكلموا عنها لا من بعيد ولا من قريب .

وقد كانت العادة أن تتم عملية ختان الأولاد بصورة جماعية ، وذلك إقتصاداً في النفقات ، أما العائلات الغنية والمقتدرة فإنها تحتفل إحتفالاً كبيراً بهذه المناسبة ، وذلك بأن تحدد يوماً معيناً لختان ولدها وتدعو إليه نساء الفريق .

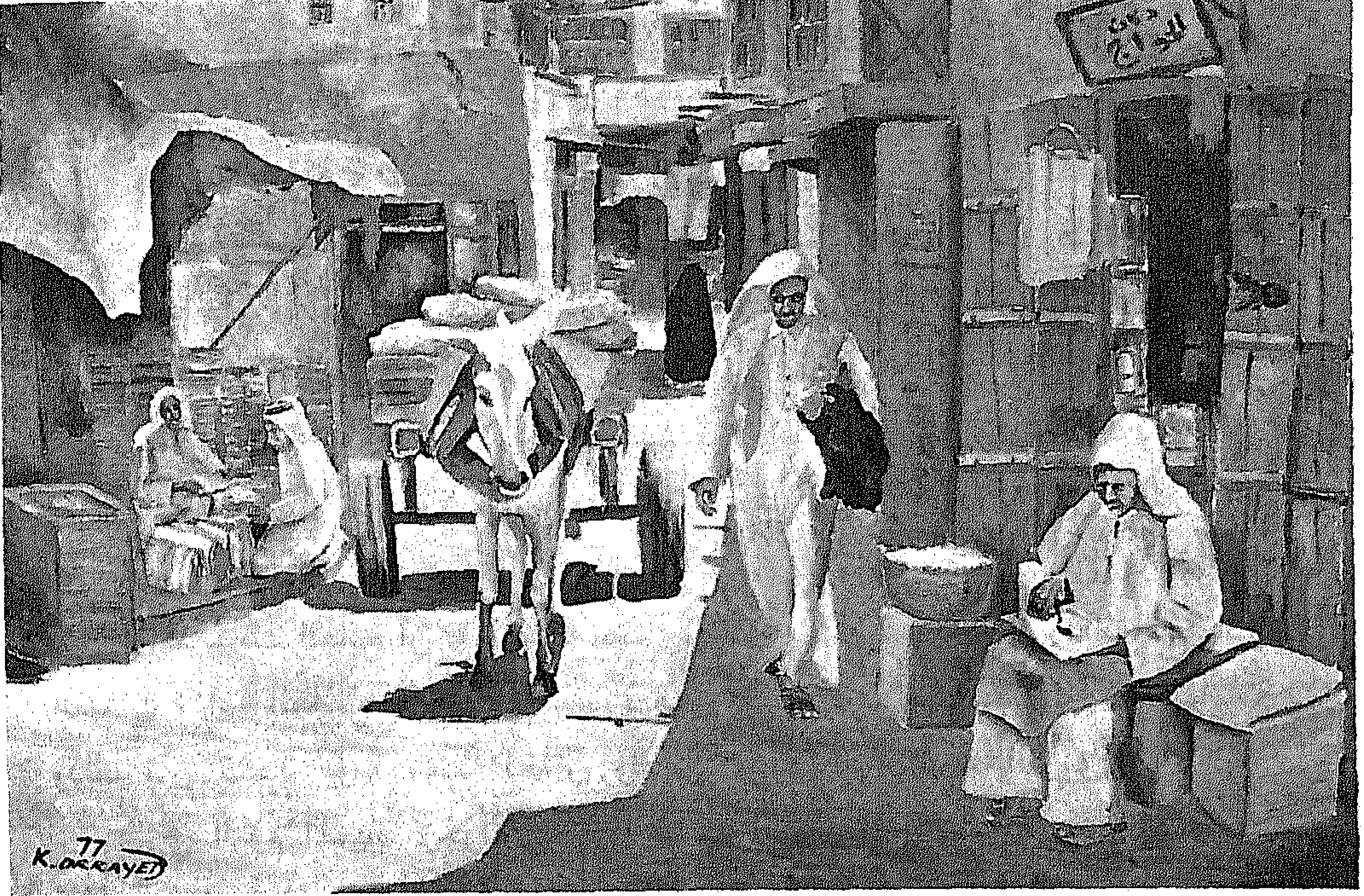
وفي اليوم المحدد لإجراء عملية الختان يلبس الولد الثياب الجديدة ، وتوضع قلائد من زهور المشموم ، وغالباً ما يكون الطفل يجهل ما أعد له ، لأن أهله يتعمدون إخفاء هذا الأمر عنه خشية أن يخاف أو يهرب ، ويحاول **المختن** أولًا قبل إجراء العملية أن ينال ثقة الطفل ، فيلاطفه ويتودد إليه ويقدم له الحلويات والهدايا ، فإذا اطمأن الطفل اليه فاجأه بالطلب منه النظر إلى أعلى ليرى طيور الحمام الكثيرة وهي تطير في السماء ، وفي اللحظة التي يقوم فيها الطفل دون وعي منه بالنظر إلى السماء لمشاهدة الحمام وهي طائرة كما يزعم المطهر، ويقوم المطهر فى لمح البصر يقطع الغلفة ، ثم يضع البلسم على الجرح ويلفه بشريط من القماش النظيف لفا محكما حتى لا يتسمم الجرح . وفي الوقت الذي يرتفع فيه بكاء الطفل من الألم ترتفع فيه زغاريد النسوة معلنة دخول الطفل عالم الرجولة .

---

(١) أديب لحود ، العادات والأخلاق اللبنانية ، ص ٥٨ .

(٢) المحسن : الحلاق .

وبعد إتمام عملية الختان يقدم أهل الطفل الحلوى والمرطبات **والشربت** إلى المدعوات ، وتقيم أحياناً بعض العائلات إحتفالاً كبيراً بهذه المناسبة فيحضرون فرقة من الطبالات والمغنيات ، أو يذهبون إلى **قبر الخضر**(١) **أو قبر الأمير زيد**(٢) أو بتكسير البيض على حجرة **أم إحمار**(٣) القريبة من عين أم الشعوم .



رمضان :

ما أن يهل هلال شهر شعبان ، حتى يبدأ الناس في الإستعداد لإستقبال شهر رمضان المبارك ، شهر الصيام ، لدرجة أن يتحد الشهران من حيث الصورة الإحتفالية ، وتدب في الأسواق حركة بيع وشراء غير عادية لجلب مستلزمات رمضان من طعام وحلويات ومشهيات .

---

(١) قبر الخضر ، مزار تزوره النساء للبركة أو لعلاج بعض الأمراض المستعصية والخضر هو النبي إيليا بن ملكان بن عامر بن شالح بن أرفخشد بن سام ابن نوح .

(٢) يرجح الشيخ محمد النبهاني في كتابه «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية» ص ٤١ أن المقصود بالأمير زيد الموجود مزاره في البحرين هو زيد بن عميرة العبدي من أهالي البحرين وصاحب العلاء الحضرمي الذي فتح البحرين .

(٣) أم إحمار أو رجل إحمار ، شخصية لأمرأة خرافية متوحشة ، قبيحة المنظر وسخة المظهر جسدها آدمي وأرجلها أرجل حمار ، يقال أنها تظهر عند الفجر وتخيف الناس وتبعث في قلوبهم الخوف والرعب .

ولقد كان من المألوف في شهر شعبان ، أن يرى الواحد منا خلال تطوافه في أزقة المنامة منظر **دقاقي الحب**[1] وهم منهمكون في ضرب الحب بالمدق[2] **في مناحيز**[3] كبيرة من الخشب لإزالة القشرة عنه حتى يكون صالحاً لعمل أكلة **الهريس**[4] الذي لا تخلو منه وجبة من وجبات شهر رمضان .

ويحدث أحياناً أن يقوم دقاقو الحب بترديد بعض الأغنيات ذات الإيقاع الأخاذ خلال ممارستهم عملهم ، ومن هذه الأغاني الأغنية التالية :

أجمل صبري على دار الحبيب إبراك
ومن مدامع عيوني ترسن إبراك
يا ريشة العين عيني بالدجى تبراك
والله لا عصى جميع الناس وأطعيك
وأحارب الكون كوني من أصابيعك
والناس ما هي سوى وأنظر أصابيعك
وان ردتني في لك يا حلة الأبراك

وقد جرت العادة لدى معظم الناس قبل حلول شهر رمضان ، أن يأخذوا دواء **العشرج** أو **السنامكي** ، وذلك من أجل تنظيف المعدة حتى تكون صالحة وعلى أهبة الاستعداد لإستقبال وجبات رمضان الدسمة الثقيلة .

كما كان الأطفال يرددون الأهازيج ، فرحين بمقدم شهر رمضان ، ومن هذه الأهازيج الأهزوجة التي مطلعها :

حياك الله يا رمضان   يا بو الكرع والبيذجان

وفي الليلة التي يتوقع الناس فيها ظهور هلال رمضان ، يخرجون إلى الشواطىء والأماكن المرتفعة للتحقق من رؤية الهلال ، وتسمى هذه الليلة بليلة **الاستهلال** ، ولقد كان القضاة من رجال الدين ، ومازالوا يجلسون في المساجد وفي المحاكم لإستقبال من يرى الهلال والتحقق من صدق هذه الرؤية .

---

(١) الحب : القمح أو الحنطة .
(٢) المدق : عمود إسطواني ضخم من الخشب يستخدم لدق القمح .
(٣) المنحاز : الهاون والكلمة من الحوز أي الموضع الذي أقيم حواليه حواجز .
(٤) الهريس : أكلة خليجية وتكون طريقة عملها بأن يخلط القمح المدقوق مع اللحم والماء حتى ينضج القمح واللحم ، ثم يضرب الخليط ضربا متواليا حتى يصبح كتلة واحدة ثم يوضع في الأطباق ويرش عليها السمن ثم تسبط ، وقد تزخرف بنقوش هندسية من مسحوق الدارسين والسكر .



الكركاعون يوزع على الأطفال

وما أن تثبت رؤية الهلال حتى تطلق **الواردة**[1] أو **الطوب** عدة طلقات ، ويمتاز شهر رمضان عن غيره ، بأنه شهر التقرب إلى الله ، فقد أنزل القرآن الكريم في هذا الشهر ، وجعل الله ليلة القدر فيه ، كما يتميز بأكلاته الخاصة المنوعة ومن أشهر هذه الأصناف **الهريس** الذي يكاد يكون إسمه مرادفا لشهر رمضان ، **والثريد** ، ومن الحلويات **المحلبية والبلاليط**[2] المضاف إليهما **الهيل والزعفران** ، **والخبيص**[3] ، **واللقيمات** (لقمة القاضي) وحلوى **الساقو** الهندية وغيرها من الحلويات .

وليالي شهر رمضان من أجمل ليالي السنة حيث تضاء جميع الشوارع **والزرانيق**[3] ، ويخرج الأولاد إليها للعب ، بينما يخرج الرجال إلى المساجد للصلاة ولسماع القرآن ، والنساء إلى بيوت الجيران للتسلية وتمضية الوقت .

ومن أجل الألعاب الرمضانية التي إندثرت ـ للأسف ـ في الوقت الحاضر هي لعبة الحرب أو **الغزوة** التي يتخللها أحياناً بعض العنف ، وتكون هذه اللعبة بأن يتجمع الأقوياء والأشداء من أولاد الفريق ويتسلح كل منهم بالعصي أو **المعجال**[5] وبعضهم يتسلح بذنب سمكة **اللخمة**[6] ، ويقفون على حدود الفريق الذي يريدون مهاجمته ، بينما يكون أولاد الفريق الآخر قد عرفوا مسبقاً مقدم هؤلاء ، فيقوم رئيس الفريق المعتدي عليه ويردد بحماس الأهازيج التي تثير في جماعته الشجاعة لرد إعتداء الفريق الآخر ، ومن هذه الأهازيج ، الكلميات التالية :

دكوا دكوا	الجميع	عمارية[7]
واللي يجيكم	الجميع	قصوا رأسه
حطوا دمه	الجميع	في القرطاسية
دكوا دكوا	الجميع	عمارية

(١) الواردة والطوب : مدفع رمضان ، وأصل التسمية الواردة من الأنجليزية «WARHEAD» وكذلك الطوب «TOB» ايضا .

(٢) البلاليط : أعواد الشعرية ولها عدة طرق في عملها ، ولكن الطريقة التقليدية الغالبة هي ان تسلق أعواد البلايط ثم تصفى ، ثم يُضاف إليه السكر والحبهان والزعفران المنقوع في ماء الورد ، ثم توضع على نار هادئة .

(٣) الخبيص : حلويات خليجية وتكون طريقة عملها بأن يحمر الطحين ثم يوضع عليه السمن والسكر والماء والحبهان والزعفران حتى تتماسك ، ثم توضع في أطباق .

(٤) الزرانيق : جمع زرنوق وهو الزقاق ، وقد كانت المنامة في الماضي كلها زرانيق .

(٥) المعجال : ربطة تربط بها الغترة قريبة الشبه بظفيرة شعر الراس وهي مؤلمة جدا عند الضرب بها لخشونتها .

(٦) اللخمة : سمكة سامة ، طويلة الذيل ، واللخمة كلمة فارسية .

(٧) عمارية : كان العرب في الجاهلية يضعون أجمل بنات القبيلة في هودج يحمله رجال أشداء ويصحبهم في حربهم مع القبيلة المعادية ، وتظل هذه الفتاة تصيح بهم وتستحثهم على القتال لكي يستبسل المقاتلون عند سماع تشجيعها .



وهكذا .. فيرد عليهم المعتدي :

هذا إحنا جينا	الجميع	تعالوا
سمعوا حجينا	الجميع	تعالوا
كان فيكم شدة	الجميع	تعالوا
إنهد فيكم هدة	الجميع	تعالوا
يا أولاد (...)	الجميع	تعالوا

وهكذا .. حتى يشتبك الفريقان ، وقد تسيل الدماء غزيرة أحيانا ، من أجساد كلا الطرفين ، ومما لا شك فيه أن هذه العادة الرمضانية هي من بقايا عادات الفتوة والفروسية لدى العرب .

أما الرجال فيذهبون لسماع القرآن في المساجد أو في بيوت الأثرياء ، ولقد كان الأغنياء يتباهون بعدد **الختمات**[1] التي أتموها خلال شهر رمضان وهناك قراء متفرغون لقراءة القرآن في شهر رمضان مقابل أجر معلوم .

وبعد الإنتهاء من قراءة القرآن يقف خطيب المسجد ويلقي على مسامع الحاضرين الخطب والمواعظ الدينية ، ثم يصلون صلاة **التراويح** ، ويقوم الأثرياء بتوزيع الأطعمة على الفقراء ، وفي شهر رمضان تكثر جلسات **الغبقات**[2] ، حيث يقضي الحاضرون جزءا من الليل في الحديث والسمر حتى ساعة متأخرة من الليل ، وتقدم في جلسات الغبقات أصنافا كثيرة من الأكل والحلويات ، وفي الجزء الأخير من الليل يطوف **أبوطبيلة** ، وهو الشخص الذي يوقظ النيام للسحور ، وسمي أبوطبيلة لأنه يحمل معه طبلا ينقر عليه بعصاه كلما مر على بيت من البيوت ليحث الناس على القيام من النوم ، وبين فترة وأخرى يردد الأدعية الدينية التي تناسب هذا الشهر المبارك .

ولكن هذا لا يمنع بعض المسحرين من غناء أهازيج خاصة ، يقومون بتركيبها ، ومن أمثلة هذه الأهازيج مثلا :

سباتوه[3] جارك الله … عندك عجوز مكسره
سباتوه جارك الله … تمشي وتحلب بقره

---

(١) الختمات : جمع ختمة ، وهي إكمال قراءة جميع أجزاء القرآن .
(٢) الغبقات : مفردها غبقة ، وفي معاجم اللغة ، الغبقة هي ما يشرب أو يؤكل في العشي وهو خلاف الصبوح .
(٣) سباتوه : إسم تصغير لأحد المسحرين إسمه (سبت) .

وفي عام نكبة فلسطين ردد بعض المسحرين الكلمات التالية :

أنا أقول آه وأنت تقول آه

ذاك النغل[١] اليهودي لا تمشي وياه

ومن أهم أحداث شهر رمضان ليلة **القرقاعون** أو **القريقشون** ، **وهي الليلة التي تصادف ليلة الخامس عشر من شهر رمضان ، وفي هذه الليلة يخرج الأطفال ، في شكل جماعات وكل طفل يحمل معه خريطة**[٢] من القماش ، ويجوبون الأزقة والسكك لجمع قرقاعون رمضان من النقود والمكسرات **كالنقل والنخج والبيذان والجوز والزلابية** (المشبك) وعند كل باب منزل يقف الأولاد يرددون الأهازيج التالية :

قرقاعون
عادت عليكم
يا الصيام
والليل اقصير
في شهر رمضان
يا الله ويا الله يا الله
عطونا من مال الله
سلم لكم عبدالله
عطونا من مال الله
بيت مكه يوديكم
الله يخلي ولدكم
ولدكم يا الحباب
وسيفه يرقع الباب
قرقاعون
سلم ولدهم
يالله
ويخليه لأمه
يالله

---

(١) النغل : اللقيط أو مجهول النسب .
(٢) خريطة : الأصل انه كيس من الجلد يُشد على ما فيه .

ويجيب لها المكدة[1]
ويحطها في كم أمه
يا شفيع الأمة
عن المطر وسلاحه
قرقاعون
وهكذا ..

وكذلك أيضاً :

قريقشون حلاوة — على النبي صلاوة
أعطونا من مالكم — سلم الله عيالكم
أعطونا حنه ومنه — حتى تزورون الجنة
أعطونا نخج وزبيب — حتى تزورون الحبيب

أما البيوت التي تقفل أبوابها حتى لايزعجها الأطفال ، فهي تثير حنق الأطفال وسخطهم فيسمعونهم كلاما لا يسرهم مثل :

أعطونا نخج[1] وكنار[2] — حتى تروحون النار
أو قريقشون جدتكم أم القرون .
أو ناصفه جدتكم الصارفه

ولقد كان الكل أيام زمان يصوم شهر رمضان ، حتى الأطفال ، ولقد كان الأطفال يتفاخرون فيما بينهم بصيامهم بالرغم من أنهم لم يصلوا بعد السن التي يتوجب فيها الصيام ، وحتى يبرهن الطفل بأنه صائم بالفعل ، يقوم بإخراج لسانه لسائر زملائه الأطفال ليتمعنوا من لسانه ، فإن كان أبيض أو مشوباً ببياض فهو صائم ، أما إذا كان أحمر فإن هذه الحمرة دليل على أنه فاطر .

---

(١) المكدة : من الكد والمقصود بها هنا الأجر الذي يحصل عليه مقابل كده وتعبه .
(١) النخج : الحمص ، والعادة أنهم يوزعون الحمص المحمص .
(٢) الكنار : النبق ، والبحرين مشهورة بكثرة وجود أشجار النبق .

ولقد كان الأطفال يرددون على مسامع بعضهم البعض ، كلاما منغما عن الصائم الذي لا يصلي ، أو عن المصلي الذي لا يصوم ، فيقولون مثلا :

من صام ولا صلى　　غذاه في النار يتقلى
من صلى ولا صام　　غذاه في النار زقام[1]

وفي الليالي الثلاث الأخيرة من شهر رمضان ، يبدأ أبوطبيلة في توديع شهر رمضان فيردد ، وكذلك الجمع الذي يرافقه وهم في طوافهم في الأزقة والسكك هذه الكلمات المنغمة :

يالوداع يالوداع يا رمضان
عليك السلام يا شهر رمضان

وفي الليلة التي يتوقع فيها الناس رؤية هلال شوال ، يخرجون الى الأماكن المرتفعة لرؤية الهلال ، ومتى ثبتت الرؤية ، تطلق المدافع الواردة عدة طلقات معلنة إنتهاء شهر رمضان الكريم وقدوم عيد الفطر المبارك .

وينطلق على أثرها الأطفال إلى الشوارع وهم كالمجانين يرددون فرحين :

باكر العيد بنذبح بقرة
من عند أبونا ولا هي مشتره
وأنادي عبدوه[2] كبير الخنفرة[3]

والعادة أن تعطل المؤسسات الحكومية ثلاثة أيام بمناسبة عيد الفطر .

وفي يوم العيد يلبس كل الناس صغاراً وكباراً الثياب الجديدة ، ويزور بعضهم البعض لتقديم التبريكات بصيام شهر رمضان .

---

(١) زقام : زقوم وهو الطعام القاتل والبعض يقول صخام .
(٢) عبدوه : تصغير اسم عبدالله .
(٣) الخنفرة : الأنف إذا عظم .

ويقدم الكبار العيديات كالهدايا والنقود للأطفال ، وفي أيام العيد الثلاثة تقام **الزينات والعرضات**[1] ، كما يذهب الأولاد الى الساحة الواقعة خلف **مسجد الجامع**[2] ، **حيث تنصب هناك المراجيح** ويلعبون لعبة **لقوا لقوا** ، **البيزة بأربع**[3] ، أو يأكلون الحلويات **كالسمسمية والقبيط**[4] .

المعلم والختمة :

منذ أكثر من نصف قرن لم تكن المدارس الحكومية الرسمية قد فتحت أبوابها بعد . ونظرا لعدم وجود المدارس لم يكن أمام الآباء في ذلك الوقت إلا أن يرسلوا بأبنائهم إلى **المطوع** أو المعلم لحفظ القرآن الكريم ومعرفة الحديث النبوي الشريف ، فقد كان المطوع في ذلك الوقت يقوم مقام المدارس .

وبالرغم من تبدل الأوضاع وتغير الظروف التي أدت الى إنتشار المدارس في وقتنا الحاضر ، إلا أن ظاهرة المطوع لم تختف تماما من الوجود .

وفي ذلك الوقت الذي لم تكن الكهرباء قد عُرفت بعد في البحرين ، كانت كل (مدارس) هؤلاء المطوعين معمولة عن **الخوص وجريد** النخيل ، ومفروشة **بالمديد والحصران** المعمولة أيضا من مشتقات النخيل .

ولم يقتصر تعليم القرآن والحديث النبوي على البنين دون البنات ، فقد كانت هناك معلمات ومطوعات أيضاً مهمتهن تعليم البنات ، وقد كانت (مدارس) المعلمات والمطوعات في معظم الحالات مدارس مختلطة من البنات والأولاد دون السن التي يبلغ فيها الأولاد البلوغ ، ومتى وصل الأولاد هذه المرحلة يعزلون عن البنات ، خشية وقوع ما لا تُحمد عقباه ، فتتعرض سمعة مدرسة المطوعات إلى القيل والقال .

ولكن بالرغم من إتخاذ هذه الاحتياطات وغيرها ، فإنه كثيرا ما كانت تنشأ بين البنين والبنات علاقات عاطفية في هذه السن المبكرة ، فلا تتورع الفتيات من ترديد الأغنيات العاطفية ومن أمثلة هذه الأغنيات الأغنية التالية :

---

(١) العرضات : مفردها العرضة ، وهي رقصة عربية من رقصات الحرب .

(٢) مسجد الجامع : المقصود به مسجد الشيخ قاسم المهزع رحمه الله .

(٣) البيزة : عملية هندية وهي ربع الآنة ، والآنة جزء من ستة عشر جزءا من الروبية ، ومعنى اللعبة أن من يلعب ببيزة واحدة يأخذ أربع بيزات إذا كسب وهذ اللعبة من أنواع القمار وكلمة لقوا تعني ألقوا نقودكم .

(٤) القبيط : الكلمة عربية وهو نوع من أنواع الحلويات .

لي اصويحبن ما بغاني ،[1] ويش أسوي فيه
هو اللي جفاني واني ماني[2] قادرة أجفيه
الروح ما تنعطي والمال ما يرضيه
والنفس كشره[3] ومتعلق قليبي فيه
كسر صفايح قليبي ، وغلق على ما فيه

وعندما لا تجد المعلمة أو المطوعة بداً من عزل الولد المقصود بهذه الأبيات عن البنات خاصة إذا كانت رجولته بدأت في الظهور ، ومما يعزز هذا الاستنتاج وجود بعض الأغنيات ، التي توضح كلماتها حسرة الفتيات على عزل رفيقهن عنهن ، ومن هذه الأغنيات الأغنية التالية :

لي اصويحين في المعلم كنت أنا وياه
جارت عليه الأعادي واحرموني إياه
عسى من حرمني حبيبي ، ينحرم دنياه
ويطيح مرضان وعندي يوصفون أدواه
لا أنعت[4] ولا أدواي وأقول الرب لا شفاه

وأول ما يقوم به المعلم أو المطوع عند بدء الدراسة هو تعليم الأولاد الحروف الهجائية ، ونظرا لعدم وجود وسائل الإيضاح كالأقلام والطباشير والأوراق والألواح وغيرها في ذلك الوقت ، فإن مبادىء تعليم الحروف الهجائية تتخذ طريقة خاصة تتناسب وهذا الوضع ، إذ يبدأ المعلم أو المعلمة في قراءة الحروف الأبجدية بصوت عال والأولاد والبنات من بعده يرددون هذه الحروف . فمثلا يقول المعلم :

«ألف لا شيلة (ألف لا شيء له) . ويردد الأولاد : ألف لا شيلة والباء نقطة من تحت ، والتاء نقطتين من فوق ، والثاء ثلاث نقط من فوق ، والجيم نقطة من وسط ، والحاء لا شيلة ، والخاء نقطة من فوق ، والدال لا شيلة .. وهكذا حتى نهاية الحروف الأبجدية» .

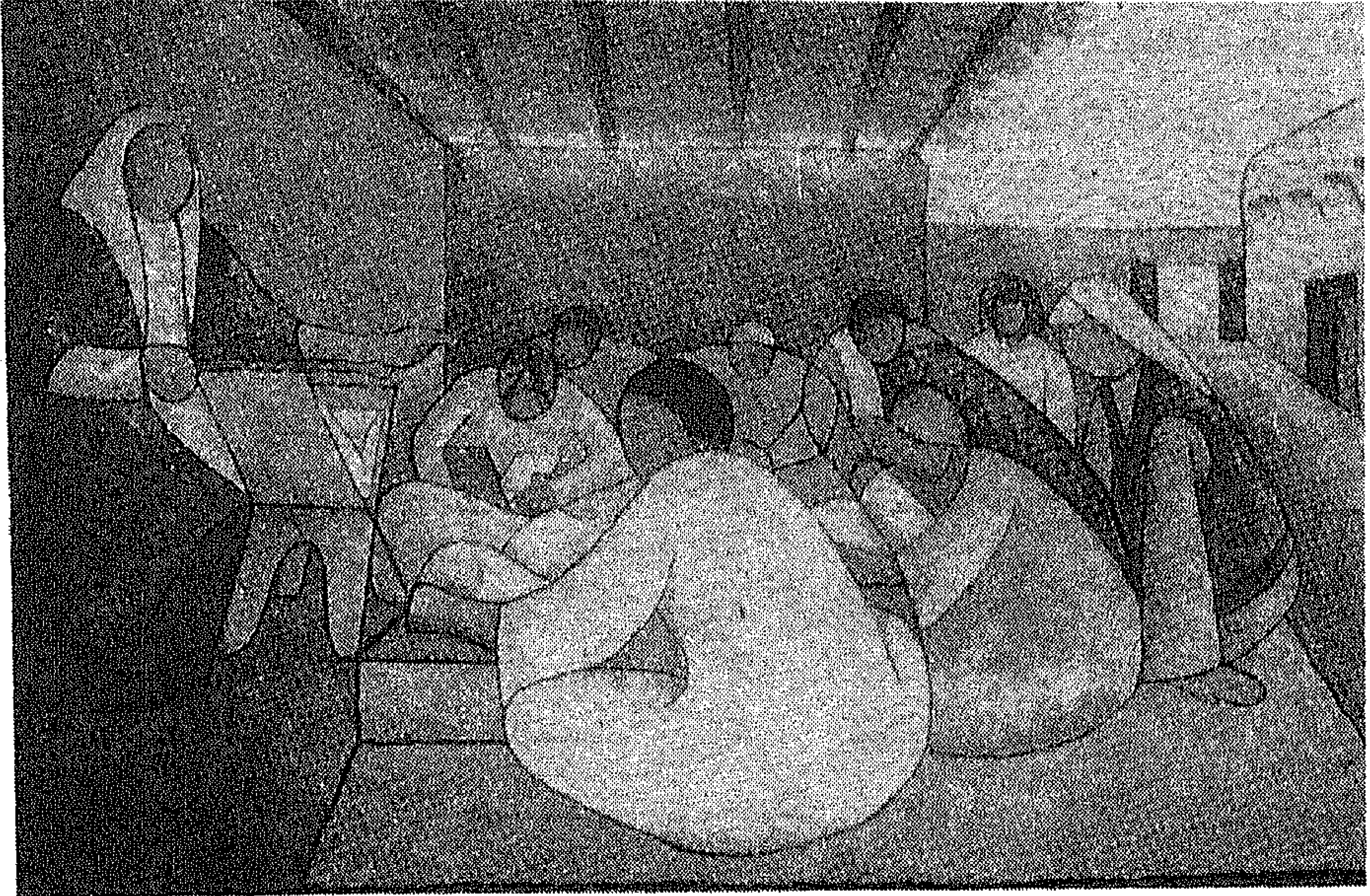
---

(١) ما يغاني : لم يردني .
(٢) إن ماني : وأنا غير .
(٣) كشرة : قاحلة موحشة .
(٤) أنعت : أصف له دواء من الأدوية .

وبعد ان يتقن الوليدات[1] الحروف الأبجدية ، وقد تستغرق هذه العملية شهورا ، ينتقل المعلم الى تعليمهم **جزو عم**[2] ، وبعد ان يتقن الولد هذا الجزء ، ينتقل إلى جزء آخر ، وهكذا حتى يحفظ القرآن بكامل أجزائه الثلاثين ، وعندئذ تعمل له زفة يطلق عليها زفة **الختمة**[3] .

وفي هذا اليوم يلبس خاتم القرآن ثيابا جديدة ، ويضع العباءة أو البشت ويتقلد سيفا في يده ، فإذا كان خاتم القرآن فقيرا إستعار له أهله هذه الثياب من الجيران الأثرياء .

وبعد أن يتجمع الوليدات في بيت المطوع ، يبدأ ركب الزفة في التحرك ويطوف الوليدات وخاتم القرآن أمامهم ، لجمع الهدايا والتبرع لخاتم القرآن بما تجود به أنفسهم ، وعند باب كل بيت يقوم الخاتم بقراءة التحميدة وهو دعاء خاص بمثل هذه المناسبة .



(١) الوليدات : الأولاد أو التلاميذ ، وتطلق هذه التسمية على الذكور والإناث على السواء .

(٢) جزو عم : جزء عم .

(٣) الختمة : ختام حفظ القرآن الكريم .

وهناك العديد من نصوص التحميدات ، ومن هذه النصوص :

الحمد لله الذي هدانا للدين والإسلام وإجتبانا
سبحانه من خالق سبحانا بفضله علمنا القرآنا
نحمده وحقه أن يحمدا ما ظهر الزهر وما طاح الندى
ثم الصلاة كلما الحادي حدا على النبي الهاشمي محمدا
هذا غلام قد قرأ وقد كتب وقد تعلم الرسائل والخطب
ولا تقصر يا إبن أشراف العرب وإطرح على اللوح دراهم وذهب
ولا يكن طرفك هم وغضب فالله يعطي ثم يمنح ويهب
علمني معلم ما قصرا رددني في درسه وكررا
أني تعلمت كتابا أكبرا حتى قرأت مثله كما قرا
جزاك الله يا والدي الجنانا وشيد الله لك البنيانا
الجد والجدة لا تنساهما فعند ربي جزاهما
في جنة الخلد مع الولدانا

وهناك تحميدة أخرى أيضا وهي :

الحمد لله الحميد المبدى سبح له طير السماء والرعد
نحمده وحقه أن يحمدا حمدا كثيرا ليس يحصى عددا
طول الليالي والزمان سرمدا أشهد بأن الله فردا واحدا
وأن رسوله النبي الأمجدا الهاشمي الذي إسمه محمدا
نسأله أن يمنحنا الإيمانا بنوره يرزقنا البرهانا
هو خالق الأشياء بلا مثال وعلم الشهور بالهلال
محمد المبعوث من عدنانا كن غوثنا من زفرة النيرانا
يوم الوقوف كل منا حاسر نقم بعرق الحساب القاطر
ما غاب نجم في السما أو بانا من وهج النار مع الدخانا
فذاك يوم الحشر يوم الصعب ما يلتجي الناس إلا بالنبي
ويرتجي الأمة والثواب صلى عليك الله والأصحاب

وبعد أن يجمع الوليدات كمية لا بأس بها من الهدايا والنقود والمكسرات ، يعودون إلى بيت المعلم ، ويكون والد الخاتم والأقارب حينذاك مع المعلم ، كما تكون النسوة من أهل الخاتم ومعارفهم في إنتظار وصول الزفة .

وفي الوقت الذي تصل فيه الزفة بيت المطوع تقوم النساء بحرق البخور من خشب العود ورش ماء الورد وتوزيع الحلويات على الحاضرين .

ثم يقوم خاتم القرآن بقراءة التحميدة من جديد أمام والده وأهله ، ويرددها الوليدات من بعده ، وبعد الإنتهاء من قراءتها ، يقوم المعلم ويصافح والد الخاتم ويبارك له نجابة ولده ، ويتمنى له التوفيق والهداية والصلاح ، وفي هذه الأثناء يقوم والد الخاتم بدس مبلغ من النقود بطريقة خفية ذكية في يد المطوع ، عوضا عما بذله من جهد ووقت في سبيل تعليم إبنه القرآن ، والأحاديث النبوية الشريفة .

وليست عملية حفظ القرآن لدى المطوع أمرا هينا وإنما تستغرق سنين طويلة ، حتى بالنسبة للموهوبين ، وكثيرا من الأولاد يتركون المطوع قبل إكمال جزء عم .

وحرصا من المعلم أو المعلمة على مواظبة الوليدات ودوامهم ، تقوم المعلمة عادة بغرز مسمار كبير في الأرض ، وتأخذ المعلمة قدم الولد أو البنت وتضعه بجانب هذا المسمار ، ثم تسكب على المسمار قليلا من السمن وتكسر عليه بيضة ، ويبقى هذا المسمار مغروزا في الأرض ، ما بقى دارس القرآن مواظبا لدى المعلمة أو المعلم ، ولعل المقصود من قيام المعلمة بهذه العملية وهو الإيحاء للدارس بوجوب حضوره ودوامه وملازمته للمطوعة ، كملازمة المسمار المغروز في الأرض .

ولم يكن هذا الاجراء يمنع بعض الأولاد الشياطين من الهروب من المطوع ، والذهاب إلى البحر للسباحة وصيد السمك أثناء الدوام ، وحتى يستطيع المطوع معرفة هؤلاء الوليدات الشياطين الهاربين ، يقوم بوضع علامة من الحبر على ساق الأولاد حتى إذا ذهب الأولاد الى البحر وغطسوا فيه ، زالت العلامة بمجرد ملامسة الماء لها ، ولكن مكر المطوع لا يزيد على مكر هؤلاء الشياطين ، فيقومون بدورهم بوضع بعض السمن على علامة الحبر التي وضعها المطوع ليكّون طبقة عازلة لا يؤثر ماء البحر على إزالتها .

ولا تخلو أوقات المعلم من حدوث مشاجرات وخصومات بين الوليدات قد تكون في أحيان كثيرة لأسباب تافهة ، لكن لاشك في أن الفراغ هو السبب الرئيسي في حدوث مثل هذه الخصومات ، وهناك بعض الأبيات المنغمة التي يرددها الوليدات في هذه الحالات ، منها :

تقول البنت الأولى :

لخيصم دلي دلي ولا دلت إقرونه
يوم العيد فرحه وأهله إيغسلونه
تحت الباب جني يصفق له ويغنى
تحت الباب ساحر يصفق له ويناخر

وتردد عليها صاحبتها

لخيصم يا شرق ورق من ضربة (...) احترق

فتعود البنت الأولى وترد عليها مجددا :

ما نصالح ببلاش منة على لخيصم
يا مخيصم مانا مانا[١] ما نصالح إلا بآنه[٢]

ومن العادات المتبعة أيضا لدى المعلمة (المدرسة) تقليد **شراك البيض**[٣] ، ففي كل عام وقبل قدوم عيد النيروز بأيام ، تقوم المعلمة بجمع نقود من جميع الوليدات ، لشراء كمية من البيض ، وقد تطلب المعلمة بدلا من النقود عددا لا بأس به من البيض ، ثم تقوم بسلقه وتلوينه بعدة ألوان ، وفي عيد النيروز تقوم المعلمة بتوزيع بعض منه على الوليدات ، وتحتفظ بالجزء الأكبر منه لتبيعه على الوليدات في الأيام التالية ليوم عيد النيروز .

---

(١) مانا مانا : لست ، أنا ، لست أنا .
(٢) بآنه : عملة نقدية هندية كانت تستخدم في البحرين أيضا .
(٣) شراك البيض : المشاركة في البيض .

الفصل الخامس

المنادون

الفصل الخامس
المنادون

ليس من المغالاة القول بأن ظاهرة الباعة المتجولين لعبت دوراً مهماً في حياتنا الإقتصادية والإجتماعية ، كما أنها كانت من أبرز مظاهر الحياة الشعبية في البحرين حتى بدايات القرن الحالي ، فقد كان هؤلاء الباعة المتجولون يمثلون اسلوباً طريفا من أساليب التبادل التجاري فقد كانوا يقومون بدور الأسواق المتنقلة التى تطوف الأحياء والمنازل حاملة معها بضائعها إلى المشتري في محل سكناه .

ولعل وجود هذه الظاهرة ، واحدة من أبرز الظواهر الفريدة الكبيرة التي أفرزتها مرحلة الغوص التي عاشتها البحرين ، عندما كان الآلاف من الرجال يضطرون بحكم ضرورة تواجدهم في مواقع عملهم إلى الإبتعاد عن بيوتهم وعائلاتهم عدة شهور طلبا للرزق في أعماق البحار بحيث لا يبقى في البيوت والأزقة غير الأطفال والنساء والعاجزين عن العمل والموسرين وهم قلة يعدون على الأصابع .

ولما كانت العادات والتقاليد الإجتماعية في ذلك الوقت ، تمنع النساء من الذهاب الى الأسواق في غياب أزواجهن وأهليهن في الغوص ، لشراء مستلزمات الحياة اليومية ، كان من الطبيعي والحال هذه أن ينتقل العرض الى حيث يوجد الطلب .

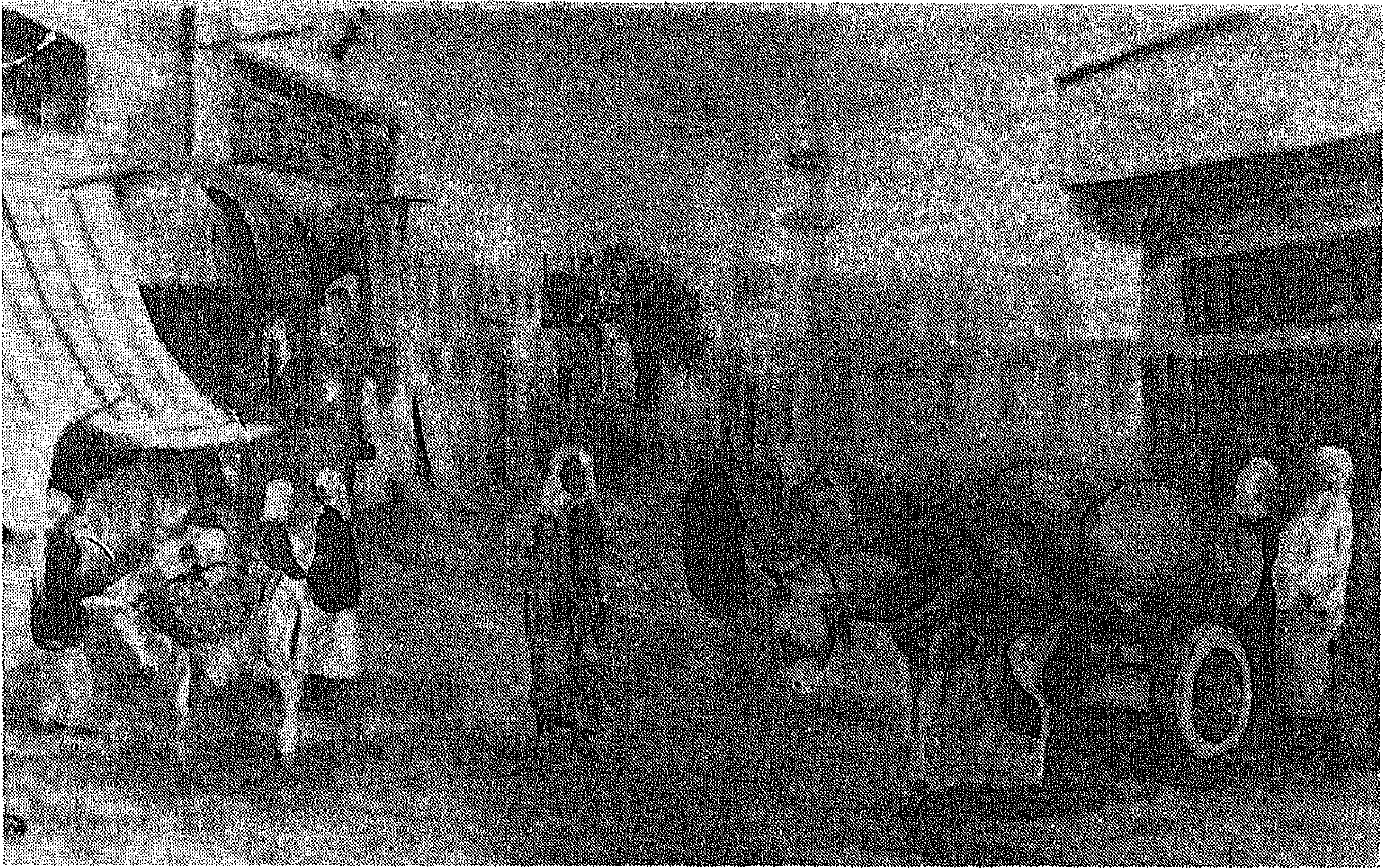
وكما يقوم الاعلان والدعاية في الوقت الحاضر بدور فعال في تسويق البضائع وترغيب المشترين إليها ، كانت نداءات الباعة المتجولين على بضائعهم ، تسعى بدورها إلى تسويق البضائع ودفع المشترين إلى الشراء ، وكما تتنافس الآن شركات الإعلان على اختراع الأساليب الحديثة في الدعاية ، كان هؤلاء الباعة الجوالون يتنافسون أيضاً في إختراع النداءات وطريقة تنغيمها لترغيب المشترين في شراء بضائعهم .

ولقد كان لهذه المنافسة بين هؤلاء الباعة دور كبير في إثراء تراثنا الشعبي بلون آخر من ألوان التراث الشعبي .

ونظراً لأهمية وخطوة الدور الذي يمكن أن يلعبه هؤلاء الباعة المتجولون ، لم يقتصر عملهم على القيام بالترويج لبضائعهم ، بل إستعانت المؤسسات بهم في القيام بالدعاية والإعلان عن مشاريعها ، وليس بعيداً عن الأذهان منظر المنادين وهم يحملون اللافتات الكبيرة ويجوبون بها الأسواق والطرقات للإعلان عن الأفلام التي تقوم

بعرضها دور السينما في ذلك الوقت ، ونظراً لتقدير الحكومة بمدى فعاليتهم في مجال الإعلان والدعاية ، فقد استعانت في عام ١٩٥٠ بعدد من المنادين للإعلان عن مشروع الحكومة في إجراء إحصاء للسكان قامت به في ذلك العام .

ولقد إستطاع هؤلاء المنادون بأسلوبهم الظريف في الإعلان ، في الدعاية لمشروع الإحصاء أدى إلى تغيير الفكرة الخاطئة التي كان يحملها الأهالي عن أهداف هذا المشروع، ولهذا جاءت نتيجة تعداد عام ١٩٥٠ تختلف كثيرا عن نتيجة تعداد السكان لسنة ١٩٤١ من حيث إقبال الأهالي عليه[١].



وحتى مع إنشاء دار الاذاعة في أواخر الستينات ، كان الناس يستعينون بالمنادين في الإعلان عن حالات ضياع الأطفال أو فقدان الأشياء الثمينة

وفي الأربعينات ، عندما نشطت الأندية الوطنية لتقديم التمثيليات والمسرحيات برزت في الحياة الشعبية طائفة من المنادين الظرفاء للإعلان عن هذه المسرحيات ، وقد

(١) يقرر كتيب قصة تعداد السكان لسنة ١٩٥١ الدور الكبير والفعال الذي قام به هؤلاء المنادون .

كان بعضهم يتقمص شخصية المهرج الذي يلطخ وجهه بمساحيق من مختلف الألوان ويلبس ثيابا مرقعة بِرُقعٍ ملونة ، ويضع على رأسه **طرطوراً**[1] طويلا ، ويفتعل الحركات المضحكة ليغري الأهالي بمشاهدة التمثيلية الذي يعرضها هذا النادي أو ذاك .

ومن أشهر النداءات التي كان يرددها المنادون للإعلان عن التمثيليات التي كانت تعرضها بعض الأندية الوطنية ، النداءات التالية :



(١) أنظر البحث الظريف الطريف في كتاب رينهارت دوزي (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب) ترجمة الدكتور أكرم فاضل ، الصفحات ٢١٧ ـ ٢٢٨ .

هيا يا خلق تعالوا ويايه
نادي العروبة يقدم ارِوايه
هيا يا خلق قصوا[1] جتاتيكم[2]
لا يفوت الوقت ما أقدر أحاجيكم

ضاع الديك ، من دوره[3]
صادوه وقصوا عرعره
وهذي سنة الصافرة[4]
كديت ما كديت[5] كله على وره[6]

ويظل هذا المنادي يردد هذه النداءات ، والأطفال من خلفه يصفقون ويرقصون ويرددون كلماته خلال تطوافه في الأسواق حتى آخر يوم من أيام عرض المسرحية المقصودة .

وسوف نذكر هنا أشهر طوائف المنادين وليس جميعها ، ذلك لأنه من الصعب حصرهم حصرا جامعا مانعا ، فقد كان لكل سلعة أو مهنة منادون مخصوصون ونداءات خاصة بها .

بائع الملح :

يكاد يعتبر بائع الملح من أقدم المنادين الذين عرفهم الناس في البحرين، فقد كان من النادر أن يباع الملح في الدكاكين[7]، وإنما كان يتم بوساطة باعة متجولين يطوفون به الشوارع والطرقات، يحملون بضاعتهم من الملح على ظهور حمير، وربما كان السبب في عدم عرضه للبيع في الدكاكين هو رغبة الناس في شرائه نديا طريا،

---

(١) قصوا : إقطعوا .
(٢) جتاتيكم : جمع جتي وهي التذكرة وأصل الكلمة هندي .
(٣) دوره : بحث عنه .
(٤) سنة الصافرة : سنة الحرب العالمية الثانية والمقصود بها صفارة الانذار التي كانت تطلق بين حين وآخر في البحرين في ذلك الوقت .
(٥) كديت : عملت واشتغلت
(٦) وره : وراء ، خلف .
(٧) دكاكين : دكان ، والكلمة فارسية معناها متجر .

ولاشك في ان وضعه في الدكاكين لأيام يفقده هذه الميزة، وقبل أن توجد العربات الآلية من سيارات وغيرها كانت رحلة جلب الملح من مواقعه إلى المنامة تستغرق يوما كاملا، فقد كانوا يجلبونه من الملاحات على ظهور الجمال والحمير.



وقد جرت العادة أن يصل باعة الملح الى المنامة مع بداية النهار ، وبمجرد وصولهم طرقات المنامة يبدأ المنادي ، بائع الملح في المناداة على الملح بصوت منغم رتيب بالكلمات التالية :

آنديه .. آنديه

آنديه .. آنديه

ويظل بائع الملح المتجول يردد هذه الكلمات حتي ينتهي النهار أو حتى ينتهي ما يحمله من ملح ، ولعل المقصود بكلمة آنديه يا نديه أو آه نديه .

بائع السمك :

بالرغم من وجود سوق خاصة ببيع الأسماك منذ وقت طويل ، وقد كان موقعها قبل إنشاء سوق السمك الحالية (١) على ساحل البحر في شمال المنامة ، إلا ان ظاهرة وجود باعة السمك الجوالين لم تختفِ إلا في الثلاثينات أو الأربعينات .

وقد كان من المشاهد المألوفة ، منظر هؤلاء الباعة وهم يطوفون الأحياء والفرقان منذ أول الصباح ، ينادون على بضاعتهم من السمك ، وقد كان هؤلاء يحملون بضاعتهم من السمك في مراحل كبيرة مصنوعة من خوص النخل يطلق عليها إسم ميص ، والعادة أن يضع بائع السمك ميصين على كل حمار بطريقة تجعل هذين الميصين يتدليان على جانبي الحمار ، أو يعلق هذين الميصين بواسطة حبال مربوطة من طرفي قضيب من الخشب في شكل ميزان ، كما يفعل السقاءون ، ويحملها البائع على ظهره ، وفي أحيان كثيرة كان يقوم ببيع السمك شخصان حتى يتناوبا حمله والمناداة عليه . والنداء الشائع لدى باعة السمك هو :

مانجوس أوه مانجوس
أوه مانجوس جوس

أما المنجوس فهو نوع من السمك ، وهو يتميز عن غيره من الأسماك ، بأنه سمك صغير الحجم كثير الشوك ، وليس المقصود بهذا النداء ، المناداة على هذا النوع من السمك بالذات فقد يقوم بائع السمك ببيع أنواع أخرى من السمك أيضاً .

بائع الماء :

قبل أن توجد إدارة إسالة المياه ، وقبل أن تعم حنفيات المياه جميع البيوت ، في تلك الفترة الشاقة ، كان الناس يقومون بحفر الآبار في بيوتهم ، ولقد كان من النادر أن

---

(١) الحالية : المقصود بها السوق الموجودة قبل إنشاء السوق المركزي

يوجد بيت لا يكون في **حوشه**[1] بئر ، والتسمية المحلية للبئر هي **جليب**[2] ، ويستخرج الماء بواسطة **زيلة**[3] وهو وعاء مصنوع أما من الصفيح أو من جلد الحيوان ، ويدلي غارف الماء هذه الزيلة في البئر بواسطة حبل طويل .

ولما كانت نسبة الملح مرتفعة في مياه الآبار المنزلية ، فقد كان الناس لا يستعملونها إلا في الإستحمام وغسل الأواني والثياب ، لأنها لا تصلح للشرب ، ولقد كانت الحاجة ملحة إلى المياه العذبة لإستعمالها في الشرب وطهي الطعام ، ونتيجة لهذا الوضع الشاق كان من الطبيعي أن تنشأ طائفة من الناس تحترف بيع وإيصال المياه العذبة للإستعمال المنزلي ، وكان هؤلاء يجلبون المياه في **جيدان**[4] من العيون المنتشرة بكثرة في جزيرة البحرين يضعونها على ظهور الحمير والجمال .

ومن أشهر العيون الطبيعية التي كانت تجلب منها المياه الحلوة ، العين التي كانت موجودة في منطقة القفول القريبة من قرية الزنج أو عين الحنينية الموجودة في مدينة الرفاع . كما كانت **الخشب**[5] تجلب المياه الحلوة من العيون الطبيعية المنتشرة بكثرة في وسط البحر المحيط بجزيرة البحرين ، ويطلق على هذه المياه إسم **شريبة** .

وكانت أسعار المياه تتحدد على أساس سعة القربة أو **الجود** الواحد ، وقد كانت هناك جيدان مختلفة الأحجام ، وكان من المشاهد المألوفة منظر الإبل والجمال وهي تحمل عشرات من القرب المملوءة بالماء ، وهي في طريقها إلى المنامة .

وبعد أن قامت الحكومة بحفر بعض العيون الإرتوازية في بعض مناطق معينة من المنامة ظهرت طائفة أخرى من السقائين ، مهمتها إيصال المياه من هذه العيون إلى المنازل لقاء مبلغ معين من النقود ، وقد كان يطلق على هؤلاء الباعة إسم **كندر** ، والقندر كلمة معربة من الكلمة الفارسية كندسك ، وتعني الحيوان المائي .

وكان النداء الشائع لدى باعة الماء أو الكنادر هو :

يم .. يم أو بيب ... بيب[1]

---

(١) حوش : فناء الدار .
(٢) جليب : وهي في الأصل قليب وهي البئر أو البئر القديمة ، وقد قلبت القاف .
(٣) الزيلة : وعاء من التنك أو من أي مصرف آخر ، يستخدم لنقل الماء ، والشكل الأغلب هو صفيحة (الجاز) بعد أن يزال وجهها وتثبت في أعلاها خشبة معترضة .
(٤) جيدان : جمع جود ، والجود هو كيس من الجلد على هيئة خروف أو ماعز .
(٥) الخشب : السفن البحرية .

بائع الخضروات والفاكهة :

والتسمية المحلية لبائع الخضروات والفاكهة المتجول ، هي **البقال** أو **الرتاب** . ويقوم البقال ببيع معظم أصناف الفواكه كالرمان والتين واللوز **والبمبر**(٢) والرطب(٣) والخضروات **كالطماطة**(٤) **والآلو**(٥) **والطروح**(٦) **والرويد**(٧) **والبربير**(٨) وأوراق المشموم **وورد الرازقي**(٩) من أمثال هذه المنتوجات الزراعية المحلية .

ويضع البقال بضاعته من هذه الفواكه والخضروات في **مراحل** تتدلى على جانبي الحمار ، وفي موسم نضج البلح يقوم البقال أو الرتاب بالإتفاق مع بعض العائلات بتزويدهم بالرطب يوميا بموجب جراية شهرية .

وللرتاب طريقة خاصة في تسجيل عدد الدفعات التي يقوم بتزويدها للبيوت ، وتكون هذه الطريقة بأن يخصص لكل عائلة عصا من جريد النخل ويعمل فصما واحدا بواسطة سكين على عصا الجريد ، وذلك كلما قدم دفعة من الرطب ، وفي نهاية كل شهر يقوم بعد هذه الفصمات التي أجراها على قطعة الجريدة .

وقد جرت العادة أن يضع الرتاب كمية الرطب المتفق عليها مع المشترين ، في سلة مصنوعة من أعواد عذق النخيل ، بعد أن تلون هذه الأعواد بألوان جميلة ، وتشكل هذه العيدان بطريقة زخرفية رائعة ، ثم يضع الرتاب فوق الرطب الموضوع في السلة بعض **اللوز السكندري** الأبيض أو بعضا من فاكهة التين ، ويغطي هذه المجموعة بأوراق شجرة اللوز ، وذلك لإعطاء السلة شكلا فنيا جميلا محببا الى العين والنفس ، ومن المناظر التي تلفت النظر في أزقة المنامة منظر البقال ، والأطفال يحيطون به من كل جانب على شكل دائرة وهو يبيعهم **قلائد الخلال**(١٠) التي يعلقونها بنشوة في أعناقهم ، ثم يقومون بعد ذلك بأكلها .

---

(١) البيب : تنكة من الصفيح ، سعتها أربع غالونات ، أي ١/٦ ١٨ لتراً .

(٢) البمبر : ثمر المخيط ، وقد كانت البحرين تشتهر بزراعة هذا النوع من الفاكهة ، ومن الأمثال الشعبية في هذا الثمر المثل التالي : بمبر في البحر زنبر خنيزي يا خلالوه .

(٣) الرطب: البلح عندما ينضج .

(٤) الطماطة : الطماطم أو البندورة .

(٥) الآلو : البطاطس ، ويسمى أحياناً على ولم .

(٦) الطروح : الخيار أو القثا .

(٧) الرويد : الفجل .

(٨) البربير : الرجلة ، ومن الأقوال الشائعة ، وش عرف البعير بأكل البربير .

(٩) الرازقي : الياسمين .

(١٠) الخلال : البلح وهو لايزال أخضر ، لم ينضج بعد .

ويقوم البقال عادة بالنداء على بضاعته على النحو التالي :

بقـل وأرويـد وحنـدبـان مشمـوم ولـوز ورمـان
إخنيـزي يـا خـلالـوه يـا مفـرح الجـهـالـوه[1]
بمبـر في البحـر زمبـر[2] إخنيـزي يـا خـلالـوه

الحجامة :

الحجامة امرأة من الوافدات على البحرين ، كانت في بداية أمرها تمارس بعض أنواع الطب الشعبي كالحجامة وبيع الأدوية الشعبية من النباتات والأعشاب ، ولكن مع بداية إفتتاح المستشفيات وإنتشار الوعي الصحي لدى الأهالي ، إضطرت أن تقلص نشاطها وتقصره على بيع المستلزمات النسائية ، كأبر الخياطة والخيوط على ألوانها والمقاصة وصابون إزالة الشعر وغيره .

وتجمع الحجامة بضاعتها في كيس كبير من القماش تحمله على ظهرها ، وتظل تطوف به السكك **والزرانيق**[3] والأطفال من خلفها يصفقون ويضحكون من منظرها الغريب العجيب ، بينما هي لا تعيرهم أية أهمية وتظل تنادي على بضاعتها :

حجام حجام
لبان عندي
مقص عندي
شب ، حرمل ، نبات عندي
صابون يشيل الشعر عندي

والمقصود بعملية الحجامة فصد الدم ، وكان الناس فيما مضى يعتقدون بأن الشخص الذي يشعر دائما بدوار في الرأس ، أو يصيبه إغماء بأن دمه فاسد ، ولهذا فهو بحاجة إلى عملية حجامة لسحب الدم الفاسد ، وتقوم الحجامة بعمل جرح بسكين أو موس سنين في مؤخرة الرأس وتضع على هذا الجرح إناء من الزجاج يشبه الكأس

---

(١) الجهالوه : العيال أو الأطفال .
(٢) زمبر : إنحنى بطريقة تشبه الركوع .
(٣) الزرانيق : جمع زرنوق ، وهو الحارة أو الزقاق .

أو **الإستكانة**[١] الكبيرة وله فتحة صغيرة ، الغرض منها سحب الهواء في جوف الكأس ، ثم تسد هذه الفتحة بعد سحب الهواء منه ، ويظل الكأس بعد إفراغه من الهواء لاصقا في مؤخرة الرأس بطريقة محكمة ، ويقوم بسحب الدم من الرأس قرابة الساعة .

الدوّار :

تطلق هذه التسمية على الشخص الذي يمتهن شراء الأدوات القديمة ، ويطلق عليه **أبوزري**[٢] **عتيق** ، ويقوم بشراء الأدوات القديمة لقاء مبلغ من المال أو بالمقايضة بأشياء أخرى ، ويظل هذا الدوار يطوف من الصباح حتى المساء في كل شارع أو زقاق من المدن أو القرى على السواء لشراء الأواني النحاسية القديمة ، وخيوط القصب الذهبية الزري من البشوت المستعملة ، وغيرها من الأدوات والأثاث المنزلي القديم ، وعند رجوع أبوزري عتيق إلى منزله يقوم بإحراق القطع التي بها الزري ليستخلص منها الذهب .

وينادي هذا الدوار خلال تطوافه في الشوارع النداء التالي :
زري عتيق .. صفر (نحاس) عتيق .. قدر عتيق ...
غوري (أبريق الشاي) عتيق .. زري عتيق ..

وقد أصبح بعض هؤلاء الدوارين أثرياء وموسرين نتيجة حصولهم على تحف ثمينة إشتروها بأثمان زهيدة من أصحابها ، الذين يريدون التخلص منها بأي شكل من الأشكال ، ثم يقومون ببيعها بأضعاف ثمنها .

والأمر الذي يدعو الى الأسف هو قيام هولاء الباعة الجوالة بجمع كل ما هو أثري وعريق في هذا البلد وإرساله الى ممولين في الخارج على أساس انه خردة أو (سكراب) .

---

(١) الاستكانة : الكلمة فارسية وهي اناء صغير لشرب الشاي .
(٢) زري : خيوط قطنية مغلفة برقاق الذهب ومصدره الهند ، وتختلف اسعاره تبعا لنسبة الذهب فيه ، والكلمة أصلها فارسي وهي زر وأضيف إليها ياي النسبة .

صفار القدور :

والعادة أن يبدأ تجوال هذا الحرفي المتجول قبل دخول شهر رمضان ، للقيام بتنظيف وتلميع القدور النحاسية التي يطبخ فيها **الهريس** في هذا الشهر ، ويحمل هذا الطواف عدته وأدواته على ظهره ويسير في الشوارع وهو ينادي :

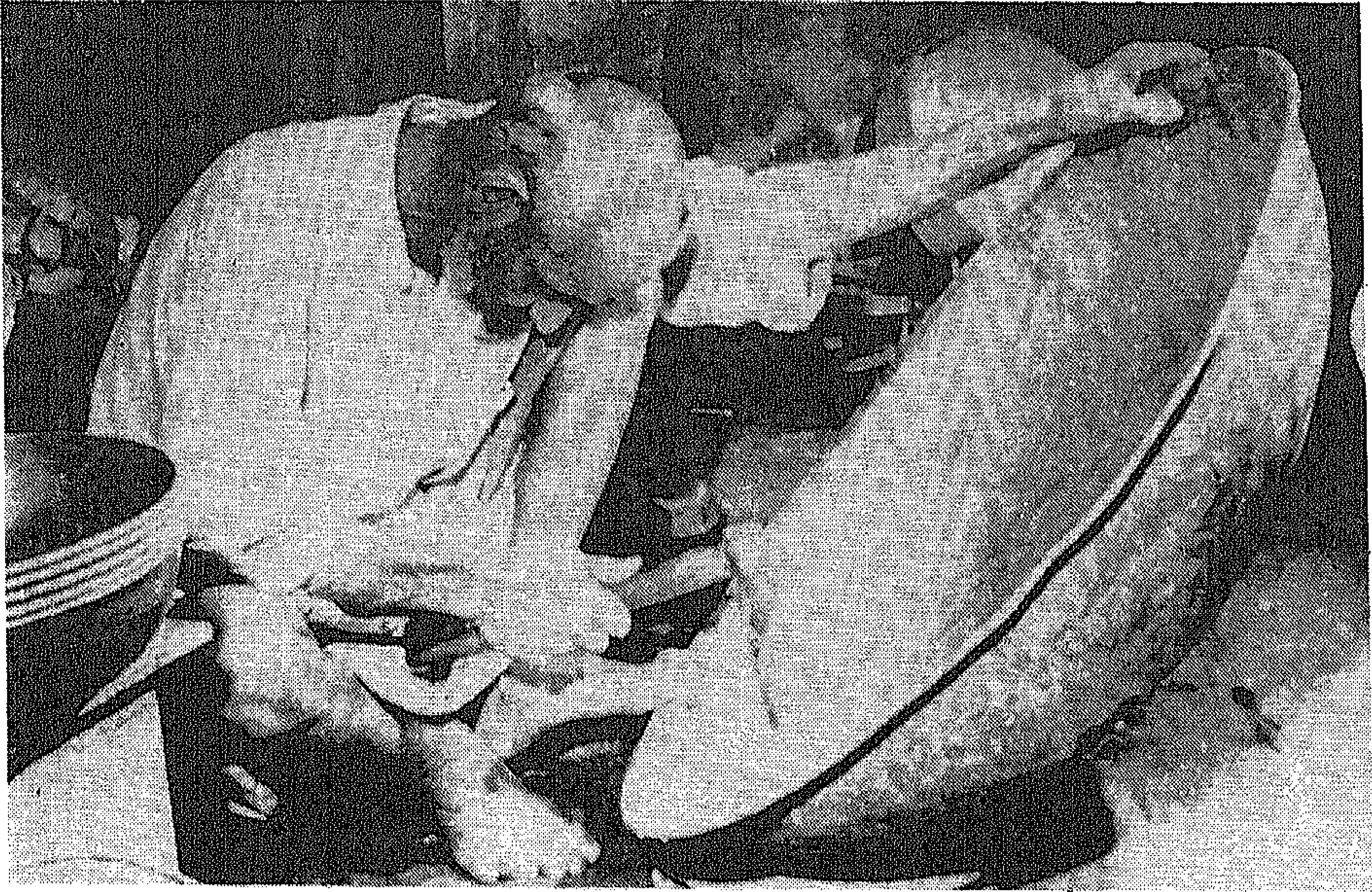
صفار قدور ... صفار قدور

ويقول العارفون ببواطن الأمور إن عمل هؤلاء الصفارين من أشد الأعمال وأرهقها ، لذا نجد بعض الوصايا الشعبية التي تحذر البنات من الإقتران بهؤلاء الصفارين ، ومن هذه الوصايا الشعبية الوصية التالية :

وصيتـي يـا إبنيتـي لا تـأخـذيـن(١) الصفـار
لنـهـار يقلقـل(٢) فقحتـه(٣) وفي الليـل يقـابـل الجـدار ؟؟

كما قلنا في السطور السابقة ، أنه من الصعب حصر جميع طوائف المنادين وكل ما ذكرناه من هذه الطوائف ، ما هو إلا مجرد أمثلة قصدنا منها التوضيح ، وهناك طوائف أخرى كثيرة ، ونخص منها بالذكر :

بائع الحليب ـ العزامة ـ الدلالة ـ النداف ـ بائع الباقلة ـ بائع الكباب .. إلخ .



(١) لا تأخذين : لا تتزوجين .
(٢) يقلقل : يهز .
(٣) فحقته : عجزه أو مؤخرته

الفصل السادس

ألعاب الأطفال

الفصل السادس
ألعاب الأطفال

الحديث عن ألعاب الأطفال الشعبية عندنا في البحرين ، حديث شيق وجذاب وطويل لاينتهي ، وتحتاج دراسة هذا النمط من الأنماط الشعبية ـ ولاشك ـ إذا ما أريد لها أن تعطي حقها من العناية سواء في الجمع والشرح والتبويب[1] إلى دراسة خاصة بها ، وحبذا لو قام أحد المهتمين بهذا اللون من تراثنا الشعبي بجمعها وشرحها ومقارنتها بالألعاب الشعبية في منطقة الخليج العربي أو في الأقطار العربية وإصدارها في كتاب خاص .



انظر على وجه الخصوص :

(١) الألعاب الشعبية الكويتية ، سيف مرزوق الشملان .

(٢) مع الأطفال في الماضي ، أيوب حسين الأيوب

(٣) الألعاب الشعبية في البصرة ، عبداللطيف الدليشي

(٤) المهارات والألعاب الشعبية ، أحمد الصباحي عوض الله خليل .

(٥) لعب العرب ، أحمد تيمور .

واللعب في اللغة ضد الجد ، يقال رجل لاعب ، واللعاب وهو الذي يحترف اللعب ، وملعب وجمعه ملاعب وهي محال اللعب ، واللعب حركات لا إرادية يقوم بها الجسم عند حاجته للرياضة والترويح ، وكما يلعب الإنسان يلعب الحيوان وكذلك تلعب الطيور والأسماك وكذلك جميع الكائنات الحية . وللعب في البحرين تاريخ بعيد ، وربما تكون من أقدم الألعاب هي تلك اللعبة التي أشار إليها شاعر البحرين القديم طرفة بن العبد في قوله :

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفائل باليد

ونحن في هذا الفصل لن نستطيع أن نتعرض إلى جميع ألعاب الأطفال الشعبية ، بل سوف نقتصر فقط على ذكر الألعاب الشعبية التي تصاحبها عند تأديتها الأهازيج والأغاني ، آملين أن نفعل أو يفعل غيرنا ذلك في المستقبل .



وعلى هذا الأساس من الممكن أن تقسم ألعاب الأطفال إلى عدة أقسام :

أولا : من حيث جنس من يقوم بتأديتها :

وهذه بدورها تنقسم إلى نوعين :

أ) ألعاب خاصة بالبنات ، مثل لعبة السكون ولعبة الكرجية ولعبة اللقفة وشوط شوط البطة وغيرها .

ب) ألعاب خاصة بالأولاد ، مثل لعبة الدوامة ولعبة الحمبوص ، ولعبة الكلينة ولعبة التيلة والقيس وغيرها .

ثانيا : من حيث عدد من يقوم بتأديتها :

وهذه تنقسم أيضاً إلى نوعين :

أ) ألعاب فردية ، مثل اللقفة والصبة والدوامة والحمبوص .

ب) ألعاب جماعية ، مثل الصميدة والكلينة وحبش لبش .



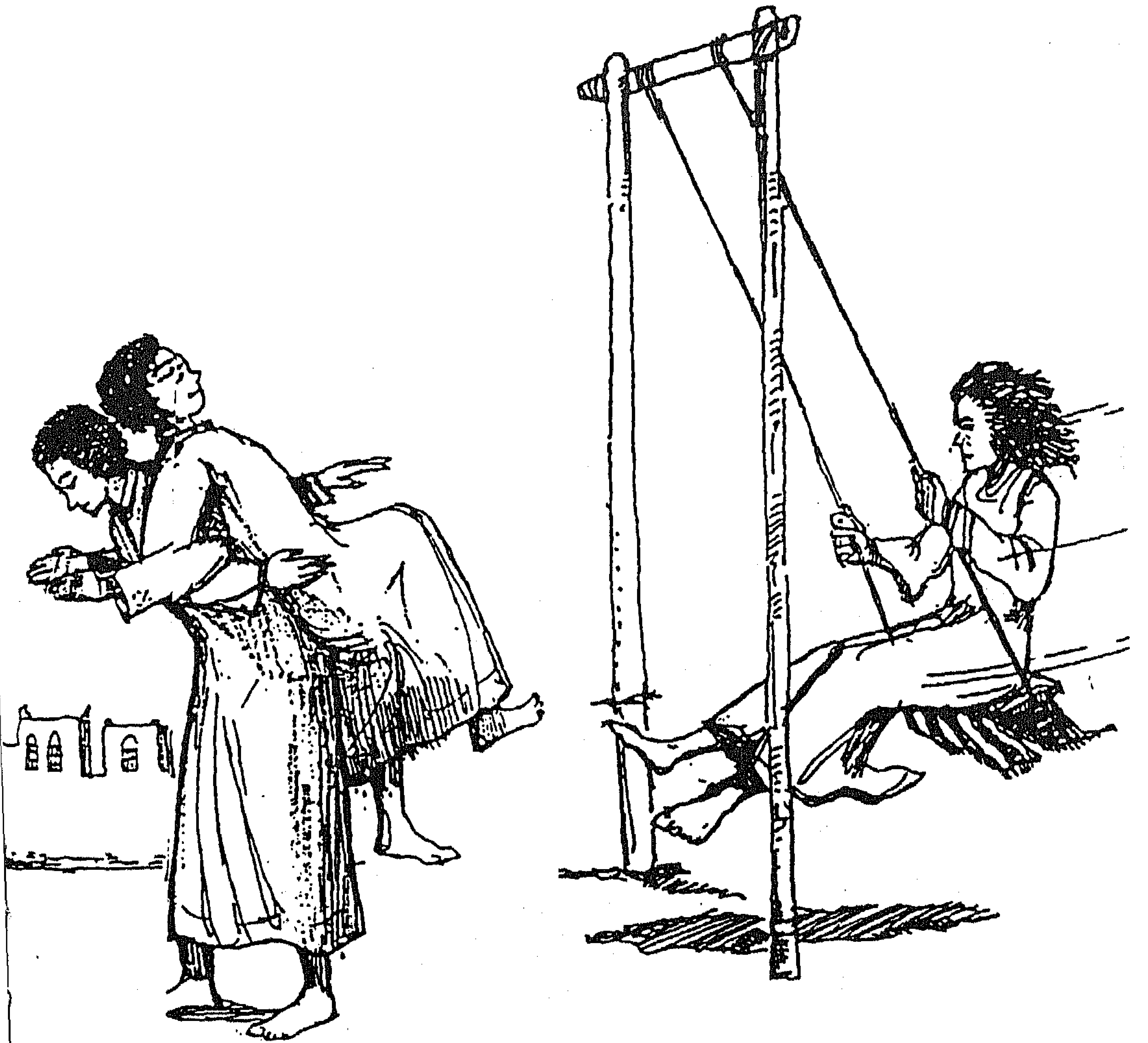
ثالثا : من حيث الموسم الذي تُؤدى فيه اللعبة :

وتنقسم مثل هذه الألعاب إلى نوعين :

أ) ألعاب شتوية ، مثل لعبة الدوامة والحمبوص والقيس .

ب) ألعاب صيفية ، مثل اللقفة والصبة والساحرة (الطيارة) والمرجحانة .

ونحن بالرغم من تقديرنا لهذا التقسيم ، إلا أننا سوف نقوم بشرح اللعبة دون التقيد به ، وذلك بسبب اعتمادنا على الألعاب المصحوبة بالأهازيج والأغاني دون غيرها من الألعاب .



حزز وزز وازينا

يمكن تصنيف هذه اللعبة من حيث النوع بأنها من ألعاب الأطفال الجماعية ، وهي ليست مقصورة على الأولاد دون البنات ، وإنما يمكن أن تلعبها البنات وكذلك الأولاد على السواء ، أو قد تكون مختلطة من البنات والأولاد في كثير من الأحيان ، ويُطلق عليها عادة لعبة الصميدة .

وتؤدى هذه اللعبة بأن يقوم الطفل الذي وقع عليه الدور ، بعد أن تنتهي قرعة حزز وزز وازينه بالبحث عن الأطفال ، الذين يختبئون في أمكنة من الصعب على الواحد العثور على أحدهم فيها .

وأول طفل يضبطه من يكون عليه الدور في البحث عن الأطفال ، يحل محل الطفل الذي كان عليه الدور ، ثم يبدأ بالبحث بدوره عن الأطفال المختبئين من جديد وهكذا .. ولكن كيف تكون القرعة أو الدور ؟

تقوم مجموعة من الأطفال التي ستؤدي هذه اللعبة بالوقوف صفاً واحداً ، كل واحد منهم خلف الآخر ، ثم يخرج رئيسهم من الصف ، ويبدأ بترديد كلمات الأهزوجة على مسامع جميع الأطفال مشيراً بأصبعه إلى رأس كل طفل عند ذكر كل كلمة من الأهزوجة ، والطفل الذي تنتهي عند رأسه آخر كلمة من كلماتها ، يكون عليه الدور ، أي البحث عن الأطفال المختبئين .

أما كلمات اللعبة فهي كالتالي :

حزز وزز وازينه
طوق بلا حزينه
أحمد لك
بنى لك
يوم العيد
سلاية[1] المرتزة في صدرك
يا أحمد ، يا محمد
زر[2] عني

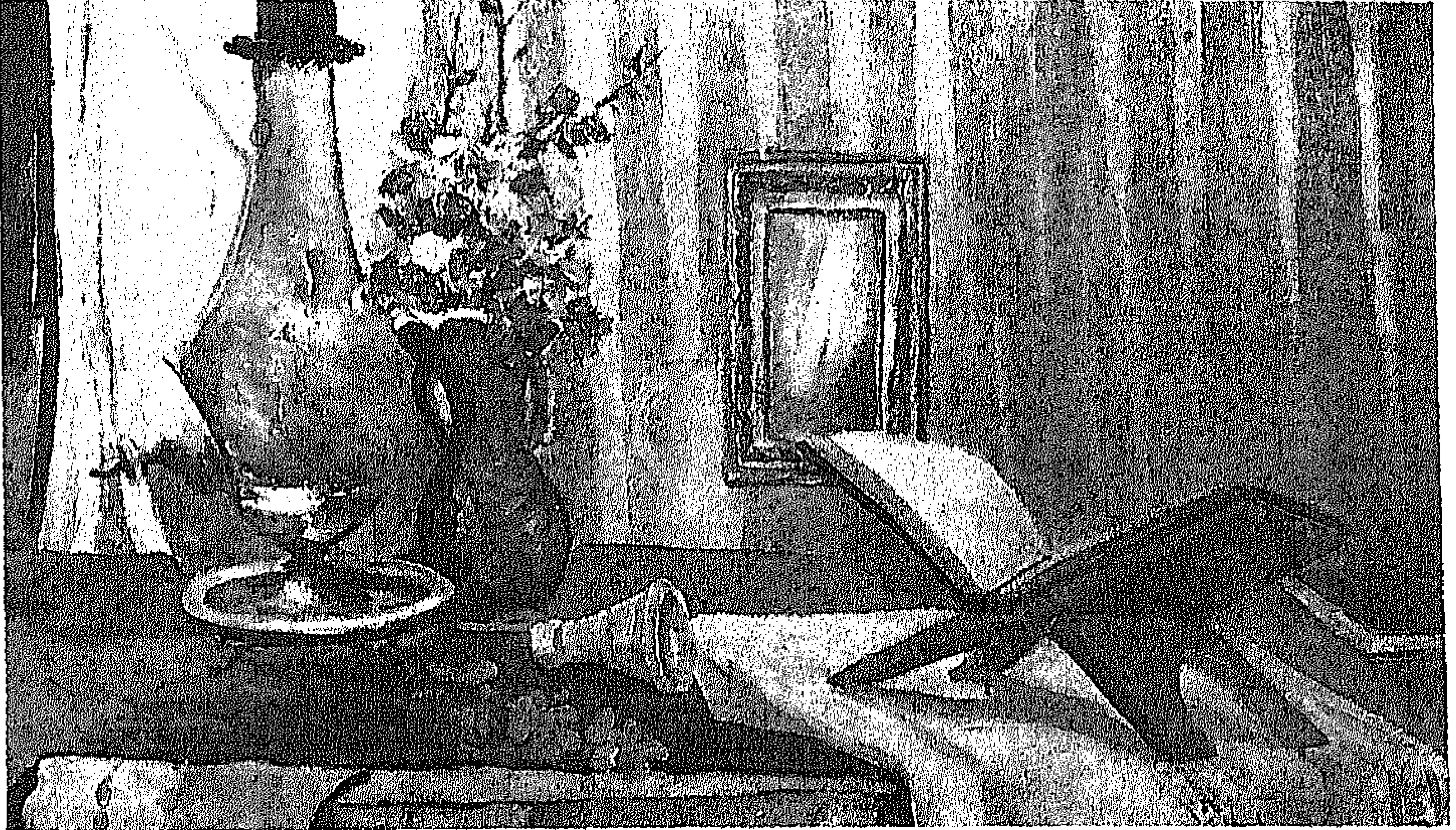
---

(١) سلاية : جمعها سلايات وهي الشوكة .
(٢) زر : إبتعد .

دور البطة

وهذه اللعبة من الألعاب المحببة لدى الأطفال ، وخاصة البنات ، وذلك لما تحتويه هذه اللعبة من ايقاعات جميلة محببة عند التغنى بكلماتها ، ويقوم الأطفال عادة بتأدية اللعبة والرقص على ايقاعها فى شكل دائرة متحركة ، وتؤدى هذه اللعبة بأن تقف البنات فى شكل دائرة متجهين بوجوهن صوب مركزها ، بطريقة تتشابك فيها ايديهم مع بعضها البعض ، ثم يقومون بالدوران حول مركز الدائرة ، وتكون رئيسة اللعبة فى وسطهم وهم يرددون معها الأهزوجة التالية :

دور دور [1] البطة
أحمله وأحطه
خميسة راحت البر
تجيب عيش لأخضر
وإتحطه فى الصواني
صواني يا اخواني
بيت العجيز [2] إحترق
صبوا عليه قدرين مرق



١) وأحيانا يقال شوط شوط البطة .
٢) العجيز : تصغير العجوز .

بيت العجيز (١) إحترق
صبوا عليه قدرين مرق
أمي تناديني
بغضارتين (٢) صيني
صيني على صيني
يا ربي تهديني
وأحج بيت الله
وأشوف رسول الله
قاعد على المنبر
في إيده طوير (٣) أخضر
ويلقمه سكر
سكر على سكر
يا فاطمة بنت النبي
أخذي كتابك وأنزلي
علىَ قبر محمد وعلي



---

(١) العجيز : تصغير العجوز .
(٢) غضارتين : مفردها غضارة ، وهي من أنواع الأواني .
(٣) طوير : تصغير كلمة طير .

حبش لبش

هذه اللعبة لا تستهوي الا الفتيات ، وتؤدى هذه اللعبة بأن تجلس البنات القرفصاء عند ادائها ويكونون على شكل دائرة ايضا ، وحتى تكون هذه اللعبة مسلية يجب ان يكون عدد اللاعبات كثيرا ، لأنها تعتمد على ذكر اسماء اللاعبات ، وبعد ان يكتمل عقد البنات تطوف أكبر الفتيات حول هذه الدائرة المؤلفة من البنات ، وهى تغنى وتقول :

حبش لبش

وترد عليها بقية الفتيات

دور فنجانا

وترد عليهم رئيستهم

نعيمة (مثلا) ويانا

والبنت التى تذكر الرئيسة اسمها تخرج من الدائرة ، وهكذا حتى تأتى الرئيسة على ذكر جميع اسماء البنات الموجودات فى الدائرة ، وتنتهى اللعبة مع الانتهاء من ذكر اسماء كل البنات .



عين جرس

تكاد تكون هذه اللعبة شبيهة بلعبة حبش لبش ، ولا تختلف عنها الا فى نظم الكلمات فقط ، ففى هذه اللعبة تصطف البنات ايضا فى شكل دائرة ، وتقوم اكبر الفتيات بالدوران حول البنات وهى تغنى ، والبنات ترد عليها :

تقول الرئيسة :

عين جرس .. عين جرس

وترد بقية البنت :

ابوش ركاب الفرس

وتقول الرئيسة : ويش صوته .

وترد البنات : راده

وتقول الرئيسة : من عندكم .

وترد البنات : نوال (مثلا) .

والبنت التى يذكر اسمها تخرج من الدائرة ، وهكذا بالنسبة لبقية اسماء البنات الموجودات حتى تنتهى اللعبة بانتهاء المناداة على اسم جميع اللاعبات .



الخشيشوه

لعبة الخشيشوه من العاب البنات دون الاولاد ، لكن يحدث فى النادر ان يشترك فيها الصبيان ، وهى من الالعاب المسلية . وتشترك فى تأديتها مجموعة كبيرة من الفتيات . وتلعب على النحو التالى :

تجلس اكبر الفتيات على الارض على طريقة القرفصاء ، ثم تأتى البنت التى وقعت عليها القرعة ، وتضع رأسها فى حضن البنت الجالسة ، ثم تذهب بعد ذلك جميع الفتيات للاختباء فى مكان امين وبعيداً عن انظار البنت الواضعة رأسها فى خصن الجالسة ، ثم تخرج احدى البنات من مخبئها وتضع طرف اصبعها على ظهر البنت الواضعة رأسها فى حضن الجالسة على الارض وتقول :

ويش فوقك

فترد عليها البنت الساجدة : سما

البنت : ويش تحتك

الساجدة : ارض

البنت : ويش فى السما

الساجدة : صندوق

البنت : ويش فى الصندوق

الساجدة : لوقة

البنت : ويش فى اللوقة (١)

الساجدة : ميعة (٢)

البنت : حلت عليك التصميعه .

ثم تقوم الرئيسة بسؤال الساجدة عن اسم البنت التى ادارت الحوار معها ، فان حالفها الحظ وعرفتها من صوتها ، حلت الاخرى محلها ، وان لم يسعفها الحظ ولم تتعرف على اسمها ، كان عليها القيام بالبحث عن الفتيات المختبئات ، فان استطاعت الامساك بإحداهن حلت هذه محلها .

وهكذا لتبدأ اللعبة من جديد .

---

١) اللوقة : الزبدة .

٢) ميعة : سيلان الشئ أو هى صمغ عطر يؤخذ .

الدجاجة تلحق الديك

تكاد تنفرد البحرين عن بقية بلدان الخليج بهذه اللعبة ، التى تتخذ العيون الطبيعية ساحة لها ولعل السبب فى هذا ، هو كثرة وجود العيون الطبيعية فى البحرين . وتؤدى هذه اللعبة عندما تنزل الفتيات فى العين الطبيعية او **الجوجب** او حتى **ساب** الماء بقصد الاستحمام ، ثم يتجمعن فى شكل دائرة ليتنافسن فى ضرب وجه الماء بسبابة اليد ، والبنت التي يكون صوت سبابتها خافتا وهى تضرب صفحة الماء ، يطلق عليها دجاجة ، اما البنت التى يكون صوت ضرب سبابتها قويا فيطلق عليها ديك .

وعندما تنتهى جميع الفتيات من ضرب الماء بسباباتهن ، تقوم الدجاجة بالبحث عن الديوك التى تختبىء تحت سطح الماء ،

وتحت سطح الماء يدور صراع بين الديوك والدجاجات ، الدجاج تحاول الامساك بالديوك ، والديوك تحاول الهرب والافلات من قبضة الدجاجات .

وخلال تأدية هذه اللعبة تردد الفتيات الأهزوجة التالية :

الجـوجـلان [١] الـلي فى المـاء فى المـاء فى المـاء فى المـاء
طـول الليـل يسري يسري يسري يسري يسري
عـلى حصـير بصري بصري بصري بصري بصري
والـلي فى المـاء يـعمـى يـعمـى يـعمـى يـعمـى يـعمـى

ونظرا لتفرد البحرين بكثرة العيون الطبيعية ، سواء الموجودة فى البر او فى البحر ، فقد تفردت بالتالى بالأغنيات التى تؤديها النسوة فى وسط العيون الطبيعية او فى **السيبان** المتفرعة منها .

ومن هذه الاغانى الاغنية التالية ، التى تغنيها الأم وهى ترقص ابنتها فوق سطح العين او الجدول :

إتسبحي [٢] فى البمبوع [٣] يا غيلمه ، [٤]
الله رزقني ملقاس رب السمه [٥]
عيشي وأربيش [٦] بخير ومنعمه
عسى الحسودة زرين [٧] فيها العمه[٨]

---

١) الجوجلان : نوع من القواقع الصغيرة تلتصق بجدران جداول المياه .
٢) إتسبحي : إستحمي .
٣) البمبوع : الينبوع .
٤) غيلمه : غيلم أو سلحفاه .
٥) السمه : السماء .
٦) أربيش : أربيك .
٧) زرين : الزر الواحد مرض يصيب العين بحيث يشكل نتوء فى وسط العين أشبه بزر الثوب .
٨) العمه : العمى .

العبد المسلسل

تؤدى هذه اللعبة بأن يقوم أكبر الأولاد المجتمعين سنا باختيار احد الأولاد من ضمن اللاعبين ، او من يكون عليه الدور . ثم يقوم بالامساك بساق هذا الولد بكل قوته ، بينما يحاول الولد الإفلات من قبضته ، والرئيس ممسكا به بكل قوته بحيث لا يترك له الفرصة للهرب .

ويردد الرئيس كلمات اللعبة والأولاد يرددون بعده .

يقول الرئيس : خروف مسلسل ، ويرد الأولاد : هدوه [١]

الرئيس : تراهو جاكم ، ويرد الأولاد : هدوه

الرئيس : أكل عشاكم ، ويرد الأولاد هدوه

الرئيس : فى رجله إكراحه [٢] ، ويرد الأولاد هدوه

الرئيس : كبر البراحه [٣] ، ويرد الأولاد هدوه

الرئيس : تراهو جاكم ، ويرد الأولاد هدوه

وبعد ان تنتهى هذه الأهزوجة ، يقوم رئيس الأولاد بالإفراج عن الولد المسوكة رجله ليتولى صيد أي واحد من الأولاد ، فإذا نجح فى الإمساك بأحد الأولاد حل محله وبدأت اللعبة من جديد ، وهكذا ..

---

(١) هدوه : إتركوه أو أطلقوا سراحه ، وحزة الهده هى ساعة أو وقت الإنصراف من المعلم أو المدرسة .

(٢) إكراحه : قرحة .

(٣) البراحة : الساحة أو الميدان ، وفى اللغة المتسع من الأرض لا شجر فيه ولا بناء .

أغانى الأطفال

ليس صحيحا أبداً القول بأن للأطفال عالمهم الخاص ، بلى هم فى الواقع إنعكاس لمختلف الأعمار والأطوار الثقافية التى خطتها المجتمعات على اختلاف ظروفها وبيئاتها . ومرحلة الطفولة لاشك انها من اهم الحلقات التى يجتازها الانسان ، ابتداء من الصيحة الاولى حتى آخر نبضة يرعش بها القلب ، كما لا يجافي الحقيقة القول بأن الأطفال عبارة عن صورة بسيطة غير معقدة لمفاهيم وعادات الكبار .

فالمجتمع بجميع ملابساته الاقتصادية والثقافية والاجتماعية هو الذى يشكل نفسية الطفل ، سواء جاء هذا التشكيل عن طريق البيت او المدرسة او الشارع ، والمجتمع هو الذى يحدد للطفل طريقة سلوكه وتصرفاته وتفكيره [١] ، وتراثنا الشعبى الموروث هو الموجه الأساسى الذى يرافق الطفل وهو يخطو نحو مختلف مراحل حياته .

كما ان الطفل لا يختلف فى كثير او قليل عن الكبار من حيث الاستجابة للأشياء المادية وغير المادية التى تدور حوله ، وهو وان كان لا يستطيع التفكير والتعبير بذات القوة والدرجة الموجودة لدى الكبار ، فهو لا يقل عنهم كثيرا فى القدرة على الشعور والادراك .

«ومن المثير ان الطفل وهو يخطو نحو الشهر الثالث ، يصبح شخصا اجتماعيا صغيرا ويستمتع بوجوده بالقرب من الناس ، وهو لا يستجيب فى هذه السن لأمه أو لأبيه فقط ، وإنما أيضا للأطفال الآخرين فى الأسرة» [٢] .

وعلى الرغم مما يبدو فى الظاهر من اعتماد الأطفال على الكبار فى كل شيء ، الا انهم فى الحقيقة قد اثروا كثيراً فى ثقافة الكبار ، فلقد قام الكبار استجابة لإشباع رغبات هؤلاء الصغار بصناعة أدب الأطفال ، وخصوصا فى مرحلة الطفولة الباكرة .

ولقد إهتمت جميع الشعوب من زمن بعيد بأدب الأطفال ، وكان العرب سباقين فى هذا الميدان[٣] ، بالرغم من الفتور والإهمال فى صنع هذا الأدب وجمعه فى وقتنا الحاضر .

---

١) مجلة الفنون الشعبية ، العدد ١٣ سبتمبر ١٩٧٠

٢) جلاديس جاردنر ، هيلين شاكتر ، هؤلاء أطفالنا ، ترجمة عفاف محمد فؤاد ص ٢٨ .

٣) كتاب الغناء للأطفال عند العرب ، الدكتور احمد عيسى بك .

وقد كانت السيدة حليمة مرضعة النبى صلى الله عليه وسلم ، تردد على مسامعه والرسول وهو طفل كثيراً من الترنيمات منها مثلا :

هـذا أخ لـم تلـده أمـي وليس مـن نسـل أبـي وعمـي

فأنمه الله فيما تنمي

كما كانت السيدة فاطمة تهود إبنها الحسين وتقول :

إن بنـى شبيـه بـالنبـى ليس شبيـهـا بـعـلي

وقالت إعرابية وهى تزفن إبنها :

يـا قـوم مـالي أحـب عنجـده وكـل انسـان يحـب ولـده

حب الحباري ويذب عنده

وقالت إعرابى وهو يرقص إبنته :

بنيتـي ريحـانـه أشمـهـا فـديـت بنتـي وفـدتنـي أمـهـا

إن الإهتمام بأدب الأطفال العام ، يستوجب علينا أيضا أن نوجه الجهد وبكل طاقاتنا الى مجال أغاني الأطفال الشعبية ، وذلك لما يمكن أن تلعبه هذه الأغاني من دور فعال فى تركيب وإعادة تركيب ذهنية الطفل وتوجيهه نحو الأفضل .

«إن أطفالنا فى الواقع لايعيشون بغير فن مهما فرض,المجتمع عليهم من شح أو قحط فى هذا الميدان . إن لهم ميراثا شعبيا لايزال يؤدى دوراً ، ولا يزال يثير فى وجدانهم نوازع فنية ووسائل لإنماء الخيال وتفريغ شحنات من العواطف الغامضة أو الحزينة فى شكل حركات ورقصات وألعاب وألغاز وأغان[1]» .

والطفل منذ نعومة أظافره يحتاج الى الحنان بأبهى مظاهره فيما تسمعه الأم للطفل من الأغانى الشجية من حيث اللفظ والمعنى والتنغيم عند تنويمه أو عند مداعبته ، مما يقرب شعور الطفل الى الالتصاق بأمه ، لما تحدثه هذه الأغانى من تأثير مباشر فى مخيلة الطفل [2] .

ونحن حين نسجل بعض أغانى الأطفال التى استطعنا العثور عليها ، لا ننسى أن نذكر بأن دراسة أغانى الأطفال لابد، أن تمر بالمراحل الثلاث المعروفة لكل دراسة فولكلورية ، الا وهى مرحلة الجمع ، ثم مرحلة المقارنة . وأخيرا مرحلة التفسير .

---

(١) من مقال الدكتورة سهير القلعاوي ، الهلال ، نوفمبر ١٩٦٧ .
(٢) أديب لحود ، العادات والأخلاق اللبنانية ص ٤٩ .

وسوف نكتفي فى هذا الفصل بالمرحلة الأولى فقط، وهى مرحلة الجمع والتسجيل مع بعض الملاحظات والإشارات البسيطة، راجين غيرنا من المهتمين بالتراث الشعبى تقديم دراسة متكاملة عن أدب الأطفال بصورة عامة.

وسوف نتبع فى تسجيلنا لما جمعناه من أغانى الأطفال الشعبية، المراحل المتعددة التى تمر بها الطفولة، بادئين بأغانى الطفل وهو ما يزال رضيعا فى حضن أمه، ومنتهين بأغانيه وهو يافع يهز العالم بشقاوته وشيطنته

أولا : تهويدات الأطفال :

مما يؤسف له حقاً أن هذا الضرب من الأغانى، لم نحفل به كما يجب ولم نسجله فى عالمنا العربى، بل ظلت هذه الأغانى والترنيمات تتوارثها الأجيال شفاها.

أما عندنا فى البحرين فقد ضاع منها الكثير ونسى منها الأكثر، بينما حرص الرواة في الغرب على تسجيل الكثير من هذه المنظومات، كما نلاحظ على هذا النزر اليسير من التهويدات الذى استطعنا العثور عليها وتسجيلها هى فى الواقع من ابداع الكبار، وان القصد منها هو الرغبة فى ان يحفظه الطفل لكى يستفيد منها وهو يستقبل مستقبله.

كما نلاحظ عليها أيضا إعتماد مبدأ التفرقة الواضحة بين البنت والولد من حيث نظرة المجتمع لكل منهما، ومن حيث تقديره لدور كل منهما فى الحياة.

ونجد هذه التفرقة البغيضة واضحة فى موقف الأم بعد انتهاء عملية الولادة عندما عرفت ان وليدها كان ولدا ولم يكن بنتا، انها تعتبر هذا الخبر خبرا مفرحاً يشرح الصدر (بشرتني القابلة وقالت غلام) لهذا فهى تدعو لحاملة البشرى كل الخير والسعادة (ليت ديك [١] القابلة تزرر الإمام [٢]). وهذا بعكس الحال لو ان الوليد كان بنتا فانها لا تجد حرجا فى القول (ليت ديك القابلة تقرصها حية).

فالولد وحده هو الشداد لظهر أمه، أما البنت فيه التعاسة والنكد.

(أم الولد حسها [٣] أيلالي [٤] وحسها على الجيران عالي) ليس هذا فحسب بل

---

١) ديك : تلك.
٢) الإمام : نقصد زيارة ضريح الإمام علي إبن أبي طالب في النجف الأشرف.
٣) حسها : صوتها.
٤) أيلالي : يتلألأ.

(جيبوا [١] لبو [٢] الصبيان كرسي من ذهب) أما والد البنات فلا يستحق إلا (كرسي من خشب) .

إن هذا الواقع التى تعيشه المرأة لا تنفرد البحرين به ، فالتراث الشعبى العربى عامة حافل به ، وهو يعكس بصدق وأمانة مدى الإضطهاد العمدي الذى تتعرض له المرأة منذ زمن بعيد .

أمثلة على التهويدات :

لولو لولو لولو
نامي نومة الهنية
ونومة الغزلان فى البرية
نومه علي [٣] ويا خديه [٤]
بشرتني القابلة وقالت غلام
ليت ديك [٥] القابلة تزور الإمام
بشرتني القابلة وقالت بنية
ليت ديك القابلة تقرصها حية
يوم قالوا لي غلام
شد ظهر أمه وقام
وإذبحو التيتة [٦] ، وإعزموا البيبية [٧]
وإفرشوا الزولية [٨]
على سلامة هالغلام
يوم قالوا لي بنية
أظلم البيت عليه

---

(١) جيبوا : إحضروا .
(٢) لبو : لوالد .
(٣) على : الامام علي ابن ابى طالب .
(٤) خدية: السيدة خديجة بنت خويلد زوجة الرسول .
(٥) ديك : تلك .

(٦) التيتية : الدجاجة .
(٧) البيبية : الجدة أو المرأة الثرية .
(٨) الزولية : البساط .

سندوني بالمساند
ضربتني بردية (١)
لولو لولو لولو (٢)

الصلاة على محمد ، والصلاة على النبي
من إعيون أهل البلاد (٣)
ناشفين من الذراري ، ما يجيبون الولاد (٤)
الصلاة على محمد والصلاة على النبي
من إعيون أهل السقية (٥)
ناشفين من الذراري ما يجيبون البنية (٦)
الصلاة على محمد
والعدو أعمى مصمد (٧) ، والصلاة على النبي

ربيت (٨) الولاد يوم أصباي وجنوني
حسبت الولاد عند الكبر يغنوني
وعند الكبر حسرتي بالكوف عافوني

---

(١) بردية : الحمى الباردة .
(٢) الحقيقة أن فكرة تفضيل الولد عن البنت ليست قاصرة على البحرين دون غيرها من البلاد العربية ، فقد وقعت تحت أيدينا تنويمة مصرية تشبه تماماً التنويمة الموجودة لدينا .
تقول التنويمة المصرية :ـ
لما جالوا دا ولد أنشد ظهري وإنسند
وجابوا لي البيض بجشره جلت عايم في الزبد
لما جالوا دا غلام أنشد ضهري وإستجام
وجابوا لي البيض بجشره جلت عايم في الدهان
لما جالوا دي بنت كانت لحظة زي الزفت
والعصيدة بجت فرت والبلح بجي عقارب
لما جالوا دي بنية إنهد ركن البيت عليه
وجابوا لي البيض بجشره وبدال السمن ميه
(٣) البلاد : قرية من قرى البحرين ، وهى بلاد القديم .
(٤) الولاد : الصبيان .
(٥) السقية : كانت قرية من قرى البحرين ، لكنها الآن من أجمل أحياء المنامة .
(٦) البنيه : البنت .
(٧) مصمّد : الكلمة عربية فصحى بمعنى غطى أو لف ، يقال لف عليه صماداً أو سده بسداد .
(٨) رباهم : تربيتهم .

سبعة أولاد ، ما قدروا يعيشوني
من الشمس للظل ، ما قدروا يشيلوني (1)
لا بالسلف سلفوا ، ولا بالدين دانوني
ربيتكم يا عيوني ، عند الكبر عينوني
ربيتكم ربوني ، عند الكبر عيضوا عليه

أم الولد حسها (2) إيلالي (3) ، حسها على الجيران عالي .
أم البنات حسها يبان ، وين درب الصاغة يا مسلمات
أم الولد ويش (4) حصلت ، ما هى مثلنا فصلت (5) ، جابت (6) فلوس وكودت (7)
تستاهلين يا أم الولد ، غرفة ودار عالية
لا تفرحين يا أم الولد ، ناخذه ونخليك خالية
جيبوا لبو الصبيان كرسي من ذهب
وأبو البنات ، كرسي من خشب
خايبه يا أم البنات ، حملك فى الدرب بات
تكبر بنات الخايبات وتاخذ أولاد المسعدات
ويصير الكرم والجود لأم البنات (8)
ربيتكم ياولادي وإنتون فى البطن إصغار
يوم إستويتون غاية ، وتلبسون أوزار
أخذكم الغير ، وشبت فى قليبي أني النار

صلاتي وتسليمي على سيد البشر   نبي خاطب الثعبان وإنشق له القمر
نبي إذا ما سار سارت غمامه   تظلل على المختار أينما خطر
وفى الحجر الصم يغيص نعاله   وفى الترب لم يبق لخير الملا أثر

(1) يشيلوني : يرفعوني من فوق الأرض ، والفعل شال أي رفع .
(2) حسها : صوتها .
(3) إيلالي : يلعلع أو يتلألأ .
(4) ويش : ماذا .
(5) فصلت : خاطت الثياب لبناتها
(6) جابت : أحضرت .
(7) كودت : جمعت ولمت .
(8) نجد فى التراث المصري نصا قريبا من النص الموجود لدينا والنص المصري كالتالى : ـ

تستاهل	جابلة	الولد	بندجي	تدجه	حلج
تستاهل	أم	الغلام	بندجي	تدجه	رمام
تستاهلي	يا	جابلة	ثلاثين	جريدة	دابلة
يا	مبشرة	بالبنية	والعوازل		راجعة

ثانيا : ترنيمات الأطفال :

فضلنا استعمال ترنيمة على كلمة أهزوجة او اغنية ، وذلك على اساس ان هذا النوع من الاغنيات هو مجرد جمل مسجوعة او كلمات منظومة ومنغمة ، وهى لاتخضع فى تركيبها اللفظى لأى وزن من اوزان الشعر المعروفة .

وتردد هذه الترنيمات وامثالها فى العادة بعد ان يكون الطفل قد فطم ، وبدأ الخطو الى عامه الثالث ، والطفل فى هذه السن يحاول بدافع من نزعته الاجتماعية المتأصلة فيه الاندماج مع والديه وبقية اسرته ، والاشتراك معهم فى بعض المداعبات الخفيفة ، وبدافع الابوة يقوم والد الطفل بمداعبته وملاعبته ، وغالبا ما يصاحب هذه المداعبات والملاعبات ترديد بعض الالفاظ الفكهة السهلة التركيب والمنغمة ، مع القيام بتأدية بعض الحركات التى تجلب الفرحة والسرور للطفل ، كأن يستلقى والد الطفل على ظهره ويجذب رجليه حتى صدره ، ويضع الطفل على ساقيه فى وضع الراكب على الفرس ، ويظل الوالد يحرك الطفل بواسطة رجليه الى اعلى والى اسفل .

اما الغرض الذى يكمن وراء هذه الترنيمات ، فهو عندنا تعويد الطفل منذ الصغر على تقوية ملكة الحفظ وسعة الخيال ، عن طريق التسلية واللعب .

أماه أبغي لقمة .. واللقمة فى البرمة .. والبرمة تبغي حطب والحطب من الشجر .. والشجر يبغى قدوم .. والقدوم عند الحداد .. والحداد يبغى فلوس .. والفلوس عند العروس .. والعروس تبغي رجل .. والرجل يبغي ولد .. والولد يبغي حليب .. والحليب من البقر .. والبقر يبغي حشيش .. والحشيش من الجبل .. والجبل يبغي مطر . والمطر من الله . لا اله الا الله . محمد رسول الله (1)

---

١) فى أدب الأطفال الشعبى فى مصر . نجد ذات النص تقريبا ، ولكن كتاب التراث الشعبى فى مصر ، اختلفوا حول الهدف من هذه الأغنية ، فالأستاذ احمد رشدي صالح مثلا ، يرى انها تمثل المجتمع الفلاحي ، ففى مثل هذا المجتمع كل صاحب حرفة يحتاج بالضرورة الى صاحب حرفة اخرى ، فالتعاون بين اصحاب الحرف امر ضرورى لإمداد المجتمع بحاجاته واحتياجاته «الأدب الشعبى ص ٢٢٦» .

بينما الأستاذ محمد قنديل البقلي ينظر الى هذه الأغنية من زاوية اخرى ، فهو يعتقد ان وراء مقاطع هذه الأغنية مقاصد ومعاني صوفيه ، فهى فى رأيه من الأغاني الرمزية وان ترددت على السنة الأطفال فى شهر رمضان ، انظر رأيه فى هذه الأغنية بالتفصيل فى الصفحات ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ من كتاب «صور من ادبنا الشعبى» .

والنص فى التراث الشعبى فى مصر كما يلي : ـ

أحدتك حددوته ، بالزيت ملتوتة ، حلفت ما اكلها حتى يجي التاجر ، والتاجر فوق السطوح ، والسطوح عاوزة سلم ، والسلم عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ، والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوزة بيضة ، والبيضة فى الفرخة ، والفرخة عاوز قمحة ، والقمحة فى الطاحونة ، والطاحونة عاوزة لمونة ، واللمونة فى الجنينة ، والجنينة عاوزة مية ، والمية فى الوابور ، والوابور عاوز مجرور ، والمجرور فى البيت ، والبيت عاوز زيت ، والزيت عند الزيات ، والزيات عاوز محرات ، والمحرات عند الفلاح ، والفلاح عاوز سلاح ، والسلاح عند الحداد ، والحداد عاوز مسمار ، والمسمار عند النجار .

زانه زانه زانه ، و (.....) فى اللجانة
حسن يا بن عطية ، وعمامته مطوية
طواها ما نشرها ، نشرها فى البرية
وأكليبها [1] وراها ، ويلحس من وراها
وراها زنكي زنكي ، يا لحية الفرنكي
فرنكي اسمه عباس ، كبير الدبة [2] والراس .

ثالثا : أهازيج البنات والأولاد :

فى الواقع انه فى تراثنا الشعبى تكاد أهازيج البنات تطغى كثيرا على اهازيج الصبيان ، ولعل السر فى هذا يكمن فى ان الصبيان ما يكادون يبلغون سن البلوغ ، حتى تدفعهم عائلاتهم الى الالتحاق بموكب الغوص وصيد اللؤلؤ ، طمعاً فى الكسب السريع ، او حباً فى اكتساب مهنة يجب ان يتعود عليها الانسان منذ الصغر ، لهذا من الممكن اعتبار فترة الغوص فترة ركود بالنسبة لهؤلاء من حيث المشاركة فى الأهازيج .

وتمتاز أهازيج البنات والأولاد فى تراثنا الشعبى بالبساطة والرقة فى التعبير ، مع المحافظة على الاصالة ووضوح الهدف .

ومن امثلة هذه الأهازيج ، نذكر التالى : ـ

اللـوز ما نـأكلـه يحمـر أشـافينـا [3]
والـغـريـب مـا نـأخـذه يـرحـل ويخلـيـنـا
نـأخـذ وليـد عمنـا يـصـبـح ويـمـسـيـنـا
بيتـه حـدا بيتنـا حسـه إيـنـاديـنـا
مـرة نـحـاجـيـه ومـرة يـحـاجـيـنـا

هذه الأهزوجة بالرغم من بساطتها ، تضع مجموعة مَن القيم الأخلاقية ، فالعرف لايجيز للبنات ان تتزين قبل الزواج ، والزواج من اجنبى أمر غير مقبول ، وابن العم او ابن الخال هو الزوج الطبيعى للفتاة .

---

(١) إكليبها ، تصغير كليها .
(٢) الدبة : البطن الكبير .

(٣) أشافينا : شفاهنا .

واقف على الباب
قالت .. زر يا مسكين
أهلي غايبات ، ولا هم حاضرات الحين [1]
قال .. أنا جوعان
قالت .. روح من يعطيك
قال .. أنا عطشان
قالت .. روح من يرويك
قال .. أبا موت [2]
قالت .. نار شبت فيك
قال .. لا إنتين [3] بيبي [4] ولا طعم البيابي [5] فيك
ولا إنتين صرمة نخل
حتى أغالى فيك
إنتين جرة ، والماي [6] ناقع فيك
قالت .. إن كنت جوعان ، هكو [7] روح للقلة [8]
وإن كنت عطشان ، هكو روح للجحلة [9]
وإن كان تبغي بنات البيض ، باسمله [10]
سلم دراهم ، هكو الباب تندله [11]

وهذه الأهزوجة أيضا تحاول أو تكشف عن نفسية المرأة ، وتوضح سراً من أسرارها . فالمرأة هنا تتمنع على الرجل الذى يهتم بها ويتلهف عليها ، ولكنها سرعان ما تلين عندما يستعمل معها الرجل أسلوبا آخر من عدم الإكتراث .

---

(١) الحين : الآن .
(٢) أبا موت : سوف أموت فى الحال .
(٣) لا أنتين : لا انت .
(٤) بيبي : السيدة المحتشمة .
(٥) البيابي : جمع بيبي وهى السيدة المحترمة .

(٦) الماي : الماء .
(٧) هكو : هو ذاك .
(٨) القلة : وعاء من خوص النخل يوضع في التمر .
(٩) الجحلة : وعاء من الخزف يستعمل لحفظ الماء ، أو الزير .
(١٠) باسمله : بإسم الله والمقصود تفضل .
(١١) تندله : تعرف مكانه .

وهذه مناظرة غنائية بين أربع فتيات : ـ

الأولى : بربشني يالهولي [1]

يا ناقش إحجولي

حجولي بأربع أمية [2] ياليتها لومية

مزروعة فى البستان

يقشرها عبدالله ويأكلها سلمان

سلمان يا بو جوخة يا مراطن العجمان

الثانية : طلوا ، طلوا خواتي [3]

شوفوا البحر غدران

شوفوا شراع أبيه [4]

أبيض من القرطاس

شوفوا شراع العدوان

أسود من الدخان

الثالثة : حجي علي حجي علي ، علمني البحور

سلط عليش يا حضرتي

من بد الحظور

بس كدرت كمبارتى

ولا عندى قرقور

---

(١) الهولي : مفرد الهوله ، والهوله هم قبائل عربية نزحت الى بر إيران .

(٢) أمية : مائة .

(٣) خواتي : أخواتي .

(٤) ، أبيه : أبي..

يا روح والماية سقي ، باصيد حاقول
حاقول فيه مّن [1] وربع ، ما يقدر يقول
كيس ربابى [2] فى المخابىء [3] ورنة إحجول
عريش [4] مقابل الشمال أرطن يا بلبول [5]

الرابعة : عباس شد [6] حمارته وراح المنامة
طالبه عليه إمريته [7] تبغي خزامة [8]
وتبغى ثوب شربتي [9] حق نومة الليل

وللبحر نصيب كبير فى تراثنا الشعبى ، فهو العمود الفقرى فى جسد حياتنا ، ولكن الشوق للأب وللزوجة وللأخ عاطفة عنيفة مشبوبة ، من العسير كبحها أو التقليل من شأنها ، التوبة عن البحر مجرد أمنية عزيزة ، ولكن هل تتحقق ، إذن لا سبيل غير الدعاء والإبتهال

توب [10] توب يا بحر
أربعة والخامس دخل [11]
يا نوخذاهم[12] لا تصلب عليهم
ترى[13] حبال الغوص ، قطع أيديهم
يا ليتني دهينه، أدهن أيديهم
يا ليتني أغويمة [14] وأظلل عليهم
توب توب يا بحر

---

١) مّن : وزن محلي يعادل ٥٦ رطلا .
٢) ربابى : جمع ربية وهى عملة هندية كانت متداولة فى البحرين .
٣) المخابي : جيوب الثوب .
٤) العريش : الحجرة المصنوعة من سعف النخيل .
٥) بلبول : بلبل .
٦) شد : جهز .
٧) أمريته : زوجته .
٨) خزامه : حلقه ذهبية كالقرض تتدلى من أحد طرفي الأنف ، يقال خزم البعير أى جعل فى منخره الخزامه أي أذله وحقره .
٩) ثوب شربتي : ثوب من القماش الشفاف .
١٠) توب : التوبة .
١١) أربعة : المقصود أربعة شهور .
١٢) النوخذا : ربان السفينة .
١٣) ترى : بمعنى إن .
١٤) أغويمة : تصغير غيمة .

أربعة [1] والخامس دخل

ومن الأهازيج التى يفرح بها الأطفال الأهزوجة التالية ، وهى من الأهازيج التى تساعد الأطفال على تقوية ملكة الحفظ ، وإستيعاب الترابط بين الأشياء .

حمامة نودي نودي .. سلمي على سيودى .. سيودي راح مكة .. وييب [2] ثياب عكه .. ويحطهم فى صندوقي .. صندوقي ما له مفتاح ، والمفتاح عند الحداد ، والحداد يبي [3] فلوس ، والفلوس عند العروس ، والعروس تبي رجل ، والرجل يبي عيال ، والعيال يبون حليب ، والحليب عند البقر ، والبقر يبون حشيش ، والحشيش فوق الجبل ، والجبل يبي مطر ، والمطر من الله ، گوم صل ، ما عبر [4] گوم تغذى ، هيه والله .

وليست كل اغاني البنات بريئة ساذجة فهناك من الأغنيات ما تحتوى على الفاظ مكشوفة ، ومن امثلة هذه الأغنيات ، الأغنية التالية :

أولاد عمي سبعة خلوني با إنتقي[5]

نقيت منهم واحد والثاني ما رضى

ركبني على سريره عطاني بنجري[6]

عطاني ثوب وطاقة [7] ومشمر[8] الزري

على الله يا هملي محمد وعلي

وعندما يأتى المساء ، ويجتمع الأولاد تحت سدرة يتسامرون ويتفاكهون ، يدخل بعضهم فى مناظرات زجلية ، يشرح الواحد منهم أحلامه وأمانيه فى الحياة ، ومن الأمثلة على هذا ، المناظرة التالية :

الأول : إشتهى واتمنى شبعتي بيوت[9]

وأركب نخيل العوالي وأنسدح[10] وأموت

الثانى : ويش أشتهي وأتمنى شبعتي حلوة[11]

---

١) أربعة : المقصود أربعة اشهر .
٢) ييب : يحضر ويجلب .
٣) يبي : يريد .
٤) ما عبر : لا أقدر لا استطيع .
٥) إنتقي : أختار .
٦) بنجري : نوع من أنواع الحلي .
٧) طاقة : لفة الأقمشة .
٨) مشمر : تسميه لنوع من أردية النساء .
٩) بيوت : الطعام الذى مضى عليه يوم أو يومين .
١٠) إنسدح : إنبطح على الأرض .
١١) حلوة : حلوى .

ومـــرابـــع[1] الجـــن وأم حمـــار كـــان أشـــوة [2]
أشـــوة عـلى من مـــرابـــع الـخـــالات والبلـــوة
وأشكـــي لـربـــى مـن اللـي بحـالتـي سـوه
الثالث : ويش أشتهي وأتمنى ألـفين روبيـــة
وغـريفـــة عـاليـــة وفـيهـــا منـاميـــه[3]
وبـغيلـــة مبـــردة[4] مـــن مـــى لحنينيـــة[5]
ودجاجـــة إمحشيـــة فـــي وســـط صينيـــة
الرابع : ويش أشتهي وأتمنى ألـــف نـاقـــة حمـــر
وألـــف عبـده وعبـــد مـــن عـبيـــد السمـــر
واغـريفـــه عـاليـــه فيـهـــا ربـــاب وزمـــر
والشرق والـغـــرب والجنـــة وطـــول الـعمـــر

لقد طرقت أهازيج الأولاد والبنات معظم الأغراض والنواحي الحياتية ، وبالرغم من بساطة هذه الأغراض ، إلا أنها تعتبر مرآة صادقة للعقلية السائدة والتفكير العام .

ونورد هنا بعض الأمثلة : ـ

لومية خضر خضرة .. فى يد عبدالرحمن .. يقشرها عبدالله .. ويأكلها سلمان ، سلمان يا بو شيخة [6] ، يا ملقط الحويت [7] ، يلقطه فى كلكته [8] ، ويبيعه فى الكويت ، كل البنات تحنوا [9] ، خطوا على طرقين [10] ، وأنا يا لبنية ما حطيت إلا طرق ، أروح بيت أبوي ، وأحط لي عشرة ، وأحر [11] مرت [12] أبوي ، أم وجه لو حرة [13])

---

١) مرابع : مصادقة .
٢) أشوة : أوفق وأفضل .
٣) منامية : بنت المنامة عاصمة البحرين .
٤) بغيلة : تصغير بغلة ، أناء خزفي يوضع فيه الماء .
٥) حنينية : ماء من العين الطبيعية المعروفة بالحنينية .
٦) شيخة : إسم بنت .
٧) الحويت : نوع من أنواع القواقع البحرية .
٨) كلكته : مدينة كلكتا بالهند .
٩) تحنوا : وضعوا الحناء .
١٠) طرقين : أي مرتين أو دفعتين .
١١) أحر : أغيظ
١٢) مرت أبوي : زوجة أبي .
١٣) لو حرة : حيوان سام أو المرأة السوداء الدميمة أو الحمراء القصيرة .

يا معلمة قومي إتسحري ، برد سحورك
وإنهد ثورك
كسر الغضارة [١]
بيت المعلمة إحترق
صبوا عليه قدرين مرق

ما قصرت سبيچه [٢] خذت عبد الرحمن
عبد الرحمن يالدقس[٣] يشرب حليب البعران[٤]
ويا[٥] أبوه وطقه [٦] وطه بالباكورة [٧]
ليمن كسر عصقوله[٨] عصقوله عصقول الديك
تخانقوا فى العريش على سبة[٩] عصيدة

زرعت كركم [١٠] على كركم على كركم
وأنا على سيفة[١١] البحرين برقبكم
يا الله بهبة هوا تجلب محاملكم
تثير النصوص السابقة حرارة الشوق الى الأحبة واللهفة للقياهم ، فالزوجة الوالهة المنتظرة على البر تخاطب نفسها وتقول بأنها تحنت بالكركم ثلاث مرات على امل عودة الحبيب من البحر ، وقد جرت العادة ان تتحنى العروس بمادة الكركم ليزيد من بياض بشرتها .

---

١) الغضارة : وعاء من الخزف ، الكلمة فارسية .
٢) سبيحة : إسم ، الأصل سبيكة .
٣) الدقس : حيوان بحري كبير الحجم كريه المنظر .
٤) البعران : جمع بعير .
٥) ويا : وجاء .
٦) طقه : ضربه .
٧) الباكورة : العصا الكبيرة الغليظة .
٨) عصقوله : عظمة ساقه .
٩) سبة : سبب .
١٠) الكركم : مسحوق نبات يشبه الورس ، لونه أصفر .
١١) سيفة : ساحل البحر .

كما ان الشوق اضطرها الى مغادرة منزلها الى ساحل البحر لتراقب الأشرعة البيضاء المنتشرة على صفحة البحر فلعل مركب حبيبها يكون من بين تلك المراكب .

ولما لم تجد ، انفلتت الصرخة الآهة من بين شرايين قلبها تسأل الله ان يبعث عاصفة هو جاء تجبر البحارة على الأوية الى البر . فتصور ؟

إلى هذه الدرجة يصل الشوق !!

مـــرت ولا سلمــت يـا نـاس مـا أحمقــهـا
لــولــو[1] وزمــرد مــرصــع فــى ذيــل بـخـنـقــهـا[2]
لـو ما خـوفي من البـاري كـان بـالحقـهـا
طيــري خـطـاهــا وطيـري النـذل وافقـهـا

مــروا علــيّ ثــلاثـة حــزة [3] الفــجــر
هــدمــوا صــلاتــي وخـلـو دمــعـتـي تجـري
شــالــوا ضـعـنـهــم وخلـونـي وحـيـد أبجـي

(١) لولو : لؤلؤ .
(٢) بخنقها : البخنق لباس رأس الفتيات
(٣) حزة : ساعة أو وقت .

مصادر الكتاب

١ ـ أبو صالح الألفي	الفن الاسلامى
٢ ـ أبوالحسن علي بن الحسين المسعودى	مروج الذهب «الجزء الأول»
٣ ـ أحمد أمين	قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية
٤ ـ احمد بيك ندى	حسن الصناعة في علم الزراعة «جزءان»
٥ ـ أحمد تيمور باشا	لعب العرب
٦ ـ أحمد تيمور باشا	الكنايات العامية
٧ ـ أ. ج . أربرى	تراث فارس
٨ ـ الدكتور أحمد حماد الحسيني	هجرة الحيوان
٩ ـ أحمد رشدى صالح	فنون الأدب الشعبى «جزءان»
١٠ ـ الدكتور أحمد الشنتناوى	عادات الزواج وشعائره
١١ ـ أحمد بن ماجد بن عمر بن فضل بن دولك النجدى البركاني .	الفوائد في أصول للبحر والقواعد
١٢ ـ أحمد محمود صبحي	البحرين ودعوى ايران
١٣ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمة	تاريخ شرقى الجزيرة العربية ترجمة محمد امين عبدالله
١٤ ـ أحمد مرسى	الأغنية الشعبية
١٥ ـ أحمد الصباحى ـ عوض الله خليل	المهارات والالعاب الشعبية
١٦ ـ الدكتور أحمد سوسه	تاريخ حضارة وادى الرافدين
١٧ ـ أ . س . ادواردز	أهرام مصر «ترجمة مصطفى أحمد عثمان»
١٨ ـ الدكتور أحمد فخرى	الاهرامات المصرية
١٩ ـ الدكتور أحمد فخرى	دراسات في تاريخ الشرق القديم
٢٠ ـ انجلا كلارك	جزر البحرين «ترجمة د . محمد الخزاعى»

مصادر الكتاب

١ ـ أبو صالح الألفي	الفن الاسلامى
٢ ـ أبوالحسن علي بن الحسين المسعودى	مروج الذهب «الجزء الأول»
٣ ـ أحمد أمين	قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية
٤ ـ احمد بيك ندى	حسن الصناعة في علم الزراعة «جزءان»
٥ ـ أحمد تيمور باشا	لعب العرب
٦ ـ أحمد تيمور باشا	الكنايات العامية
٧ ـ أ. ج . أربرى	تراث فارس
٨ ـ الدكتور أحمد حماد الحسيني	هجرة الحيوان
٩ ـ أحمد رشدى صالح	فنون الأدب الشعبى «جزءان»
١٠ ـ الدكتور أحمد الشنتناوى	عادات الزواج وشعائره
١١ ـ أحمد بن ماجد بن عمر بن فضل بن دولك النجدى البركاني .	الفوائد في أصول للبحر والقواعد
١٢ ـ أحمد محمود صبحي	البحرين ودعوى ايران
١٣ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمة	تاريخ شرقى الجزيرة العربية ترجمة محمد امين عبدالله
١٤ ـ أحمد مرسى	الأغنية الشعبية
١٥ ـ أحمد الصباحى ـ عوض الله خليل	المهارات والالعاب الشعبية
١٦ ـ الدكتور أحمد سوسه	تاريخ حضارة وادى الرافدين
١٧ ـ أ . س . ادواردز	أهرام مصر «ترجمة مصطفى أحمد عثمان»
١٨ ـ الدكتور أحمد فخرى	• الاهرامات المصرية
١٩ ـ الدكتور أحمد فخرى	دراسات في تاريخ الشرق القديم
٢٠ ـ انجلا كلارك	جزر البحرين «ترجمة د . محمد الخزاعى»

٢١ ـ ابن بطوطه — تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار

٢٢ ـ الدكتور سيد أحمد الناصرى — قضية التاريخ القديم

٢٣ ـ اديب لحود — العادات والاخلاق اللبنانية

٢٤ ـ ارنولد هاوزر — الفن والمجتمع عبر التاريخ ترجمة الدكتور فؤاد زكريا

٢٥ ـ آمنة صبرى — لمحات من تاريخ الطب القديم

٢٦ ـ امين الريحاني — ملوك العرب «جزءان»

٢٧ ـ أيوب حسين الأيوب — مع الاطفال في الماضى

٢٨ ـ برستد — انتصار الحضارة

٢٩ ـ برنارد مايرز — الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها ؟ ترجمة د . سعد المنصورى

٣٠ ـ بندلي جوزى — من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام

٣١ ـ بول غلبونجي وزينب الدواخلي — الحضارة الطبية في مصر القديمة

٣٢ ـ بيير مونتييه — الحياة اليومية فى مصر في عهد الرعامة «ترجمة عزيز مرقص منصور»

٣٣ ـ توركيل هانس — من كوبنهاجن الى صنعاء «ترجمة محمد احمد الرعى

٣٤ ـ جان يويوت — مصر الفرعونية «ترجمة سعد زهران

٣٥ ـ جرجي زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي

٣٦ ـ الدكتور جمال حمدان — دراسات في العالم العربي

٣٧ ـ الدكتور جواد علي — تاريخ العرب قبل الاسلام «جزءان»

٣٨ ـ جون ولسون — الحضارة المصرية «ترجمة الدكتور أحمد فخرى»

٣٩ ـ جورج حنا — قصة الانسان

٤٠ ـ جورج فلانجان — حول الفن الحديث ترجمة كمال الملاخ وصلاح طاهر

٤١ ـ سير جميس فريزر — الغصن الذهبى «ترجمة الدكتور احمد أبوزيد»

٤٢ ـ حامد عبدالقادر	الأمم السامية، تاريخها وحضارتها
٤٣ ـ الدكتور حسن ظاظا	الساميون ولغاتهم
٤٤ ـ حسن مرعي	النخيل والفاكهة «جزء أول»
٤٥ ـ الدكتور حسين فرج زكي الدين والدكتور رموس باسيليوس	مع الأسماك
٤٦ ـ الدكتور حسين نصار	الشعر الشعبى العربي
٤٧ ـ حمدة محمد الغرباوى	التطريز فى النسيج والزخرفة
٤٨ ـ الشيخ خليفة النبهاني	تاريخ البحرين
٤٩ ـ رينهارت دوزى	المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ترجمة د. أكرم فاضل
٥٠ ـ سعد الخادم	الصناعات الشعبية فى مصر
٥١ ـ سعد الخادم	الفن الشعبى والمعتقدات السحرية
٥٢ ـ سعد الخادم	الفنون الشعبية في النوبة
٥٣ ـ الدكتورة سهير القلماوى	ألف ليلة
٥٤ ـ سباتينو موسكاتي	الحضارة السامية القديمة ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر
٥٥ ـ سيف مرزوق الشملان	الالعاب الشعبية الكويتية
٥٦ ـ سيد عويس	الخلود في التراث الثقافى المصرى
٥٧ ـ صلاح حافظ	التاريخ الجنسي للانسان
٥٨ ـ صلاح علي المدني	أمثال البحرين الشعبية، النظريـة والتطبيق
٥٩ ـ عارف تامر	القرامطة
٦٠ ـ الدكتور عبدالحميد يونس	الأسس الفنية للنقد الادبى
٦١ ـ الدكتور عبدالحميد يونس	الحكاية الشعبية
٦٢ ـ عبدالرزاق محمد ابوقرين	صور من الفن الليبى
٦٣ ـ عبداللطيف الدليشى	مع الاطفال في الماضي
٦٤ ـ عبداللطيف الدليشى	الالعاب الشعبية فى البصرة
٦٥ ـ الدكتور عبدالعزيز نصر	لحن العامة
٦٦ ـ عبدالعزيز صالح	الاسرة المصرية في عصورها القديمة
٦٧ ـ الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة وعبدالملك الحمر	البحرين عبر التاريخ «جزء أول»

٦٨ ـ عبدالله يوسف الغنيم	الغوص على اللؤلؤ فى المصادر العربية القديمة
٦٩ ـ عفيف بهنسي	اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة
٧٠ ـ علي الشوك	الاطروحة الفنطازية
٧١ ـ علی اكبر بوشهری	التاريخ القديم للبحرين والخليج العربى
٧٢ ـ الخطيب علي بن عبدالحسين الهاشمى	ديوان ابو البحر جعفر الخطي
٧٣ ـ الشيخ علي الشيخ حسن البلادى البحرانى	أنوار البدرين
٧٤ ـ علي الخاقانى	فنون الادب الشعبى «١٢ جزء»
٧٥ ـ عيسى القطامى	دليل المختار فى علم البحار
٧٦ ـ الدكتور غوستاف لوبون	حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر
٧٧ ـ فاضل خلف	دراسات كويتية
٧٨ ـ فوزى العنيل	الفولكلور ماهو ؟
٧٩ ـ الدكتور فيليب حتى ـ الدكتور ادوارد جرجى الدكتور جبرائيل جبور	تاريخ العرب «الطبعة الرابعة»
٨٠ ـ القزويني	عجائب المخلوقات «جزءان»
٨١ ـ الكراندر هجرتي كراب	علم الفولكلور ترجمة رشدى صالح
٨٢ ـ كريستيان ديوروش نويلكور	سلسلة الالف كتاب «ترجمة محمود خليل ـ واحمد محمد رضا»
٨٣ ـ السير ليونارد وولي	تاريخ العالم
٨٤ ـ السير ليونارد وولي	مدخل الى علم الآثار «ترجمة الدكتور حسن الباشا»
٨٥ ـ ملا محسن بن سلمان بن سليم البحرانى	المآثر الحسينية والقبسات السليمية
٨٦ ـ ملا محسن بن سلمان بن سليم البحرانى	ديوان شعلات الاحزان

٨٧ ـ محمد ابراهيم ابو سنّة	فلسفة الفن الشعبى
٨٨ ـ الدكتور محمد انور شكرى	الفن المصرى القديم
٨٩ ـ محمد جابر الانصارى	لمحات من الخليج العربي
٩٠ ـ الدكتور محمد رشاد الطوقى	الوان من احياء البحر
٩١ ـ الدكتور محمد غلاب	أصل الانسان
٩٢ ـ محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الاسود
٩٣ ـ محمد عزت مصطفى	قصة الفن التشكيلى «ثلاثة أجزاء»
٩٤ ـ الدكتور محمد عبدالقادر	الساميون فى العصور القديمة
٩٥ ـ محمد فكرى	الدراما الهندية
٩٦ ـ محمد فهمى عبداللطيف	الوان من الفن الشعبي
٩٧ ـ محمد المرزوقى	الادب الشعبى
٩٨ ـ محمد مفيد الشوباشي	القصضة العربية القديمة
٩٩ ـ الحاج محمد بن سلمان السترى البحرانى	قصائد الحزين وسلوى الذاكرين
١٠٠ ـ الشيخ محمد النبهانى	التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية
١٠١ ـ محمود عبدالحميد أحمد	الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام الى مصر
١٠٢ ـ الدكتور مورتكات	تاريخ الشرق الادنى
١٠٣ ـ الدكتورة نبيلة ابراهيم	اشكال التعبير في الادب الشعبى
١٠٤ ـ نعمت اسماعيل علام	فنون الشرق الاوسط القديم
١٠٥ ـ ن . أ . ماير	ترجمة صالح الشيتى
	فن التصوير القديم
١٠٦ ـ نينا . م . ديفر	ترجمة الدكتور حسن صبرى بكرى وعبدالغنى الشال
١٠٧ ـ هداية سلطان السالم	اوراق من دفتر مسافرة
١٠٨ ـ و . ج . برى	نمو الحضارة ترجمة لويس اسكندر
١٠٩ ـ وليم هاولز	ما وراء التاريخ «ترجمة د. احمد ابوزيد

١١٠ ـ ويليام وبكلوكس	من جنة عدن الى نهر الاردن من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى
١١١ ـ الشيخ يوسف البحرانى	لؤلؤة البحرين
١١٢ ـ الشيخ يوسف البحرانى	الكشكول
١١٣ ـ يورى سوكولوف	الفولكلور ـ قضاياه وتاريخه ترجمة حلمي شعراوى ـ عبدالحميد حواس
١١٤ ـ الازياء السومرية	مطبوعات مديرية الآثار العامة ـ العراق
١١٥ ـ تاريخ الحضارة المصرية	نخبة من العلماء
١١٦ ـ العراق القديم نور لم ينطفى	من منشورات وزارة الثقافة
١١٧ ـ دليل المتحف العراقي	من منشورات وزارة الثقافة والآثار
١١٨ ـ العراق فى صور	من منشورات وزارة الثقافة والآثار
١١٩ ـ مجلة سومر	عام ١٩٦٠ عدد ١٦
١٢٠ ـ تقرير عن الحفريات الاثرية فى جزيرة فيلكا	اصدار وزارة التربية والتعليم الكويتية
١٢١ ـ آثار البحرين	من مطبوعات وزارة الاعلام
١٢٢ ـ مجلة الأضواء الاسبوعية	
١٢٣ ـ مجلة صدى الاسبوع الاسبوعية	
١٢٤ ـ مجلة المجتمع الجديد الاسبوعية	
١٢٥ ـ مجلة المواقف الاسبوعية	
١٢٦ ـ جريدة النجمة الاسبوعية	العدد ١٧
١٢٧ ـ جريدة الأيام	

المصادر الاجنبية :

١٢٨) SINGER

١٢٩) WELCOME TO BAHRAIN — J.H. BELGRAVE

١٣٠) TRAVELS THROUGH ARABIA — NIEBUHR

١٣١) THE BAHRAIN ISLANDS — ABBAS FAROUGHY

١٣٢) SHIPS OF YESTERDAY — LIZETTE M. ETHOL

١٣٣) PERSONAL COLUMN — SIR CHARLES BELGRAVE

١٣٤) THE ARAB OF THE DESERT — SIR CHARLES BELGRAVE

١٣٥) LA GOLFE PERSIQUE — J.J. BERREBY

١٣٦) L'EMPIRE DES PERLES ET DES PIERRES PERCIEUSES — SIMON HATEM

١٣٧) L'EVOLUTION DE LA SOCIATE' DU BAHRAIN — ALI TAQI

١٣٨) AU ROYAUME DE PEARL— LEONARD ROSENTAL

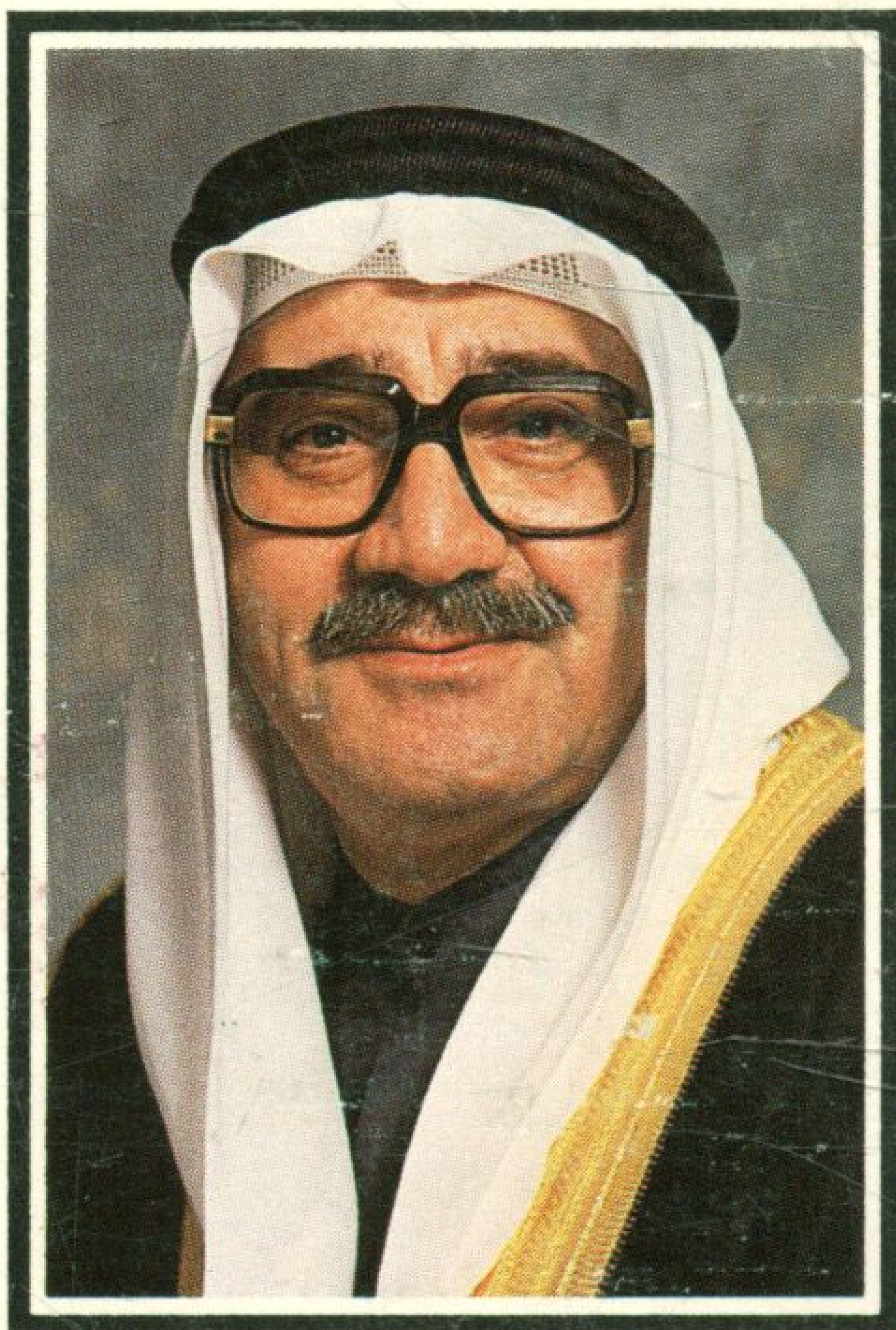
رقم الايداع بالمكتبة العامة بالمنامة

١٣٧٣ د.ع / ١٩٩٣

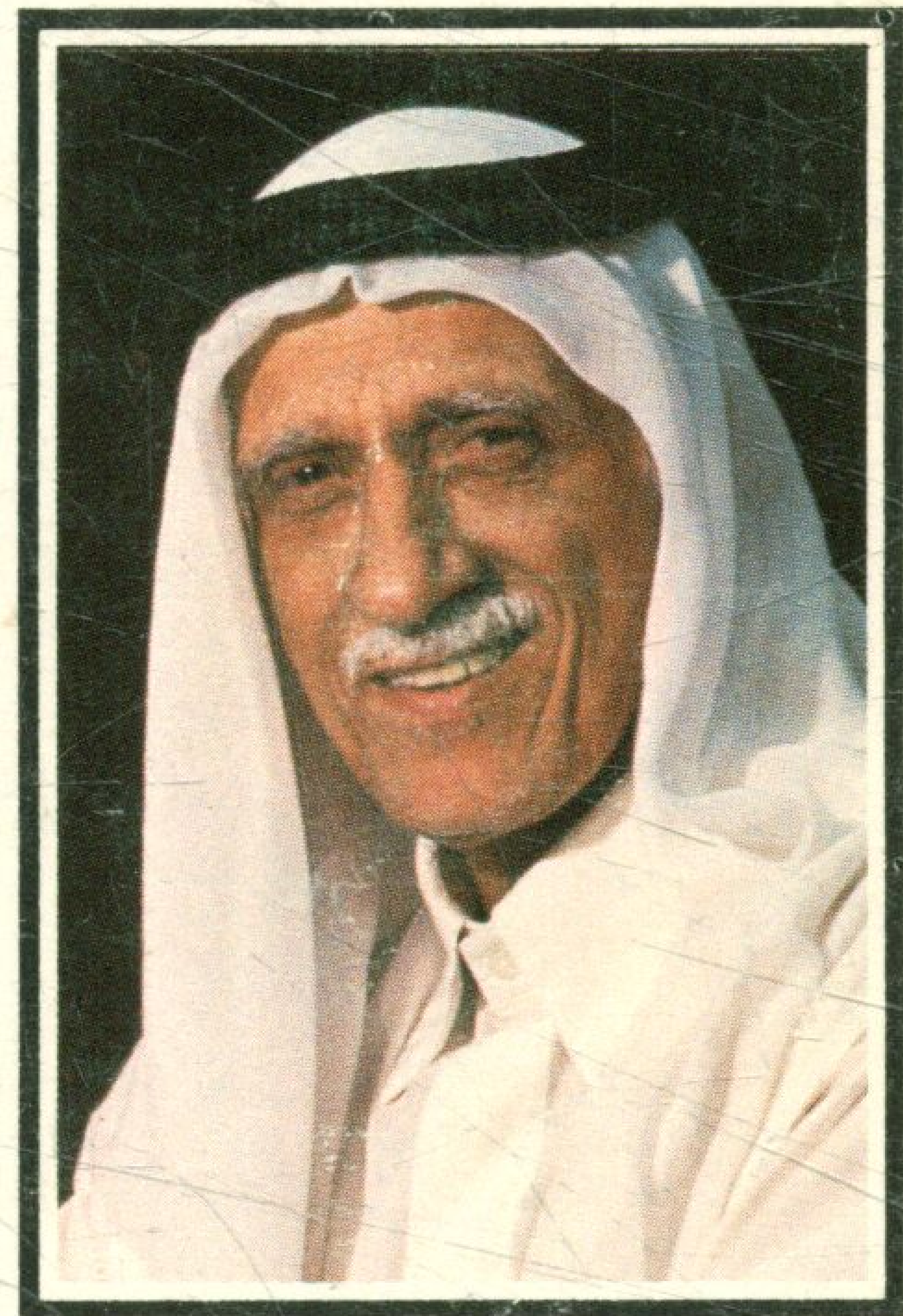


طبع بالمطبعة الحكومية

لوزارة الاعلام ـ دولة البحرين



صلاح علـي المدني



عبدالكريم علي العريض



طبع بالمطبعة الحكومية لوزارة الاعلام دولة البحرين